

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة السابعة - العدد ٨٢ - غرة شوال ١٣٩١ هـ - ١٩ نوفمبر «تشرين الثاني» ١٩٧١ م





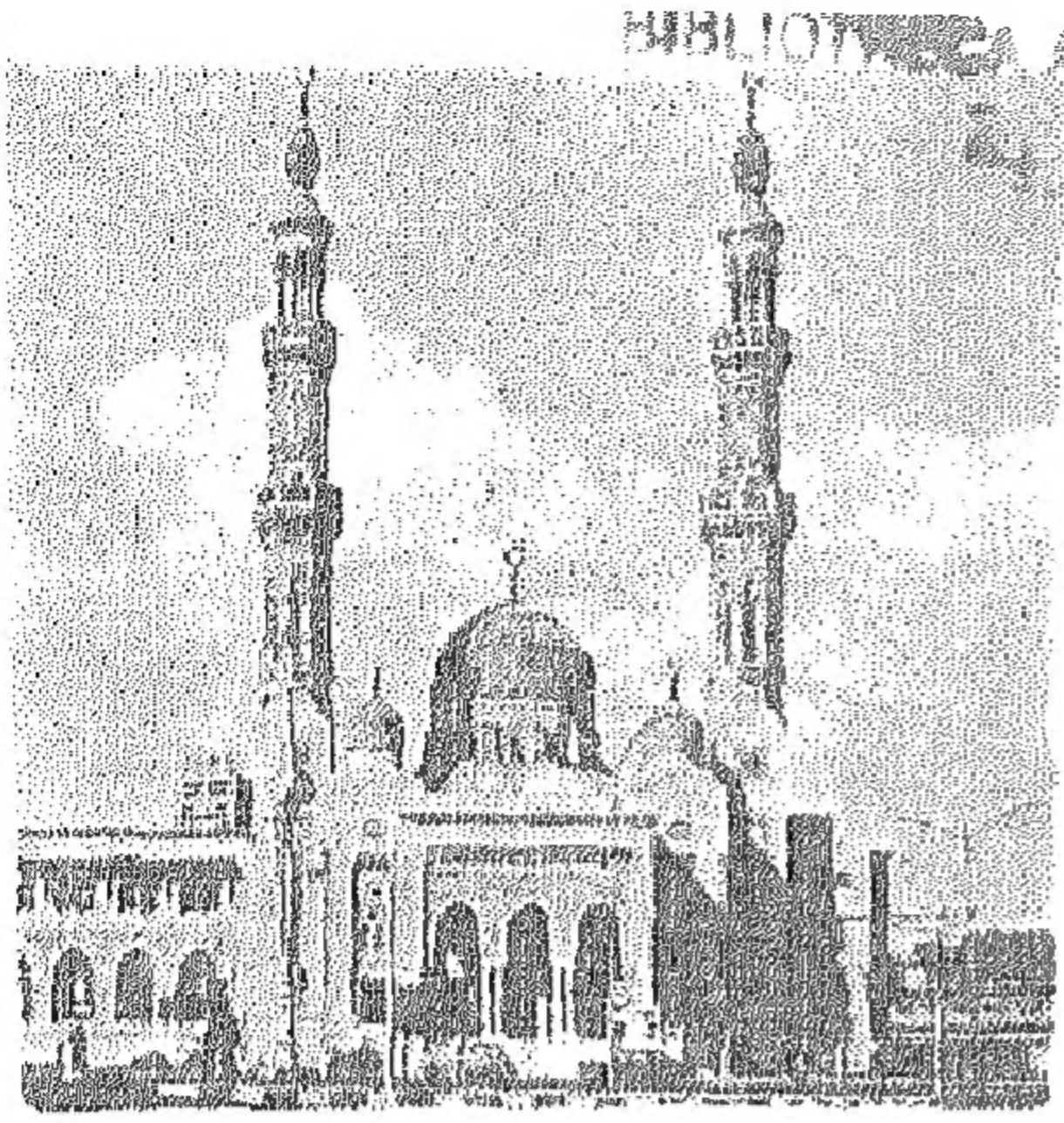
استقبل سمو الامير المعظم بقصر السيف العامر عددا من الشيوخ
والوزراء ورجال السلك الدبلوماسي واعيان ابلاد ورجالاتها وجهـاهير
غفيرة من الشعب الكريم وذلك لتقديم التهاني الى سموه بمناسبة حلول شهر
رمضان المبارك . ويبدو في الصورة سمو الامير يصافح رئيس الحرس الوطني
الشيخ سالم العلي السالم .



اهداءات ٢٠٠٩

و الامير المعظم

احد الموا
بمناسبة حلول



مسجد صلاح الدين بالقاهرة

التمن

الكويت	٥.	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الأردن	٥.	فلسا
لبيبا	١٠	قروش
تونس	١٢٥	مليما
المجائر	دينار وربع	
المغرب	درهم وربع	
الخليج العربي	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥.	قرشا
مصر والسودان	٤.	مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار

فى الخارج ٢ ديناران

(او ما يعادلها بالاسترلينى)

اما الافراد فيشتركون راسا

مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
ص.ب : ١٣ هاتف : ٢٢٠٨٨ - الكويت

الوعى الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P. O. B 13

السنة السابعة

العدد الثانى والثمانون

غرة شوال ١٣٩١ هـ

١٩ نوفمبر « نشرين الثانى » ١٩٧١ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ
الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية
والسياسية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

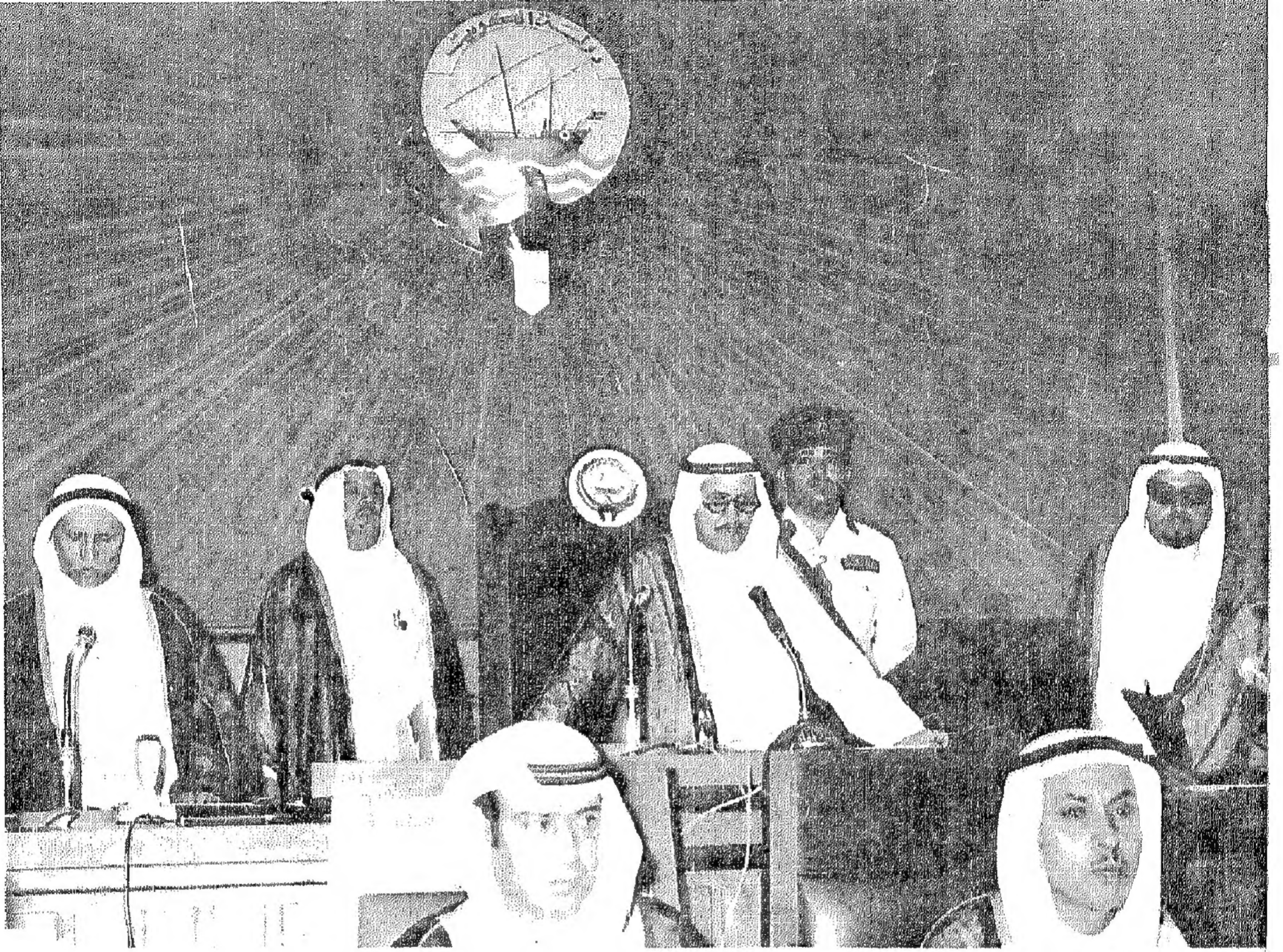
شمو الأمير المعظم

يفتح الدورة الجديدة لمجلس الأمة

كان يوم الثلاثاء السابع من شهر رمضان المبارك سنة ١٣٩١ هـ الموافق ٢٦ تشرين الأول (أكتوبر) سنة ١٩٧١ م يوما مشهودا من أيام الكويت الخالدة ، ففي صباح هذا اليوم الأغر تفضل حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم بافتتاح الدور الثاني للفصل التشريعي الثالث لمجلس الأمة وسط احتفالات رسمية وشعبية ، وقد استهلكت جلسة الافتتاح بتفضل سموه ... حفظه الله ... بالقاء توجيهه إلى السادة النواب ، ثم ألقى بمادة رئيس المجلس كلية رهب فيها بحضرة صاحب السمو الأمير المفدى ثم ألقى حضرة صاحب السمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء الخطاب الأميري الذي جاء مهيأ من سياسة الدولة على الصعيدين الخارجى والداخلى ، وفيما يلي توجيهه الكريم :

بعمونه تعالى وتوفيقه نفتتح فى شهر رمضان المبارك دور الانعقاد العادى الثانى من الفصل التشريعى الثالث لهذا المجلس .
أبنائى أعضاء مجلس الأمة :

انكم تبدأون هذه الدورة فى فترة حاسمة بالنسبة لامتنا العربية وقضاياها المصيرية .. وعلينا أن نكون يقظين ومستعدين لمواجهة أى طارئ .. وان هذه الأمة التى صمدت فى وجهه العديد من التحديات والشدائد عبر تاريخها الطويل لن تعجز عن التغلب على محنتها الحالية ، باستعادة حقوقها وتحرير الأجزاء المحتلة من أراضيتها ، متى عكست النية على ذلك .. وانها لفاعلة بآئنه تعالى .



سمو أمير البلاد المظفر الشيخ صباح السالم الصباح يلقي كلمة الافتتاح .

ولن نتثينا هذه القضية المصيرية عن مواصلة جهودنا في
الداخل لتطوير بلدنا طبقا لمتطلبات العصر في كافة المجالات ..
وانى واثق من انكم في مناقشاتكم لمشروعات القوانين المختلفة
التي ستحال اليكم في هذه الدورة ، وفي ممارستكم لصلاحياتكم
النيابية الأخرى لن تهتدوا الا بهدى الصالح العام وحده ، صالح
هذا البلد وصالح أمتنا العربية والاسلامية الخالدة . والله
يوفقكم ، ويكللنا برعايته .. والسلام عليكم ورحمة الله
وبركاته ..

مجتمع الايسكان

وتشريد اهله ، وما حل به من مظالم
ونكبات يسود لها وجه التاريخ . فاین
المواثيق والعهود . أين الحرية . أين
العدالة . أين الأمن والأمان . أين
التعاون والتراحم . لا وجود لشيء
من هذا الا في الفاظ معسولة وسطور
مكتوبة وقرارات معطلة . النتيجة
المنطقية لهذا الواقع الرهيب ان
تخطيط البشر وقوانين البشر ومناهج
البشر فشلت في ايجاد مجتمع فاضل
وتربية جيل صالح يتعايش أفرادہ فی
ظلال الرحمة والحب والآخاء .

بعد هذا نتساءل أين يوجد هذا
المجتمع وعلى أي أساس يقوم ، وهل
وجد فعلا ؟ . لقد أقام محمد صلى
الله عليه وسلم هذا المجتمع الفاضل
وربى أصحابه على المنهج السماوى
فكان المجتمع الذى يزكاه رب العالمين ،
وكان الجيل الذى شهد له احكم
الحاكمين « كنتم خير امة اخرجت
للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن
المنكر وتؤمنون بالله » .

كان مجتمع الحج الذى لا رقت فيه
ولا فسوق ولا جدال . . والمسلمون
يففلون عن النظر والتفكير فى مجتمع
الحج كل عام ، وهو مجتمع كبير وفريد
يبلغ عدد أفرادہ قرابة المليون نسمة ،
فيه من كل الشعوب والأجناس . من
كل البيئات والأقاليم . من كل
اللغات والألوان والطبقات فيه من

أمنية كل انسان ان يعيش فى
مجتمع تسوده الحرية والعدالة
والمساواة وترغرف عليه الوية الأمن
والسلام . وتقوم فيه المحبة والاخوة
بين الناس مقام القانون .

وهذه الأمنية طالما راودت خيال
الفلاسفة والحكماء من قديم الزمان ،
فكدوا عقولهم واجهدوا انفسهم فى
التخطيط والتنظيم لهذا المجتمع الخير
الفاضل ، ولكنهم وقفوا عند حدود
الألفاظ والكلمات ، ولم يجاوزوها
الى التنفيذ والتطبيق .

وجاء من بعدهم اقطاب السياسة
والقانون والاجتماع فى مختلف
العصور ، ففقتنوا وشرعوا واعلنوا
المواثيق ، ووقعوا المعاهدات وأنشأوا
المنظمات ، وعقدوا المؤتمرات ،
وحشدوا كل الطاقات لضمان حقوق
الانسان واحلال التعاون والتراحم
محل التقاطع والتخاصم فماذا كان
حصار تفكيرهم ونتاج جهودهم .

كان ما ترى وما نعيش فيه . عالم
يسوده الخوف والقلق ، ومجاعات
تهدد أكثر من نصف سكان العالم ،
وبيض يقتلون السود ، ومجازر بشرية
هنا وهناك ، وحروب دامية لا غاية
من ورائها الا حراسة مطامع
الأقوياء ، واستبقاء سيطرتهم على
ثروات الضعفاء . واقرب مثل الينا
شعب فلسطين ، واغتصاب أرضه ،

الأصقاع الباردة والمناطق الحارة والاقاليم المعتدلة . فيه من البيئات الصحراوية والزراعية والصناعية . فيه من الجبال والسهول والوديان . فيه الابيض والاصفر . فيه الفنى والفقر والقوى والضعيف . فيه الرجل والمرأه ، ولكل بيئة اثرها فى الطبع والاخلاق . فيه الهادىء الطبع والحاد الطبع ، فيه الحليم والغضوب . فيه انماط من الناس مختلفون ، ومع هذه الفروق فان هذا المجتمع تسوده الحرية والعدالة والمساواة وترفرف عليه ألوية الامن والسلام ، ويقوم على التراحم والتعاطف والتعاون ، فاین ذهبت هذه الفروق . ذابت كلها امام عقيدة التوحيد لا اله الا الله محمد رسول الله هذا هو الاساس الذى قام عليه هذا المجتمع ، وهذا هو الرباط الذى يربط بين افراده . فلا اقليمية ولا جنسية ولا عصبية ولا طائفية ولا مذهبية . آخت كلمة التوحيد بينهم حتى كانتهم اعضاء اسرة واحدة ، بل اعضاء جسم واحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء ، فالتعاطف بينهم يبلغ أشده . حتى لترى الدموع تنهمر عند اللقاء لانه لقاء الاخوة فى الايمان « انما المؤمنون اخوة » .

طابع هذا المجتمع الصدق . الصدق فى كل شىء . الصدق فى القول والعمل فى الجهر والنجوى فى السر والعلانية فى البيع والشراء ، فلا نفاق . ولا رياء ولا تظاهر ولا غش ولا خداع لا يكذب فيه الانسان على ربه ولا على نفسه ولا على الناس .

طابع هذا المجتمع المسلم الامانة والامانة التى تصل الى ذروتها مما ليس له مثيل فى جميع مجتمعات العالم . يترك الحاج ماله او متاعه فى

الطريق او فى مكان عام او خاص فلا تمتد اليه يد غير يد صاحبه ، بل ولا تحدثه نفسه بالاستيلاء على ما ليس له .

طابع هذا المجتمع العفو والصفح والتسامح واحتمال الهفوات والتجاوز عن الزلات ومقابلة السيئة بالحسنة . وفى هذا المجتمع تسود عاطفة التراحم وحب البذل والسخاء . نجد الحاج يدور بنفسه يبحث عن المحتاجين المتعفين وينقب عن المعوزين المستورين . يفرج كربتهم ويسد خلتهم فى ستر وحياء وهو فرح بما ياخذون .

المال الذى يتحرك فى يد هذا المجتمع مال طيب وكسب حلال لا شبهة ولا ريبة فيه . النظام والتوقيت واداء الواجب فى موعده المناسب هو القانون الذى يسير عليه هذا المجتمع هذا المجتمع لا يعرف الفحش ولا الفسوق . طابعه العفة والطهر ، تلبس فيه المرأة ثيابها السابغة السائرة ، وتؤدى مناسكها مع الرجال جنباً الى جنب ، فلا تلمح نظرة خائنة ، ولا لفظة ماجنة ولا كلمة نابية ، ولا تبرجا جاهليا .

هذا هو مجتمع الحج وهو مجتمع مثالى نموذجى قام على الدين وعاش بالدين وتحرك فى حدود تعاليمه والترم اخلاقه وآدابه بوحي من عقيدته لا محرك يحركه الا مرضاة الله ولا حاجز يحجزه الا مراقبة الله والخوف منه .

فهل يعنى ذلك المسلمون ، وهل يقتنعون بانه لا صلاح لامرهم الا باتباع صراط الله « وان هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » .

مدير ادارة الدعوة والارشاد رضوان البيلى



للدكتور علي عبد المنعم عبد الحميد
الاستاذ بجامعة الكويت

بذء الوحي

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت :

« أول ما بدى به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حُبب إليه الخلاء ، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه ، وهو « التعمد » الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها ، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء ، فجاءه الملك فقال اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارىء ، قال : فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني ، فقال : اقرأ فقلت ما أنا بقارىء ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال اقرأ : فقلت ما أنا بقارىء فأخذني فغطني الثالثة ، ثم أرسلني ، فقال : اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم » فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد ، فقال : زملوني ، زملوني ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، فقال لخديجة وأخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسي ، فقالت له خديجة : كلا ، والله ما يخزيك الله أبدا ، أنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق ، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد المزي ابن عم خديجة ، وكان أمرا تنصر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبراني ، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخا كبيرا قد عمى ، فقالت له خديجة : يا ابن عم اسمع من ابن أخيك ، فقال له ورقة يا ابن أخي ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى ، فقال له ورقة : هذا الناموس الذي نزل الله على موسى ، يا ليتني فيها جذعا ، ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو مخرجي هم ؟ قال : نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرا ، ثم لم يلبث ورقة أن توفي ، وفتر الوحي .. »

— رواء البخساري —

الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمل ، فالذين اصطفاهم الله جلت قدرته لحمل رسالاته الى البشر هم القمة العليا في الانسانية ، لا يدرك مداهم ، ولا يبلغ شأوهم ، ولا تقال بالاكتماب درجاتهم ، فهم أساة القلوب ، وهداة النفوس ، وقادة الخير ، ودعاة الفضل ، ودعامة كل كمال ، لهم القدح المعلى في زيادة السعادة ، منشودة الادميين وضالتهن ، تلك السعادة التي يريدتها الله تبارك وتعالى لخلقه وهو اعلم بمكانها ومدارجها ، وسيدنا رسول الله عليه افضل الصلاة وازكى السلام في القمة من صفوة الرسل ، هو خاتمهم ، وشريعته سيدة شرائعهم ، جئمت افضل ما جاءوا به من عند ربهم ، وقفت على آثارهم بما اراد الله ان يكون كفيلا بحاجة الناس في معاشهم ومعادهم ، وكلما ارتفع قدر الشيء كلما غلا ثمنه وعز مطلبه ، وبعد مناله ، والسائرون في السفح تلتوى رقباهم ليروا القمة وتعميا بهم اقدامهم فلا يصعدوا اليها ، فيحاولون النيل منها بذمها ، وينسجون القصص ويشبعون الخيال في الحديث المسيء الى ما اشتملت عليه ، وما اكننه مما لم يدركوه ، ومقام النبوة مقام له سبقه واسراره وقداسته ، حاول كثيرون ممن لم يحترموا عقولهم ، ولم يضعوا انفسهم في مكانها اللائق ان ينالوا من ذلك العلم الاسم فوهنوا وضعفوا ووقعوا صرعى حيث هم ، وكان مما اوردوا شبيها واهية حول الوحي والرسالة ، ولا اطيل الوقوف مع هؤلاء المغرضين هنا ، وانما اسوق حديثا يصف واقعا من وقائع ما كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وما حدث له ، يرى القارئ صورة لذلك المختار لحمل اضخم رسالة واقوى دعوة متحملا اعنت المعارضات ومقابلا قحة الحاقدين بنور يهر وضياء لا يقهر ، وقد تمثل في سلوكه قبل الرسالة الجلال كله ، والفضل جميعه فنمت الصادق الامين من الاقربين والابعدين ، من الاعداء والاصدقاء ، ولما ضاق بالبيئة العمياء عن الهدى ذرعا تحنث في الفار وتعبد ، وهجر رواد الاصنام ، واعتزل مجالهم وخلا بروحه وسما بنفسه وبعد عن مدارج القوم وعاف مسالكهم ، وكان هذا إرهاصا بما سيكون له من شأن ، وما سيحمله من هدى ورحمة للعالمين ، وصقلا ربانيا لتلك النفس الابية الطاهرة لتكون على مستوى خاص يريده رب العالمين ، وباريء الكون ، فربطه بجلاله في يقظته ومنامه فيقظته عليه افضل الصلاة والسلام تأمل وتدبر لهذا الكون وبحث عن اسراره ، وفي منامه يمد له خيط النور الذي سيقوى ويبدد الظلام ، ويأتي على ديجور هذه المخلوقات الهائمة على غير رشد وليأخذ بيدها الى حيث ربها وبارئها الى دار تزخر مجتمعاتها بالتراحم والسلام ، وتنقى زيف ام دفر وضلالها ، وفي هذا المقام لن اعيب القارئ بايراد شبه وتفنيدها ولكن سأمر به في رجاب هذا الحدث الضخم المتصل بسيد الرسل والمستهل على ما اعيا جهد ارباب الفكر ، وما لو سلوكه طريقا هاديا ، ولو اتخذوه إماما ورائدا وعضوا عليه بالنواجذ لكانوا كما اوضح بحكم التنزيل خير مصادر الخير التي اخرجت للعالمين .

في هذا الكلم الطيب الذي قصته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعن قريناتها شرح وايضاح للطريق الذي سلكته دعوة الله الى رسول الله ان يحمل ما حمل وان يبلغ ما كلف بتبليغه ، وكيف بادعه الوحي ، وان رؤيا الانبياء وحي والوحي إعلام من اصطفاهم الله من عباده بكل ما اراد إطلاعهم عليه بطريقة خاصة اتخذت اشكالا متعددة كلها بعيدة عن ادراك الانسان لو ترك ونفسه ، وقد كان الوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مبتدا في المنام كما تحدث هنا أم

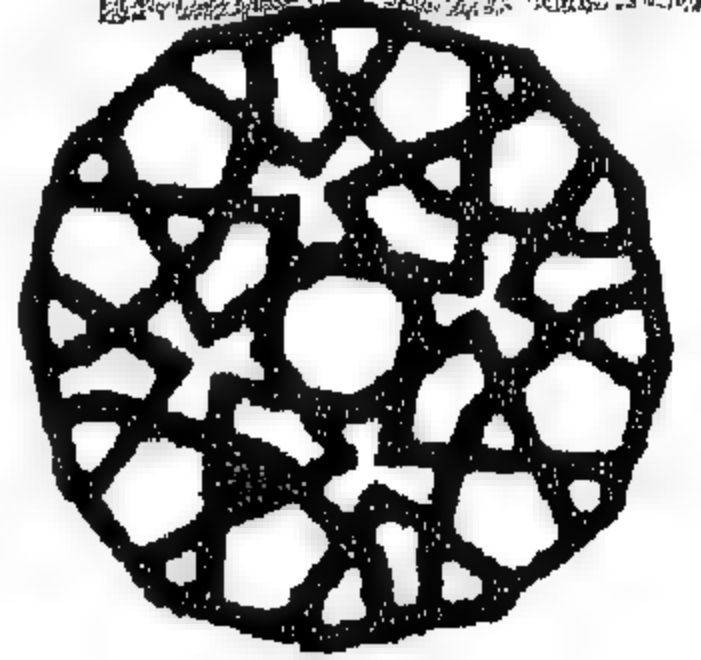
المؤمنين ، ثم تنوع كما صورته رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه حين أجاب سائله كيف يأتيك الوحي فقال : « أحيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس وهو أشده على فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال ، وأحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فأعنى ما يقول ، وفى النص الذى نحن بصدده هنا أن رسول الله عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام فوجيء على غير انتظار بمن يدعو الى شيء لا يحسنه ولم يلم به وهو القراءة ، ويناديه من حيث لا يتوقع نداء مؤكدا عليه أن يقرأ ويقرأ فيرسم بذلك خطة المستقبل وأنه لا حياة بلا علم ولا علم بدون قراءة وتعلم وأن أول معلمى هذه الأمة الامية هو أعظم خلق الله قدرة على تلك الاستاذية الفذة فى بابها العجيبة فى توجيهها ، الغريبة على الناس فى بدايتها ومنتهاها . وحين يذكر سيدنا رسول الله حقيقة واقعه لمناديه السماوى وأنه لا يدري ما القراءة يجيبه : اقرأ باسم ربك ، فأنت لا تقرأ بقرآنك ولا بمعرفتك ، لكن بحول ربك ، ومعاونته فهو يعلمك كما خلقك ، وسيعلم أمتك فتخط بالقلم بعد أن كانت أمة أمية ويعيد الرسول جوابه بنفى القراءة وأنه لا يعرفها ويتكرر عليه الامر بها وهنا يضمه مناديه بصورة لا يعلمها الا الله ولا يدري كنهها الا موجدتها ، ويغط الرسول صاحبه ، « واللفظ هو العصر الشديد والكبس » ، ويبلغ هذا الفعل من رسول الله الجهد ، ورجع الى سكنه وعبه سره ، والسيدة الاولى فى الاسلام خديجة بنت خويلد ورجف فؤاده يضطرب اضطرابا شديدا من هول ما رأى وما حدث له طالبا من أفضل النساء وأعزهم وأقربهم الى قلبه وأحناهم على ولد رضى الله عنها وعن بنيتها وبناتها أن تزلمله وتدثره وقد أصابته الحمى فارتعش البدن ، واضطرب الفؤاد ، وذهبت نفسه الشريفة شعاعا ، وجالت به التأملات كل مجال وهو لم يدرب بعد أن هذه مقدمة رسالة ، ومبدأ وحي السماء ، وأول خطوة فى رحلة شاقة مضنية مع البشر العتاة الذين لا يرون الحق حقا ولا يدركون من حقائق وجودهم شيئا ، وهنا فى هذا الموقف العصيب ، وبعد دوى الحادث الرهيب وبين ذراعى السيدة المصطفاة زوجه له ، تلكم العاقلة الاربية ، والفهمة اللبية ، التى أدركت — سابقا — يثاقب فكرها وذكايتها وقوة بصيرتها أن هذا الفتى محمد ليس كالفتيان ، ولا هو من نماذج درجات أمام عينيها دهرا طويلا ، وانما هو من له شأن آخر لكنها لا تدري تماما ما هو ذاك الشأن فاخترته زوجا . على بعد بينهما فى الثروة والمال ، ومفارقة فى السن والحياة ، واقتربت به رغم مجافاة ما فعلت لما عليه بنات جنسها فى كل زمان ، وقبل هو واستجاب لداعيها وعدّها نعمة أنعمها الله عليه وقد كانت هذه هى خديجة بنت خويلد تضرب المثل الاعلى للزوجة ذى القلب الكبير ، والادراك النادر الشبيه ، المنقطع النظير ، الزوجة التى تعرف زوجها من خلال دراستها الفاحصة لسلوكه ، والتى تقيم حركاته وسكناته وترزنها بسمو أدركته منه هى وحدها ، عالمة أنها لا تساكن قرشيا اعتادته دروب مكة وشعابها ولا فتى يمر عابرا بحياة البداوة مجتازا قفارها ثم يمضى الى حيث ينسى ، وانما لمحت بمدركة نافذة تتمطى الظواهر الى اللباب ، وتغوص فى الاعماق على الدر النادر ، واللالى الغالية ، تلمح هذا بيسر ودون عناء فى اجابتها لسيدتها حين أبدى لها القلق الذى يساوره ، والالم الذى يعتصر قلبه ، والخوف من نهاية غير مرتضاة والوصول الى نتيجة ليست هى مبتغاه من تحننه الليالى ذوات — العدد وحيدا الا من الانس بربه ، وغريدا الا من عناية عالم السر وأخفى ، مقدمات أوردتها تلك السيدة الحبيبة الى قلوب رواد خير الدنيا وطلاب سعادة الآخرة ، وبنت عليها نتائج ما كذبت لأنها لم تحمل خسة القضايا الكاذبة وانما كانت موجهة دائما وكلية

دائما ، وتأمل أخى القارئ العزيز قولها وحسن أيرادها لما أوردت فهي تقول
متعجبة من سيدها حين يخاف على نفسه ويخشى عليها السوء من احتمالات
أوردها الناظرون فى هذا الحديث وأوصلوها الى اثنى عشر صنفا من بينها خشية
الجنون والمرض ، أو خشية الاخفاق فيما كان يزومه ولا يستطيع أن يعبر عنه أو
يقر به فهما الى نفسه فضلا من غيره ، تعجب السيدة خديجة رضى الله عنها
الجديرة بحب سيد المرسلين وحفظه لذكراها حتى بعد التحاقها بالرفيق الأعلى
وتسوق عليها رضوان الله تلك الكلمات الحلوة الجميلة الغنية حتى فى الفاظها
بكل ما تدل عليه وما اتخذت منه علمها : كلا يا سيدى لا والف لا يا سيدى ، أعيدك
من تلك الفكر ، فأنت الذى لا يخزيك الله أبدا فلك فعال ليس فى نتائجها ما تتصوره
أو ما تتوقعه فأنت أنت الذى يحمل الكل (يفتح الكاف) ويصل الرحم ، ويكسب
المعدوم ، ويقرى الضيف ، ويعين على نوائب الحق ، وتلك لعمر الحق خلال ما
اتصف بها انسان وأضاعه الله أو تخلت عنه عناية ربه ، وانما هى دواعى
الحفظ والرعاية من رب العالمين ، وسمو القدر والمكانة بين الناس أجمعين .

وهنا نمسك القلم قليلا فنور سيدنا رسول الله يغشى الأفئدة فيضيئها
ويغشى الضلالة ويبددها ، وحديث السيدة الحبيبة الى رسول الله وإلى قلوب
المؤمنين يحتاج الى كثير من الوقوف فى رحابه ، ومزيد من الطرق لبابه ، زيادة
على عظمة ما كان منها بعد ذلك مع سيد المرسلين ، ولهفتها على تطمينه وإعادة
السكينة الى قلبه وانى لأراها أشد حرصا على معرفة نتيجة ما حدث من أى
انسان عاصرها أو جاء بعدها فذهبت رضى الله عنها مثلا عزيز المنال فى كمال
العشيرة وجمال السكن وعظمة العقل الانسانى حين ينفتح وحين يؤمن بحقه فى
الكرامة ، ومكانته فى الحياة الحرة العزيزة فالى لقاء قريب مع سيدة المؤمنين
وسيدها رسول الله الى الناس أجمعين . والحديث موصول ان أذن رب كل شىء
سبحانه .

دفاع عن
كتاب الله
تعالى

قضية الكلمات العجمية



في ضوء الدراسة والبحث

لم تكن اللغة العربية قبل نزول القرآن الكريم لغة ضعيفة في مفرداتها ، وتراكيبها ، وألفاظها ومعانيها ، بل كانت لغة تحمل في طياتها عناصر الحياة ، وقوة التعبير ، وجمال الكلمة ، ورشاقة الألفاظ ، وغزارة المعاني .

أجل ، لم تكن اللغة العربية بلغت من الشيخوخة ، يدب في أوصالها الوهن ، ويمتريها الضعف لتلفظ أنفاسها الأخيرة ، ولكنها كانت في طور الشباب ، قوية فتية ، تسحرك بألفاظها ، وتدهشك بمعانيها ، وتأخذ بمجامع قلبك ، حينما تصفى إليها في مجالات التعبير المختلفة : شعرا وخطابة ، ومحاورة ، وأمثالا .

وهذه اللغة التي بلغت القمة في التعبير عن المعاني المختلفة ، المحسوسة أو المعقولة ، في اللفاظ جزلة ، وعبارات متأخية ، وكلمات عذبة ، هذه اللغة نزل بها القرآن الكريم ، ليتحدى من يملكون ناصية هذه اللغة في مجال فصاحة الكلمة ، وبلاغة المعنى ، وجمال الأسلوب ، (فأقر جميعهم بالعجز وأذعنوا له بالتصديق ، وشهدوا على أنفسهم بالنقص إلا من تجاهل منهم وتعالى ، واستكبر وتمعش ، فحاول تكلف ما قد علم أنه عنه عاجز ، ورام ما قد تيقن أنه عليه غير قادر ، فأبدى من ضعف عقله ما كان مستورا ، ومن عى لسانه ما كان مصونا ، فأتى بما لا يعجز عنه الضعيف الأخرق ، والجاهل الأحق ، ففسال : والطاحنات طحننا ، والعاجنات عجننا ، فالخابزات خبزنا ، والثارذات ثرذنا ، واللاقمات لقمننا ، ونحو ذلك من الحماقات المشبهة دعواه الكاذبة) (١) .

واستطاعت اللغة العربية أن تستقي من هذه المعجزة الخالدة مسا أعانها على التطور العجيب في صيغها وتراكيبها ومفرداتها ، وأساليبها ، فبلغت بالقرآن الكريم درجة من الرقي ليس بعدها درجة .

في القرآن الكريم

للكنوز عبد العال سالم مكرم

وقد لفتت هذه المكانة التي وصلت اليها العربية انظار كثير من المستشرقين المتعصبين منهم وغير المتعصبين ، فهذا (آرنست رينان) يقول في كتابه : (تاريخ اللغات السامية) ما نصه : « من أغرب المدهشات أن تنبت تلك اللغة القوية ، وتصل الى درجة الكمال وسط الصحراء عند أمة من الرحل تلك اللغة التي لماقت أخواتها بكثرة مفرداتها ، ودقة معانيها ، وحسن نظام مبانيها ، ومن يوم علمت ظهرت لنا في حلل من الكمال الى درجة أنها لم تتغير أي تغيير يذكر ، حتى أنها لم يعرف لها في كل أطوار حياتها لا طفولة ولا شيخوخة » (٢) ، وأعجبنى ما كتبه (جول فرن) في قصة خيالية أشاد فيها بلغة القرآن ، ذلك لأنه بنى قصته الخيالية (على سياح يخترقون طبقات الكرة الأرضية حتى يصلوا ، أو يدنوا من وسطها ، ولما أرادوا العودة الى ظاهر الأرض بدا لهم أن يتركوا هنالك أثرا يدل على رحلتهم ، فنقشوا على الصخر كتابة باللغة العربية ، ولما سئل (جول فرن) عن وجه اختياره للغة العربية قال : أنها لغة المستقبل ، ولا شك أنه يموت غيرها ، وتبقى حية حتى يرفع القرآن نفسه » (٣) .

ولما كانت لغة القرآن الكريم لغة التحدي والاعجاز على هذا المستوى الرفيع من البلاغة والفصاحة ، فاني لا أستطيع أن أقبل ما يدعيه بعض العلماء والرواة من أن القرآن الكريم اشتمل على كلمات أعجمية ، ليست عربية الصنع ، وقبل أن أعرض رأيي في هذه القضية أرى أن أبسط آراء العلماء حولها ، ليكون القارئ على بينة من أمرها . ثم أختتم بحثي برأيي الذي أعتقد في هذا الموضوع :

١ - أما الكلمات الأجنبية التي ثار حولها الجدل ، واحتدم النقاش ، فهذا بعض منها :

١ - ما ورد بلسان الحبشة : قال الطبري : حدثنا عنبسة عن أبي

اسحاق ، عن أبي الأحوص عن أبي موسى : (يؤتكم كفلين من رحمته) (٤)
قال : الكفلان = ضعفان من الأجر بلسان الحبشة .

وعن أبي اسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس : « ان ناشئة الليل » (٥) قال : بلسان الحبشة : اذا قام الرجل من الليل ، قالوا : نشأ .
= وعن أبي اسحاق عن أبي ميسرة : « يا جبال أوبى معه » (٦)
سبحى بلسان الحبشة .

وحدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن
ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن قوله : « فرت من قسورة » (٨)
قال : هو بالعربية : الأسد ، وبالفارسية : ثار ، وبالحبشية قسورة (٨) .
وقال السيوطي في الاقتان = الأواه = الموقن بلسان الحبشة :
الدرى : المضيء : بلسان الحبشة (الجبت) : اسم الشيطان بلسان
الحبشة (٩) . وقال الزركشي في البرهان في علوم القرآن : المشكاة :
الكوة بلسان الحبشة (١٠) .

٢ — ما ورد بلسان الفرس :

الآباريق : جمع أبريق : التنور — الدينار : السرايق — الاستبرق :
الزنجبيل .

٣ — ما ورد باللسان الروماني :

الرقيم : اللوح ، القسطاس : العدل ، طفقا : قصدا .

٤ — ما ورد باللسان العبري :

كيل بعير = البعير : الحمار . الأليم = المؤلم . درست = قرأت .
هدنا = تبنا . راعنا = كلمة سب .
الرخمن : ذهب المبرد وثعلب الى انه عبراني ، وأصله الخاء
المعجمة .

٥ — ما ورد باللسان القبطي :

الملة الآخرة = الأولى : والقبط يسمون : الآخرة : الأولى ، والأولى :
الآخرة . بطائنها = ظواهرها : وراءهم ملك : أمامهم . اليم = البحر .

٦ — السريانية : الطور — جبل .

٧ — اليونانية : سريا = النهر الصغير .

٨ — الزنجية : حصب جهنم : حطب جهنم : وقولوا حطة : صوابا .

٩ = القبطية : « رهوا : سهلا . سيدها : زوجها بلسان النبط ، قال
أبو عمرو : لا أعرفها في لغة العرب .

١٠ — كلمات مختلف في نسبتها :

السجل : قيل حبشي ، وفي المحتسب لابن جنى : فارسي معرب .
السندس : قيل : رقيق الديباج بالفارسية ، وقيل الرقيق من الستر
بالهندية .

١١ — كلمات أعجمية غير منسوبة . الرس : ومعناه البئر منسبيل :
عجمي (١١) .

وقد أفرد السيوطي هذه الكلمات الأعجمية بالتصنيف ، وسميها
(المذهب فيما وقع في القرآن من المعرب) . وقد نظم تاج الدين السبكي
منها سبعة وعشرين لفظا في أبيات جاء فيها :

السلسبيل ، وطه ، وكورت ، بيع
روم ، وطوبى ، وسجيل ، وكافور
والزنجبيل ، ومشكاة مرادق مع
استبرق ، صلوات سندس طور
كذا قراطيس ربانيهم ونمـارق
ثم دينار ، القسطاس مشهور
له مقـاليد فردوس يعد كـذا
فيها حكى ابن دريد فيه تنـور

وقد ذيل الحافظ بن حجر على هذه الأبيات ، وذيل السيوطي عليهما
بالباقى وهو بضع وستون ، فتمت أكثر من مائة لفظة (١٢) .

ب (آراء العلماء حول هذه الكلمات :

١ = رأى من يقول انها أعجمية :

يستند هؤلاء فى هذا الراى الى ماروى سعيد بن جبير قال : قالت
قريش : لولا أنزل هذا القرآن على رجل (أعجميا ، وعربيا) فأنزل الله
تعالى ذكره : « ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا : لولا فصلت آياته الأعجمى
وعربى ، قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء » (١٣) فأنزل الله بعد هذه
الآية فى القرآن بكل لسان (١٤) .

وعن أبى ميسرة قال : فى القرآن من كل لسان « (١٥) .

ومن العلماء الذين يرون هذا الراى الامام (الجوينى) ، ففى رايه انه
لا يستنكر وقوع المعرب فى القرآن الكريم ، بل يرى أن له فائدة فى مجال
البلاغة والبيان ، قد لا يشعر بها كثير من الناس ، لأنها تخفى عليهم بما
نشتمل عليه من دقة البيان ، وسر الإعجاز . استمع اليه يقول مدافعا عن
كلمة (استبرق) ما نصه : « فان قيل : أن استبرق ليس بعربى ، وغير
العربى من الألفاظ دون العربى فى الفصاحة والبلاغة فنقول : لو اجتمع
فصحاء العالم ، وأرادوا أن يتركوا هذه اللفظة ، ويأتوا بلفظ يقوم مقامها
فى الفصاحة لعجزوا عن ذلك ، وذلك ، لأن الله تعالى اذا حث عباده على
الطاعة ، فان لم يرغبهم فيها بالوعد الجميل ، ويخوفهم بالعذاب الوبيل ، لا
يكون حثه على وجه الحكمة . . الى أن يقول : ثم ان الوعد بما يرغب فيه
العقلاء ، وذلك منحصر فى أمور : الأماكن الطيبة ، ثم المأكلى ، والمشارب ،
ثم الملابس الرقيقة ، وكان ينبغى أن يذكر من الملابس ما هو أرفعها ، وأرفع
الملابس فى الدنيا الحرير ، ثم ان الثوب من غير الحرير لا يعتبر فيه
الوزن والثقل ، وربما يكون الخفيف أرفع من الثقيل . الوزن ، وأما الحرير
فكلما كان ثوبه أثقل كان أرفع ، فحينئذ وجب على الفصيح أن يذكر
الأثقل الأثمن ، ولا يتركه فى الوعد ، لئلا يقصر فى الحث والدعاء ، ثم ان
هذا الواجب الذكر ، اما أن يذكر بلفظ واحد ، موضوع له صريح ، أو لا
يذكر بمثل هذا ، ولا شك أن الذكر باللفظ الواحد الصريح أولى ، لأنه
أوجز وأظهر فى الفائدة ، وذلك (استبرق) ، فان أراد الفصيح أن يترك
هذا اللفظ ، ويأتى بلفظ آخر لم يمكنه ، لأن ما يقوم مقامه ، اما لفظ واحد
أو ألفاظ متعددة . ولا يجد العربى لفظا واحدا يدل عليه ، لأن الثياب من

الحريز عرفها العرب من الفرس ، ولم يكن لهم بها عهد ، ولا وضع قسى
اللغة العربية للديباج الثمين اسم ، وإنما عربوا ما سمعوا من المعجم ،
واستغنوا عن الوضع لقلة وجوده عندهم ، وندرة تلفظهم به ، وأما أن ذكره
بلفظين فأكثر فإنه يكون قد أخل بالبلاغة ، لأنه ذكر لفظين بمعنى يمكن ذكره
بلفظ — تطويل فاعلم بهذا أن لفظ (استبرق) يجب على كل فصيح أن يتكلم
به في موضعه ، ولا يجد ما يقوم مقامه (١٦) .

٢ - رأى من يقول : انها عربية :

على رأس هؤلاء الامام الشافعى رضى الله عنه ، فقد أنكر كل الإنكار
أن تكون هذه الكلمات اعجمية الصنع ، لأن القرآن الكريم نزل بلسان
عربى مبين . ولا يمكن أن يصدق العقل ، أو يطمئن القلب الى مثل هذه
الروايات ، التى تدعى اعجمية بعض الكلمات ، فالقرآن الكريم فى نظر
الامام الشافعى من الفه الى يائه عربى فصيح ، لم يستمر كلمة من غير لغة
العرب ، لأنه ليس فى حاجة اليها ، بل احاط بهذه اللغة احاطة كاملة ،
لأنه من صنع الله ، وصنع الله لا يتوقف على معونة فى كلمة أو كلمات ،
تقدم اليه من مختلف اللغات .

وكان الشافعى صريحا كل الصراحة فى هذا الاتجاه ، مومنا كل
الايمان بهذا الراى . لدرجة أنه قدم النصيحة خالصة ، حارة ملتهبة لهؤلاء
الذين يدعون ما يدعون ليتركوا هذا الانحراف فى الراى ، حتى يسلم لكتاب
الله جلاله وسلطانه .

وانى اترك المجال للشافعى ، ليعرض علينا رايه ، معززا بالحجة ،
مدعما بالبرهان ، قال الشافعى فى الرسالة :

« نقال منهم قائل : ان فى القرآن عربيا واعجميا » فرد الامام على
هذا الادعاء بقوله : « والقرآن يدل على ان ليس من كتاب الله شىء الا
بلسان العرب ، ولسان العرب اوسع الالسننة مذهبيا ، واكثرها الفاظا ،
ولا تعلمه يحيط بجميع علمه انسان غير نبى » الى ان يقول :

فان قال قائل : ما الحجة فى أن كتاب الله محصن بلسان العرب
لا يخلطه فيه غيره ؟ فالحجة فى كتاب الله ، قال الله تعالى : وما أرسلنا من
رسول الا بلسان قومه « (١٧) فان قال قائل : فان الرسل قبل محمد كانوا
يرسلون الى قومهم خاصة ، وان محمدا بعث الى الناس كافة ، فقد يحتمل
أن يكون بعث بلسان قومه خاصة ، ويكون على الناس كافة ان يتعلموا
لسانه ، وما اطاقوا منه ، ويحتمل أن يكون بعث بالسنتهم ، فهل من دليل
على أنه بعث بلسان قومه خاصة دون السنة المعجم ؟ ويزد الشافعى على
هذا الاعتراض بقوله :

فاذا كانت الالسننة مختلفة بما لا يفهمه بعضهم عن بعض ، فلا بد
أن يكون بعضهم تبعا لبعض ، وأن يكون الفضل فى اللسان المتبع على
التابع .

وأولى الناس بالفضل فى اللسان من لسانه لسان النبى ، ولا يجوز
والله أعلم أن يكون أهل لسانه أتباعا لأهل لسان غير لسانه فى حرف واحد
بل كل لسان تبع للسانه ، وكل أهل دين قبله ، فعليهم اتباع دينه .

بهذا المنطق القوي رد الشافعي هذا الاعتراض ، ولكنه لم يكتف بذلك فوثق هذا الرد بكتاب الله تعالى في وضوح يبدد الباطل ، وصراحة تكشف البهتان فيقول : وقد بين الله ذلك في غير آية من كتابه : قال الله : « وانه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الامين ، على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربي مبين » (١٨) ، وقال : « وكذلك أنزلناه حكما عربيا » (١٩) وقال : « وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا لتتذر أم القرى ومن حولها » (٢٠) وقال : « حم والكتاب المبين أنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون » (٢١) وقال : « قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون » (٢٢) .

قال الشافعي : فأقام حجته أنه كتاب عربي في كل آية ذكرناها ، ثم أكد ذلك بأن نفى عنه جل ثناؤه كل لسان غير لسان العرب في آية من كتابه ، فقال تبارك وتعالى : « ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر ، لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين » (٢٣) .

وقال : « ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته الأعجمي وعربي » (٢٤) ، ويختم الشافعي دفاعه عن كتاب الله تبارك وتعالى بهذه النصيحة العالية فيقول : « فكان تنبيه العامة على أن القرآن نزل بلسان العرب خاصة نصيحة للمسلمين والنصيحة لهم فرض لا ينبغي تركه ، وإدراك نافلة خير لا يدعها إلا من سفه نفسه ، وترك موضع حظه ، وكان يجمع مع النصيحة لهم قياما بإيضاح حق وكان القيام بالحق ، ونصيحة المسلمين من طاعة الله ، وطاعة الله جامعة للخير . » (٢٥)

بهذا الرد المقنع ، وبهذه النصيحة الخالصة دافع الإمام الشافعي عن قضية عروبة هذه الكلمات ، دفاعا حارا لزم فيه المنطق القوي ، والحجة البالغة والدليل القرآني القاطع .

وإني حرصت كل الحرص على تسجيل عبارات الشافعي بنصها في هذا المجال ، لأنها تحمل من حرارة الدفاع عن كتاب الله أكثر مما تحمل عباراتي .

وفي هذا الخط الذي رسمه الشافعي اتجه الإمام الطبري في تفسيره هذا الاتجاه وكأنه بآرائه التي بسطها في هذه القضية يضع الدلائل الواضحة على صحة رأي الشافعي ، ذلك لأنه يرى أن هذه الكلمات الأعجمية ، اتفقت بالفاظها ومعانيها مع الكلمات العربية ، فليس من المنطق أن نقول : أنها غير عربية بل هي عربية أعجمية : يقول الطبري : « ولم يستنكر أن يكون من الكلام ما تتفق فيه الفاظ جميع أجناس الأمم المختلفة اللسان بمعنى واحد ، فكيف بمعنيين معا ؟ ويقول أيضا ، كما قد وجدنا اتفاق كثير منهم فيما قد علمناه من اللسان المختلفة . وذلك كسالدراهم ، والدينار ، والدواة والقلم والقرطاس وغير ذلك مما يتعب احصاؤه ، ويميل تعداده . »

على أن الطبري لم ينكر هذه الآثار المروية عن ابن عباس ، أو عن سعيد بن جبير ، بل يقرر صحتها من وجه آخر ، غير ما يدعيه هؤلاء الذين يقررون أنها أعجمية فيقول : « فلو أن قائلًا قال فيما ذكرناه من الأشياء التي عددنا ، وأخبرنا اتفاقه في اللفظ والمعنى بالفارسية والعربية ، ومما أشبه ذلك عما سكتنا عن ذكره ، ذلك كله عربي لا فارسي ، أو قال : بعضه عربي ، وبعضه فارسي ، أو قال : كان مخرج أصله عند العرب ،

فوقع الى العجم فنطقوا به ، او قال : كان مخرج أصله عند الفرس ، فوقع الى العرب فأعربته — كان مستجهلا ، لأن العرب ليست بأولى أن تكون كان مخرج أصل ذلك منها الى العرب ، اذ كان استعمال ذلك بلفظ واحد ، ومعنى واحد موجودا في الجنسين ، فليس أحد الجنسين أولى بأن يكون أصل ذلك كان من عنده من الجنس الآخر . . بل الصواب في ذلك عندنا أن يسمى عربيا أعجميا ، او حبشيا عربيا اذا كانت الأمتان له مستعملتين . الى أن يقول : « وذلك هو معنى ما رويانا عنه القول في الأحرف التي مضت في صدر هذا الباب من نسبة بعضهم بعض ذلك الى لسان الحبشة ، ونسبة بعضهم بعض ذلك الى لسان الروم ، لأن من نسب شيئا من ذلك الى ما نسبه اليه لم ينف بنسبته آياه الى ما نسبه اليه أن يكون عربيا » (٢٦) .

وتتفق وجهة نظر أبي عبيدة معمر بن المثنى مع الامام الشافعي والطبري ، فيقول : « نزل القرآن بلسان عربي مبين ، فمن زعم أن فيه غير العربية ، فقد أعظم القول ، ومن زعم أن (طه) بالنبطية فقد أكبر ، وقد يوافق اللفظ اللفظ ، ويقاربه ، ومعناها واحد ، وأحدهما بالعربية ، والآخر بالفارسية أو غيرها » (٢٧) .

ومع أن أبا عبيدة دافع عن عروبة هذه الكلمات إلا أن الامام اللغوي الزبيدي صاحب تاج العروس ينسب الى أبي عبيدة رأيا آخر يوفق بين المانعين والمجوزين يقول : « قال أبو عبيدة : والصواب عندي مذهب فيه تصديق القولين جميعا وذلك أن هذه الحروف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء إلا أنها سقطت الى العرب فأعربتها بالسنتها ، وحولتها من الفاظ العجم الى الفاظها ، ثم لما نزل القرآن ، وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب ، فمن قال : إنها عربية ، فهو صادق ، ومن قال : عجمية فهو صادق » (٢٨) .

ج = رأى ومناقشة :

في رأيي أننا اذا أردنا أن تصل الى حل حاسم لهذا الاشكال ، فانه لا بد من الرجوع الى التاريخ العربي لنستفتيه في هذه القضية التي كثر فيها الجدل ، واحتدم النزاع بين العلماء .

اننا اذا رجعنا الى التاريخ ليدلنا على كلمة (عرب) فماذا نجد ؟ نجد اختلافا كبيرا بين رجال اللغة من العرب في مدلول هذه الكلمة ، فقد قال ابن منظور في كتابه الكبير : لسان العرب ما نصه : « واختلف الناس في العرب لم سموا عربا ؟ فقال بعضهم أول من انطق الله لسانه بلغة العرب يعرب بن قحطان ، وهو أبو اليمن كلهم ، وهم العرب العاربة ، ونشأ اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام معهم ، فتكلم بلسانهم ، فهو وأولاده العرب المستعربة .

وقيل : أن أولاد اسماعيل نشئوا بعربة ، وهي من تهامة ، فنسبوا الى بلادهم .

ثم قال صاحب اللسان ، وكل من سكن بلاد العرب ، وجزيرتها ونطق بلسان أهلها فهم عرب ، يمينهم ، ومعدهم (٢٩) .

والمستشرقون وعلى رأسهم المستشرق (ولفنسون) في كتابه

(تاريخ اللغات السامية) : يرى أن كلمة (عرب) كانت مستعملة فى اللغة العبرية القديمة لتدل على أهل العربية (الصحراء) أى لنوع خاص من قبائل الجزيرة العربية (٣٠) .

ويرى هذا المستشرق أن ما يقال فى المعاجم اللغوية العربية من أن هناك فرقا بين كلمتى عربى وأعرابى ، وتخصيص الاولى بسكان المدن ، والثانية بسكان البادية فلم يحدث الا فى عصور قريبة من ظهور الاسلام أما قبل ذلك فلم يكن هناك فرق مطلقا ، بل كان كل من الكلمتين يدل على سكان البادية فحسب ، أما سكان المدن والامصار ، فكانوا ينسبون الى قبائلهم ، ويعرفون بمناطقهم . (٣١) .

ويرى مرة أخرى أن كلمة عبرى تؤدي المعنى الذى تؤديه كلمة عربى نفسها ، أى أن العبريين هم قبائل رحل كانت تنتقل بخيامها ، وأهلها من مكان الى آخر .

وقد استدل على هذه النظرية بأن كلمة عبرى مشتقة من الثلاثى عبر الذى معناه بالعبرية والعربية : ذهب ، ورحل وقطع مرحلة من الطريق ، أى أن كلمة عبرى وعربى مشتقان من ثلاثى واحد هو عبر ، فحدث قلب مكانى فى هذه الكلمة الثلاثية فصارت عربا « (٣٢) .

وفى رأى أن المعاجم اللغوية تحدثت عن هذه التفرقة فعلا ، ولكنها مع ذلك نصت أيضا على أن كل من سكن بلاد العرب ، وجزيرتها ، ونطق بلسان أهلها فهم عرب ، يمنيهم ، ومعدهم كما قدمت .

وأما القرن الذى ظهرت فيه هذه الكلمة ، فقد حددته النقوش والآثار التى اكتشفت فى عصرنا الحديث ، فقد أشار المستشرق لوبون فى كتابه (حضارة العرب) الى آثار الأثوريين التى تحدثت عن العرب فقال : « وذكر العرب قبل الميلاد بتسعمائة سنة فى بلاغ (سلما نصر الثانى) وأدت ملكتان عربيتان فروض الطاعة (تيفلا نفانصر) قبل الميلاد بنحو ثمانمائة سنة ، واستعان (بانيال) بجيوش عربية عندما رفع راية العصيان » (٣٣) .

ويقسم المؤرخون العرب الى قسمين : بائدة ، وباقية ، ومن العرب البائدة : عاد ، ومسكنهم الأحقاف فى اليمن ، وثمود ، ومسكنهم الحجر فى جهة معان ، ومدائن صالح ، وطسم ، وجديس ، ومسكنهم اليمامة ، وعمليق ، ومسكنهم عمان ، والحجاز وتهامة ، وبعض نجد ، وقيماء وبترا ، وفلسطين ، وهم القوم الجبارون الذين تهيبهم قوم موسى اذ قالوا : « ان فيها قوما جبارين ، وأنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها » ومنهم جالوت الذى قاتل داود ، فقتله داود عليه السلام . وجرهم ومسكنهم باليمن ، ومن بقاياهم قوم هاجروا الى مكة ، وهم أصهار اسماعيل عليه السلام ثم بادوا ، ووبار ، ومسكنهم اليمن فى وبار المسماة باسمهم ، وقد هلكوا . والعرب الباقية : أولاد قحطان ، وأولاد عدنان (٣٤) .

وليس ثمة شك فى أن هذه القبائل العربية كانت تتكلم بلغة واضحة المعالم بيئة السمات ، هذه اللغة هى العربية ، والعربية من أقدم اللغات السامية كما تنص على ذلك كتب العبريين ، بل أن العرب أنفسهم أقدم من العبريين فى تاريخ وجودهم على هذه الأرض ، ولا زالت كتبهم تقص علينا

الشيء الكثير من أخبار العمالقة ، وأهل سبأ الذين كانوا يقيمون بجنسوب جزيرة العرب .

على أن هذه القبائل العربية لم تغلق على نفسها أبواب مساكنها ، بل اختلطت اختلاطا شديدا بغيرها من أجناس الأمم ، اختلطوا بالمصريين حينما اتحدت قبائل من العمالقة مع عرب سوريا ، واستولوا على مصر في حملة معروفة في التاريخ المصري القديم بحملة الهكسوس سنة ٢٠٠٠ ق م وعرفوا بالرعاة ، ودام سلطانهم قرونا كثيرة (٣٥) .

وتنص الكتابات المسمارية على أن قبائل ثمود التي كانت تقيم في بلاد الحجاز اشتبكت في معارك طاحنة مع سرجون ملك آشور الذي مزقهم كل ممزق ، وأجلى البطون الثمودية الثائرة في بلاد العرب الى مدينة غزة بفلسطين (٣٦) .

وقدماء اللحيانيين الذين كانوا يقيمون في الحجاز عرفوا بالقوة والعظمة حتى كان الرومان يستأجرون منهم الجنود والعساكر (٣٧) .

ولا شك أن هذا الاختلاط الذي حدث بين العرب وغيرهم في تاريخهم القديم أدى الى التفاعل اللغوي ، مما جعل اللغة تتطور في قوة حتى اكتمل بناؤها واتسعت مفرداتها بفعل هذا الاحتكاك .

ولا أدل على ذلك من اعتراف المستشرقين أنفسهم بهذه الظاهرة فقد قال (لفينون) : « ان اللغة العربية تشتمل على عناصر تدل على أنها بصورتها الحالية ، ليست أصلية قديمة ، بل انها صيغ مرت عليها تقلبات كثيرة وتغيرات في حين أن هذه الكلمات توجد في العبرية أو الآرامية دون أن يظهر عليها شيء من آثار هذا التبديل ، فمثلا كلمة (قول) تؤدي بالعبرية معنى = صوت . أما في العربية فلا تطلق الا على جملة أصوات مجتمعة ، وكذلك (أمر) تدل على الكلام العادي ، وتدل في العربية على الطلب بشدة (٣٨) .

وقد استطاعت العربية بما تحمل من عناصر الحياة والتطور أن تؤثر كما تقول روايات المستشرقين أنفسهم (في النبط الآراميين) فكان ذلك من أهم الأسباب التي حملتهم على نسيان لغتهم الآرامية ، وإيجادهم لأنفسهم مزيجا من لغة الآراميين والعرب . ولم يكن هذا المزيج مفهوما عند العرب فأطلقوا عليه الرطانة النبطية (٣٩) .

من هذا العرض السابق أستطيع أن أقول : ان هذه اللغة العربية لغة قديمة تكونت بمرور الزمن ، وعبر التاريخ ، وسارت في طريق التطور بخطى واسعة حتى وصلت الى ما قبل الاسلام الى الذروة من التقدم والرقى ، على حين تجمدت اللغات السامية الأخرى ، لتصبح أثرا بعد عين .

ومن المنطق أن أقول : ان لغة احتكت بغيرها من اللغات الأخرى ، فأثرت فيها ، ووصلت الى هذه الدرجة من التطور لا بد أن تكون موروثة لغيرها من اللغات الأخرى ، تمدها بما تحتاج اليه من مفرداتها الواسعة ، وبمرور الزمن أصبحت هذه المفردات العربية لبنات في بناء هذه الأمم ، ولا يصح في مجال التفكير السليم أن نقول أن القرآن الكريم استعارها من

هذه اللغات ، اذا قلنا ذلك ، فهذا تحكم لا تسنده الا هذه الاخبار التى ذكرها الرواة ، وهى أخبار واهية تتعارض مع صريح القرآن الكريم حينما يقول : «إنا أنزلناه قرآنا عربيا (٤٠)» .

ومن العجب حقا أن ندعى أن مفردات اللغة العربية التى عاشت هذا العمر الطويل وتطورت هذا التطور الكبير عبر التاريخ ، وعبر الأجيال ، تمثلها هذه المعاجم اللغوية ، أو هذه الروايات التى جمعها لنا رواة العرب حينما بدعوا يدونون اللغة .

أجل لقد أحس بهذه الحقيقة راوية من كبار الرواة ، وعميد من عمداء اللغة انه أبو عمرو بن العلاء الذى يقول : « ما انتهى اليكم مما قالته العرب الا أقله ولو جاءكم لجاؤكم علم وافر ، وشعر كثير » (٤١) .

على أن العقل لا يمكن أن يسلم بأعجمية هذه الكلمات من ناحية أخرى ، فهذه الكلمات كما يقول السيوطى : أكثر من مائة لفظة ، وهو عدد قليل جدا بالنسبة الى كلمات القرآن الكريم التى تبلغ فى رواية الفضيل بن شاذان عن عطاء بن يسار : سبع وسبعون ألف كلمة ، وأربعمائة وسبع وثلاثون كلمة (٤٢) .

فما السر اذا فى أن يمد القرآن الكريم يده لأخذ هذه الكلمات المائة من لغات العجم . هل اللغة العربية فقيرة الى هذا الحد ، فتطلب المعونة بهذه الكلمات ، كيف ذلك ؟ وهى اللغة التى لا تستطيع أن تجاريها لغة أخرى فى مجال الاتساع ، كيف ذلك ؟ وهى اللغة التى تحفظ للمعنى الواحد المئين من الألفاظ .

استمع الى السيوطى يقول فى المزهرة : « ان العجم لا تعرف للأسد أسماء غير اسم واحد ، فأما نحن فنخرج له خمسين ومائة اسم .

وقال حدثنى أحمد بن محمد بن بندار قال : سمعت أبا عبد الله بن خالويه الهمداني يقول : جمعت للأسد خمسمائة اسم ، وللحية مائتين .

ويروى ابن فارس قصة الأصمعى والرشيد ، وخلصتها : « ان الرشيد سأل الأصمعى عن شعر لابن حزام العكلى ، ففسره ، قال : يا أصمعى ، ان الغريب عندك لغير غريب ، قال : يا أمير المؤمنين ، ألا أكون كذلك ، وقد حفظت للحجر سبعين اسما (٤٣) » .

ويجدر بى أن أعزز رأيى هذا برايين لرجلين من أعلام الفكر فى العالم العربى فى وقتنا الحاضر ، وهما المرحومان الدكتور عبد الوهاب عزام ، والشيخ أحمد شاكر .

أما الدكتور عزام فيرى : ان اللغات السامية وجاراتها تبادلت ألفاظا فى عصور متطاولة قبل الاسلام ، فدخل فى الفارسية مثلا ألفاظ سامية ، قرب لفظ فارسى يظن أصلا للفظ عربى هو فى الحقيقة لفظ سامى تسرب الى الفارسية فى العصور القديمة ، وقد بعد بالباحثين عن الصواب ظنهم أن العربية لم تهب اللغات الأخرى من ألفاظها الا فى العصور الاسلامية (٤٤) .

وأما المرحوم الشيخ أحمد شاكر ، فيرى : أن العرب أمة من أقدم

الأمم ، ولغتها من أقدم اللغات وجودا ، كانت قبل إبراهيم واسماعيل ، وقبل الكلدانية والعبرية والسريانية وغيرها ، بله الفارسية ، وقد ذهب منها الشيء الكثير بذهاب مدنياتهم الأولى قبل التاريخ ، فلعل الألفاظ القرآنية التي يظن أن أصلها ليس من لسان العرب ، ولا يعرف مصدر اشتقاقها لعلها من بعض ما فقد أصله (٤٥) .

وبعد ، فلعلنا بهذا العرض لهذه القضية استطعت أن أضع النقاط على الحروف دفاعا عن كتاب الله العربي ، هذا من ناحية ، ولعلنا من ناحية أخرى أسد الباب أمام هؤلاء اللغويين المحدثين الذين يدعون أن القرآن الكريم سار على منهج التعريب ، حينما أخذ عن الفارسية والحبشية وغيرهما ، ونحن نلجأ إلى التعريب ، لأننا لم نعش في أعماق اللغة ، لنستخرج الكلمة الدالة ، واللفظة المعبرة ، وذلك لعجزنا عن الإحاطة باللغة من ناحية ، ولا يثار مد اللغة العربية بكلمات جديدة سيرا على مبدأ التطور اللغوي من ناحية أخرى . انصح لنا أن نعرب ألوف الكلمات الواغدة في عصر تقاربت فيه اللغات ، وتمازجت الأفكار ، فإنه لا يصح مطلقا أن نتخذ من القرآن ذريعة نعتمد عليها في شرعية هذا الغزو الأجنبي ، فإنه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

(١) أنظر : مقدمة تفسير الطبري : ٦/١ . (٢) نقل هذا النص من كتاب : « دراسات في العربية وتاريخها » للشيخ محمد الخضر حسين ص ١٩ . (٣) المرجع السابق نفسه ص ١٤ . (٤) الحديد : ٢٨ . (٥) المزل : ٦ . (٦) سبا : ١٠ . (٧) المدثر : ٥١ . (٨) الطبري ج ١ ص ٨ . (٩) الانتقان ج ١ ص ١٣٨ . (١٠) البرهان في علوم القرآن ص ٢٨٧ و ٢٨٨ . (١١) أنظر في هذا الموضوع : الطبري ج ١ ص ٦ ، الانتقان ج ١ ص ١٣٨ ، البرهان : ص ٢٨٧ و ٢٨٨ . (١٢) الانتقان ج ١ ص ١٤٠ ، ومفتاح السعادة ص ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٤ . (١٣) فصلت : ٤٤ . (١٤) الطبري ج ١ ص ٨ . (١٥) المرجع السابق والصفحة . (١٦) الانتقان ج ١ ص ١٣٦ ، ١٣٧ . (١٧) إبراهيم : ٤ . (١٨) الشعراء : ١٩٥ . (١٩) الرعد : ٣٧ . (٢٠) الثوري : ٧ . (٢١) الزخرف : ٣ . (٢٢) الزمر : ٢٨ . (٢٣) النحل : ١٠٣ . (٢٤) فصلت : ٤٤ . (٢٥) الرسالة : ٥ . (٢٦) الطبري ج ١ ص ٩ . (٢٧) مجاز القرآن ج ١ ص ١٨ . (٢٨) تاج العروس ص ٩ . (٢٩) لسان العرب : مادة : عرب . (٣٠) تاريخ اللغات السامية : ص ١٦٤ . (٣١) المرجع نفسه والصفحة . (٣٢) المرجع نفسه ص ١٦٥ . (٣٣) حضارة العرب ص ٩١ . (٣٤) تاريخ الأدب لحفنى ناصف ٨ . (٣٥) حضارة العرب ص ٩٠ . (٣٦) حضارة العرب ١٧٤ . (٣٧) المرجع نفسه ص ١٧٤ . (٣٨) تاريخ اللغات السامية ١٦٩ . (٣٩) المرجع نفسه ص ١٧٣ . (٤٠) يوسف : ٢ . (٤١) الاقتراح ٢٧ . (٤٢) البرهان في علوم القرآن ج ١ ص ٢٤٩ . (٤٣) المزهج ج ١ ص ٣٢٥ . (٤٤) مقدمة المعرب للجواليفي : ص ٤ . (٤٥) من مقدمة الشيخ شاكرك ص ١٣ .

المراجع :

١ - دراسات في اللغة العربية وتاريخها : الشيخ محمد الخضر حسين . ٢ - تفسير الطبري . ٣ - الانتقان في علوم القرآن للسيوطي . ٤ - البرهان في علوم القرآن للزركشي . ٥ - مفتاح السعادة : لطاش كبرى زاده . ٦ - مجاز القرآن : لأبي عبيدة معمر ابن المنذر . ٧ - تاج العروس : للزبيدي . ٨ - لسان العرب / ابن منظور . ٩ - تاريخ اللغات السامية / والفنون . ١٠ - تاريخ الأدب : حفنى ناصف . ١١ - حضارة العرب : لوبون . ١٢ - الاقتراح : للسيوطي . ١٣ - المعرب : للجواليفي . ١٤ - الرسالة : للشافعي .

نظرة الإسلام إلى التعاقد

للمشيخ: علي الخفيف

التعاقد في نظر الإسلام ارتباط يرتبط به الإنسان ، فيطلب منه الوفاء به ، وأساسه الاختيار وسلامة الإرادة ، وقد يكون ارتباطا منفردا لا يقابل بارتباط آخر ، وقد يقابل بارتباط من شخص آخر ، غير أن الإسلام يرى أن منه ما يجب على المرتبط الوفاء به ، ويجبر عليه قضاء ، ومنه ما لا يجبر عليه .

ومرد النوع الأول الى امرين : أحدهما : أن يكون مقابلا بارتباط المتزم به شخص آخر في مقابلته ، فيجب الوفاء به لذلك حتى لا يكون من وراء عدم الوفاء به ضرر بمن ارتبط بسببه ، وثانيهما : أمر الشارع بالوفاء به لمصلحة ارتآها الشارع أوجبت ذلك أمرا باتا لا خيرة فيه .

وأما النوع الثاني : فقد رأى الشارع عدم الوفاء به قضاء وأوجب الوفاء به دينا وخلقا وهو ما صدر عن احسان وتبرع غير مستتبع حقا لازما لأحد ، وذلك ما اختلفت فيه الانظار تبعا لاختلافها في متطلب المصلحة ، وأن اتفقت على أن الوفاء مطلوب دينا وخلقا في كل ارتباط وتعاقد خلا من الضرر وذلك مقتضى عموم قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » وقوله تعالى : « وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا » .

ولا يلزم لوجود التعاقد واعتباره في شريعة الإسلام شكل معين الا ما شرطه الشارع في الزواج ، اذ يشترط أن يكون أمام شاهدين ، وفي ذلك خلاف مالك ، ويكفي في تحقق التعاقد ووجوده العبارة الدالة عليه اذا صدرت من العاقل البالغ المختار ، وذلك في أي شأن له الولاية عليه لا تنقيد ارادته في ذلك بقيود الا عدم الضرر بالعاقد أو بغيره ، وسواء في ذلك التعاقد في أي شأن من الشئون المالية كالمبايعات والتفقات والكفالات

والاجارات ، والتعاقد فى الشئون الاجتماعية كالتعاقد فى الزيجات والنسب والحضانة ، وهذا هو نظر الشارع الى الاشتراط فى العقود ، فقد جعل للعاقد أن يشترط ما يرى أن حاجته ومصلحته فى اشتراطه ما دام أن ليس فى اشتراطه ضرر ولا تغيير لمشروع : لأن تغيير المشروع مفسدة ، وفيه يقول صلى الله عليه وسلم : « المسلمون عند شروطهم الا شرطا أحل حراما أو حرم حلالا » .

أما الضرر الذى يبطل العقد لأجله ، فسواء فيه أن يكون ضررا يلحق العاقد أو المشتري ، وأن يكون ضررا يلحق المجتمع أو غير ذلك من الافراد ، ويكفى فى ثبوته وترتب أثره عليه ورود نص من الشارع يدل عليه ، كما يكفى حكم العقل فيه ، لأنه اذا كان العقل أساسا للإسلام فأولى أن يكون أساسا فى اثبات الضرر فى العقود والاشتراط والمعاملات ، وسلامتها منه .

وعلى هذا الأساس يرى أن الفكر الإسلامى التشريعى يتجه الى اعطاء الناس حرية الاختيار فى انشاء العقود والاشتراط فيها ، سواء فى ذلك ما وردت به النصوص ، وما جرى به العرف ، وما تدعو اليه حاجة الناس ومعاملاتهم لا تحددهم فى ذلك حدود سوى ما ذكرنا ، وعلى هذا رأى المحققين من الفقهاء وبخاصة بعض الحنابلة كابن قيم الجوزية وابن تيمية ، خلافا لمن عارض فى ذلك منهم ، فزعموا أن كل عقد أو شرط لم يرد به عن الشارع نص عقد باطل أو شرط لغو ، ويعزى هذا الرأى الى أهل الظاهر .

نظرة الاسلام الى الفرد والمجتمع ومراعاة فكرة التضامن وصلاح الأسرة

يقيم الاسلام مجتمعه على أسس قويمه تصونه من الأنانية الفردية فى المعاملة والسلوك ومن طغيان نوازع النفوس التى تدعو الى الشر ، وتوقد نار العداوة والبغضاء بين أفرادها ، وتؤدى بهم الى الاعوجاج والفساد والفرقة والتناؤذ والفشل ، وقد قال الله لرسوله « فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا » ، وقال : « غالف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا » ، وقال : « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » .

أسس تربط بين أفراد المجتمع ، وتؤلف بينهم وتوحدتهم وتجعلهم أخوة متناصرين بعضهم أولياء بعض تتلاقى كل قواهم فى المحافظة على مصالحهم الاجتماعية والشخصية ، ودفع الضرر عنهم ، والقيام بسد حاجاتهم ، ونياية بعضهم عن بعض ، فى أداء معروف اذا ما دعت الحاجة اليه وتتطلبته المصلحة وفى ذلك يقول الله تعالى : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » ، ويقول : « انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون » .

ولقد صور رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدة المجتمع الإسلامى ، ومناصرة أفراد بعضهم بعضا أبلغ تصوير ، اذ يقول : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » ، ويقول : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

ومن نتائج هذه الروابط ، شعور كل فرد في المجتمع بأن عليه واجبات يؤديها اليه لقاء ما له من حقوق قبله يتوقف وفاؤه بها على القيام بهذه الواجبات ، وإذا قصر في أدائها أدى ذلك الى انهيار البناء ، وتفكك روابطه ، وذهاب ريحه ، كما أن من نتائج مسؤولية كل فرد فيه في جلب الخير والقصد اليه في أعماله التي يأتيها ، ودفع الشر عند نزوله بها يستطيع من قوة وبما يملكه من معونة ، وإذا يقول الله تعالى : « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » ، ويقول صلى الله عليه وسلم : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » .

وعلى هذا الأساس أوجبت الشريعة على القوى اعانة الضعيف ، وعلى الموفر اطعام الجائع ، وعلى القادر اغناء الفقير والمسكين ، كما أوجبت الدفاع عن الضعفاء وأوجبت على القادر دفع الأذى والهلاك عن كل من تعرض لهما ، والحفاظ على القاصرين ممن يتعرض لهم وعلى أموال القاصرين وعديمي الأهلية والغائبين كما أوجبت اعانة الغارمين ، وانقاذ الأموال عند تعرضها للتلف ، والاخذ على أيدي المفسدين وفي سبيل هذه الوحدة قررت نيابة بعض المؤمنين عن بعض ، ومناصرة بعضهم بعضا ، فيقول الله تعالى : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ، ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم » .

وكانت نظرة الاسلام الى الفرد في مجتمعه نظرة وسطا ليست كالنظرة اليه في النظام الفردي الذي يجعل لكل فرد في مجتمعه ارادة مطلقة وحرية واسعة غير مقيدة ، لا يراعى فيها الا مصلحته الشخصية دون اعتبار لمصلحة غيره الا بقدر يختلف باختلاف الأمم وتطورها ، وليست كالنظرة اليه في النظام الاشتراكي الجماعي التي تجعل الفرد في مجتمعه كالجذء من الآلة يتحرك بحركتها ، وسيره سيرها ، ليس لذاته قوة ولا نشاط الا في محيطه ومجتمعه ، فلا يؤذن له بنشاط ينفرد به عن الجماعة وانتاجه يجب أن يكون أولا وابتداء لها .

ليست نظرة الاسلام الى الفرد اذن كنظرة هذين النظامين اليه ، بل ينظر اليه شخصا له ارادته وله حريته وعمله وانتاجه وثمراته ، ولكن بشرط ألا يكون ذلك موجها الى ضرر المجتمع ، أو ينال المجتمع منه اذى ، ولهذا كانت جميع حقوقه مقيدة بعدم الضرر .

وعلى الجملة كان نشاط كل فرد لنفسه على الا يترتب عليه ضرر بغيره وبذلك حافظ الاسلام على الحوافز الطبيعية التي تحفز الانسان على العمل وتدعو الى النشاط وتحمله على الجد والاحسان فيه مما يترتب عليه وفر ثمراته التي تعود في النهاية الى تحقيق مصالح مجتمعه وحافظ على الروابط الشخصية بين أفراد المجتمع بسبب ما حرمة عليهم من الاثرة . ودعا اليه من الايثار فاحكمت روابطهم وقوى تماسك بنيانهم وكان عليهم لمجتمعهم واجبات فرض عليهم أدائها وذلك في نظير حقوق لهم قبل مجتمعهم يجب عليه أدائها وذلك ما يتمثل فيما يناله المجتمع من ثمرات أعمالهم وما يصل اليه من أموالهم وما يعود عليه من نشاطهم

وسمعيهم وفيما يقوم هو به لهم من حفظ ورعاية وحماية ومعونة وتمكين وتوجيه واصلاح ووقاية على أنماط متعددة وصور مختلفة فصلها الكتاب الحكيم حين أمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وباطعام الجائع واعانة الفارم والوفاء بالعهد وحين نهى عن الفحشاء والمنكر والبغى والخبائث والظلم وغير ذلك مما جاء به كتاب الله وسنة رسوله من أمر ونهى تكامل بهما تضامن المجتمع ووحدته وتكافله حتى صار كما قال الرسول صلوات الله عليه جسدا واحدا اذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الاعضاء بالسهر والحمى .

ولم يهمل الاسلام مع ذلك شأن الاسرة ومنزلة الفرد فيها ، بل عرض لما يجب للأسرة من رعاية وعناية تستهدفان صلاحها وأحكام الروابط بين أفرادها ، باعتبارها البيئة التى يتكون منها المجتمع ، ويقوى بقوتها ويتماسك بتماسكها ، وفى وهنها وهنه وانحلاله ، فعنى الاسلام بها عناية شديدة وعرض لكثير من أحكامها فى كتابه بما لم تظفر به مسألة أخرى مما عرض له من المسائل ، وكان أساس نظره اليها أن تكون قائمة على السكن والمودة والرحمة والتعاون كما دل على ذلك قوله تعالى : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة » كما حض على الصبر والعفو اذا ما بدا فى محيطها مكروه ، فقال فى كتابه الحكيم « وعاشروهن بالمعروف ، فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا » .

وجعل القوامة فى هذا المجتمع الصغير للرجل لما فرضه عليه من السعى والعمل والنفقة ، والذود عن البيت ، وبما حباه به من قوة ومسا للرجال على النساء من درجة وفى ذلك يقول الله تعالى « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض ، وبما أنفقوا من أموالهم » ويقول « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة » كما جعل انفصام هذه العقدة للرجل فكان له حق التطليق حين تسوء المعاشرة ويخشى من عدم اقامة حدود الله ، واخفاق الزوجية فى الوفاء بالفرض منها .

وعلى أساس هذا النظر شرعت حقوق كل من الزوجين قبل الآخر ، وعولجت أمراض الزوجية ، وحلت مشاكلها بما وضعه الشارع لها من أحكام كفيلة باقامة حياة سعيدة وافية بأغراضها ، وعلى هذا الأساس كان نظره الى الروابط الاجتماعية الأخرى ، تلك الروابط التى تقوم على ضرب من الرعاية والولاية والزعامة ، اذ جعل كل فرد مسئولا عما عهد اليه برعايته مطالبا بحفاظه والقيام عليه فى شئونه وفى ذلك يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه فيما رواه عبد الله بن عمر : « كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته ، الامام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيته » وهى مسئولية تتطلب من كل من فرضت عليه حسن القيام وكمال الرعاية

والمحافظة والعمل باخلاص وأمانة فى مجال رعايته وولايته ، وذلك بأن يستهدف المصلحة فى كل ما يأتية ويقصد اليه . وبهذا تقوى روابط المجتمع وتشتد أواصره ، وعلى هذا أسس الشارع أحكامه .

مراعاة الإسلام فى نظره للعقيدة ، والخلق ، ومصالح الدنيا والدين

راعى الإسلام فى أحكامه حقوق الله تعالى ، وما تعبد به الناس من عقائد ، وما دعا اليه من فضائل وأخلاق — وكان هذا نتيجة طبيعية لصدورها من الله ، ونزول الوحي بها ، اذ لا يتصور أن يشرع الله للناس ما يخالف دعوته ويتعارض مع ما أمر به ويؤدى بالناس الى غير ما ابتغاه من دينه وذلك بتدنيس نفوسهم وافساد قلوبهم ولكن الشارع الحكيم حين شرع دينه شرعه عقيدة وعملا ، غايتها واحدة وأثرهما واحد ، فكان له بهما أبعد المدى ، وأبلغ الأثر فى هداية الناس الى طريق كمالهم بتطهير قلوبهم وتركيز نفوسهم بمراعاته هذه الشريعة من فضائل ، وما رغبت فيه من أخلاق ، وبإقامتها على أساس من التوجيه الفكرى عن طريق العقيدة واستعمال النظر والتدريب العملى بطريق العبادة ومراعاة الخلق الكريم مع النظر الى مصلحة المجتمع ، فكانت لذلك أحكامها متسقة مع الخلق والفضيلة والعقيدة غير موجهة الى المصالح الدنيوية وحدها ، وقد قال الله لرسوله فى شأن ذلك « فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا » ، وبذلك تميزت قواعد التشريع الإسلامى بابتنائها على العقائد والأخلاق من ناحية ، وعلى المصلحة الدنيوية من ناحية أخرى ، وكانت نظاما شاملا متجانسا متكاملا روعيت فيه مصالح الناس فى دنياهم وفى آخرتهم ، وكانت بسبب هذا الى نفوس الناس محبة ، ولها من ضمائرهم عند ارادة اغفالها وتركها مراقبة ، ومحاسبة .

وكذلك كان نظر الإسلام الى شريعته وقد أراد بها صلاح الناس الا تكون نزعتها نزعة مادية خالصة ، بل جعلها شريعة وسطا بين النزعتين المادية والروحية حتى تكون من ناحية ماديتها تشريعا واقعيا يسهل اتباعه ، ومن ناحية روحيتها تشريعا خليقا بعيدا عن الأثرة حتى لا تغفل فيها مصالح الجماعة ، ولذا كان للانسان فى هذه الشريعة كل ما يسمو به عن الرضا بالدون فى حياته الدنيا ، والرضا بغضب الله وعذابه فى حياته الآخرة ، فتمضى كل نفس حسب استعدادها الى ما فيه رضاها وطمأنينتها سعيا فى مناكب الارض ، سعى المؤمل فى حياة دائمة لأجل الدنيا ، وسعى المرتقب لأجله فى غده لأجل الآخرة .

على هذا النظر أقام الإسلام شريعته . . . هذه هى الأنظار التى تصور لنا الفكر الإسلامى فى تشريعه الخالص من الشوائب ، ومما لبس به من أهواء الناس ، وضلالات المبتدعة ، وأباطيل المنافقين ممن اتخذوا الشريعة سبيلا الى ارضاء ذوى السلطان ، أو اغواء

النفوس متابعة للشهوات ، فأفسدوا أعمالهم ، وأضلوا نفوسهم وباعوا بخسران مبین .

ذلك ما انتهى اليه فكرى واهتدى اليه حكمى فى بيان اتجاه التشريع الاسلامى أو بيان الفكر الاسلامى التشريعى واكتشاف أسسه واستبانة أهدافه وتحديد غاياته ، وقد ذكرت ما كان لهذا الفكر من سند فى القرآن الكريم وفيما حواه من أحكام بين عللها وأظهر حكمها وأهدافها وفيما كان لكل ذلك من توجيه لأصحابه ومن جاء بعدهم فى استنباط الاحكام وفهم لكتاب الله وفيما أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من هدى فى تشريعه وبيان لنصوص الكتاب وفى تأصيل الاصول ووضع القواعد والضوابط والتطبيق على ما كان يعرض لهم من وقائع وأحداث وتعرف أحكام كل ما كان يستجد فى زمنهم من حوادث وينزل بهم من نوازل لا يمنعهم من هذا النظر الا يجدوا بعد البحث نصا من كتاب أو سنة لعلمهم أن شريعة الله عامة شاملة لا تضيق بأحكامها وأصولها عن حكم لله تعالى فى كل ما يحدث أو يستجد وان للعقل كفايته وقدرته فى تعرفه وكشفه ما استعان بنصوص القرآن واهتدى بهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تشريعه وبيانه وسلك مسلك أصحابه من بعده فى أظهاره واستخراجه وكل هذا قد صار موفورا لدينا بفضل ما قام به سلفنا الصالح من جمع وتدوين .

وانا لنشاهد الآن تجدد الوقائع وتتابع الاحداث وتنوع المعاملات بسبب تطور الاعراف والعادات والمعاملات وتجدد الاختراعات والاكتشافات ونحن أمام ذلك جامدون واقفون لا نتحرك ولا نستجيب لما أمرنا به من نظر وبحث ، والناس حيارى يضجون بالشكوى من حيرتهم فى أحكام ما تلجئهم اليه حاجاتهم من حديث المعاملات وجديد الاستثمار وتسوقهم اليه معاملاتهم من غيرهم ، مما لا سبيل الى مجانبته من معاهدات ليس لها فيما سبق مثيل ولا فيما يعرفون حكمه نظير ولا يجدون مع ذلك مفرا عنها أمام دوافع الحياة الاقتصادية المعقدة ودواعى الافراء المختلفة .

ألم يأن لأولى الفقه والنظر أن ينظروا فى هذا الأمر باحثين عن حكم الله تعالى بقدر جهدهم فيما هو مماثل أمامهم من وسائل الاستثمار بواسطة صناديق التوفير واستثمارات الاستثمار على اختلافها وايداع الاموال للاسترباح وعقود التأمين المختلفة وعقود المقاولات وغير ذلك من الاعمال المصرفية والمبادلات النقدية حتى يكون الناس على بينة من حكم شريعتهم فيما يقبلون عليه أو يلجئون اليه من هذه الاعمال — وقد قرر المؤتمر الاول لجمع البحوث الاسلامية جواز الاجتهاد الجماعى فيما يجد من الحوادث التى لا يرى لها حكم فى مذهب من المذاهب — ومن له غير مجمع البحوث — كما حض هذا المؤتمر على اصدار الفتاوى والاحكام المستمدة من أصول الاسلام فيما يحدث ويستجد من المشكلات ، وانى لأرجو أن يستجيب مجمع البحوث لذلك حتى يبرأ مما قد ينسب اليه من تقصير ، والله الموفق للصواب .

دراسات في
علوم القرآن

الرسم العشاني المصحف ولماذا ينفرد به

للأستاذ عبد الكريم الخطيب

- ١ -

من المسلم به أنه لأول اتصال المسلم بالقرآن الكريم عن طريق تلاوته في المصحف مكرها ، وأن يرد نفسه — حزينا أسفا — عن مـورده العذب ، وثمره في الخط العربي التي يجري عليها الآن ، حتى أن كثيرا من الذين يرجعون إلى كتاب الله عن طريق المصحف — لأول مرة — يجدون أنهم بين يدي نمط جديد من الكتابة لم يألّفوه ، وأن على من يريد منهم أن يقرأ المصحف قراءة صحيحة أن يرجع في ذلك إلى معلم يعلمه ، ودارس يدرس عليه ، والا وقع في حيرة ولبال ، وكان أقرب طريق يأخذه للخروج من هذا الموقف ، هو أن يعتزل المصحف ، مكرها ، وأن يرد نفسه — حزينا أسفا — عن مـورده العذب ، وثمره الطيب المبارك ، فذلك — في تقديره — أدنى إلى السلامة ، وأبعد من الوقوع في المحذور !

من أجل هذا تقوم بين الحين والحين تلك الدعوات التي نسـمـعـها تتردد في مختلف آفاق الإسلام ، الى تحرير المصحف من الالتزام بالخط العثماني ، وكتابة القرآن الكريم بالخط المقروء للناس اليوم ، والمتداول في الكتب ، والمصحف وغيرها ، حتى يقبل كثير من المثقفين على تعلم كتاب الله ، وحفظه قراءة من المصحف ، الأمر الذي يحول بين كثير منهم وبينه ، استفلاق وقراءة الرسم العثماني عليهم ، وهو الرسم الذي تلتزمه المصاحف في جميع البلاد التي تقرأ العربية .

ويتساءل المتسائلون : لم لم تأخذ هذه الدعوات طريقها الى التحقيق ؟ ولم لم تجد استجابة من المسلمين في أي عصر من العصور ، وبين أيديهم دعوة تلتقي مع شريعة هذا الدين القائم على اليسر ، ورفع الحرج والإصر عن الناس ؟ وأمر القرآن الكريم هو يسر كله ، في بلاغة الأداء ، وتناغم الألفاظ ، ووضوح المعاني ، وقرب تناولها من سماواتها العالية . . والله سبحانه وتعالى يقول : « ولقد يسرنا القرآن للذكر » . فكيف يتفق أن يكون القرآن على هذا القرب واليسر ، في جوهره ، وعلى هذا الكرم والجود عطاياه ، ثم تكون الوسائل اليه على الطريق الوعر ، المحفوف بالمعائر والمزالق ؟!

ولا نحسب أن هذه الحقيقة قد غابت عن أسلافنا ، رضوان الله عليهم ، فلقد واجهوا هذه المشكلة — ان صح أن نسميها مشكلة — ولكنهم آثروا أن يكتبوا المصحف على هذا الأسلوب ، كما ارتضى الذين جسأوا من بعدهم أن يبقوا الكتابة الصحفية على ما هي عليه في مصحف عثمان ، رضى الله عنه ، دون أن يمسوا صميمها . . ولقد سجل كثير من الأئمة العلماء الفقهاء رأيهم في عدم المساس بالكتابة الإسلامية التي كتب عليها المصحف العثماني ، معللين لهذه الآراء ، أو مرسلوها بغير تعليل ، إذ كان الأمر عندهم من المسلمات التي لا ينازع فيها . .

يقول الامام أحمد بن حنبل — رضى الله عنه — : « تحرم مخالفة خط مصحف (عثمان) في ياء ، أو واو ، أو ألف ، أو غير ذلك » . . فهذا الامام الجليل يؤثم الخروج على الخط العثماني الذي كتب عليه المصحف ، ويرتفع بالخروج عليه ، الى درجة التحريم ، لا الكراهية ، كما يرى ذلك بعض الفقهاء . . وسئل الامام مالك رحمه الله : هل يكتب المصحف على ما أخذته الناس من الهجاء ؟ فقال : « لا ، الا على الكتابة الأولى » يقصد المصحف العثماني . . ويقول الزركشي (صاحب البرهان في علم القرآن) : « الخط ثلاثة أقسام : خط يتبع الاقتداء السلفي ، وهو رسم المصحف ، وخط يجري على اثبات ما أثبتته اللفظ ، واسقاط ما أسقطه ، وهو خط العروض . . وخط يجري على العادة المعروفة ، وهو الذي يتكلم عنه النحوي » . .

ويقول البيهقي (صاحب كتاب دلائل النبوة) : « من كتب مصحفا ، فينبغي أن يحافظ على طريقة الهجاء التي كتبوا بها المصاحف ، ولا يخالفهم فيها ،

ولا نغير مما كتبوا شيئاً ، فانهم كانوا أكثر علماً ، وأصدق قلباً ولساناً ، وأعظم أمانة منا . . فلا ينبغي أن نظن بأنفسنا استدراكاً عليهم » . .

— ٤ —

ولا شك أن هذه المقولات ، وتلك الآراء ، التى صدرت من علماء وأئمة لهم قدرهم ووزنهم فى الأمة الاسلامية — قد كان لها أثرها فى الإبقاء على الكتابة المصحفية العثمانية الى اليوم ، وإلى ما بعد اليوم ان شاء الله . . ولكن — مع هذا — فان كثيراً من النفوس لا تتقبل هذا الأمر الا محرجة معه ، ضائقة به ، اذ تطرقها التساؤلات عن الحكمة فى التمسك بهذه الكتابة المصحفية التى تستغلق على كثير من القارئ لكتاب الله فيها ، فلا يجدون الجواب المقنع الذى يستريحون له ، أو يطمئنون اليه . . وأكثر من هذا ، فانهم يجدون أن المصحف العثمانى ، كان خلواً من النقط والشكل ، فلما كثر اللحن والتصحيف فى قراءته ، رأى المسلمون فى وقت مبكر جداً ، أى فى زمن الحجاج الثقفى ، أن يدخلوا النقط والشكل على كتابة المصحف ، ولم يمنعهم توقيرهم واحترامهم لهذا الأثر الصحابى أن يديروه على الوجه الذى اقتضته الضرورة ، ودعت اليه ظروف الحياة المعاصرة . . ! فلماذا إذن لا نستجيب نحن لحاجة عصرنا ؟ ولماذا لا ندير الخط الاسلامى للمصحف على الوجه الذى يعرضنا من التصحيف أو التحريف عند قراءته ؟

والحق أن هؤلاء المتسائلين لهم أن يتساءلوا ، ولهم أن يطلبوا الجواب المقنع لما يتساءلون عنه فى هذا المقام ، والا ظلت هذه القضية قائمة بغير حكم قاطع فيها ، يمسكون بها فى صدورهم ، خواطر مزعجة ، ومشاعر قلقة ، أو يرسلونها دعوات هادئة هادية ، أو صيحات ثائرة ساخطة ، تثير غباراً ، وتحدث بلبلة وازعاجاً . .

— ٥ —

والذين هم على صلة بكتاب الله ، وعلى اتصال بمدارسة علوم القرآن ، يجدون بين أيديهم أكثر من داعية ، وأكثر من حكمة تدعو الى الاحتفاظ بالرسم العثمانى للمصحف ، دون اجراء أى تعديل املائى عليه ، بالزيادة أو الحذف ، الا ما كان قد دخل عليه من النقط والشكل ، الذى صنعة الحجاج عن مناصحة ومشورة من علماء عصره .

ولعل أول شعور يدخل على المسلم ، وهو بين يدى المصحف أن هذه الكتابة الاسلامية التى هو عليها ، هى أثر صحابى ، يجد فيه ريح النبوة العطر ، ويستروح أريجها الطيب الزكى . . وهذا السبب وحده كاف للاحتفاظ بهذا الأثر العظيم ، الذى يجعل رسم المصحف على هيئة فريدة متميزة ، لا يشاركه فيها غيره مما كتب الناس ويقرءون فى الكتب ، والمصحف والرسائل وغيرها . . ثم هو من جهة أخرى يحمل المسلم الحريص على دينه أن يبذل شيئاً من جهده ، وأن يهيب نفسه ، ويعددها اعداداً خاصاً قبل أن يضع كتاب الله بين يديه ، فلا يهجم على المصحف فى غير تهیؤ واستعداد للقائه . . ان هذه الوقفة التى

يقفها المسلم فى مقام التعلم للقراءة المصحفية ، هى استحضار لشاعره ، وإيقاظ لوجدانه ، أشبه بما يكون منه قبل الوقوف بين يدي ربه فى محراب الصلاة ، من وضوء ، وأذان ، وإقامة ، وتكبيرة أحرام .. فإذا التقى بالمصحف بعد هذا ، التقى به وقد نقلته هذه الوقفة من حال الى حال ، ومن مقام الى مقام ، وهذا ما يليق بكلام الله ، الذى هو صفة من صفاته ، وصفاته عين ذاته ، وتجليات من تجليات ذاته ..

أفليس هذا وحده كافيا للتمسك بالرسم المصحفى للقرآن ، باعتباره ميراثا اسلاميا ، وأثرا صحابيا ، وشاهدا من شهود عصر النبوة ، ومعلما من معالم هذا العصر العظيم ؟ وبلى ، ثم بلى !!

— ٦ —

فإذا انكشف لنا بعد هذا أن الرسم العثمانى للمصحف القرآنى يقوم فيما يقوم عليه ، على اعتبارات تتصل بالقرآن ذاته ، لا من حيث الرسم الإملائى لألفاظه وحدها ، بل ومن حيث دلالة هذه الألفاظ على معان يشير اليها رسم اللفظ على صورة خاصة ، مغايرة للنمط المعهود فى الرسم الإملائى المتواضع عليه فى هذا العصر عصر كتابة المصحف العثمانى — أقول إذا انكشف لنا أن وراء الرسم العثمانى لبعض الكلمات ، إشارة دالة على معنى ، أو ملفقة اليه ، أفلا يكون ذلك أمرا ملزما لنا نحن المسلمين ، أن نقوم له مثنى وفردى ، وأن ندفع عنه كل خاطر أو وسواس يريدنا على أن نغير من رسم المصحف ، بحجة التيسير على من يريد تلاوة آيات الله منه ، فذلك حجة داحضة أمام هذه المعجزة المتحدية ، التى يحملها الرسم العثمانى بين يديه ، والتى هى نفحة من نفحات كتاب الله ، وسر من أسرارهِ ؟

وبلى .. أن ذلك أمر ملزم لا فكاك لنا عنه ، ولا تحلة لنا منه ، أن كان بنا حاجة الى فهم كتاب الله ، والى الوقوف على بعض أسرارهِ ، وانها لحاجة قائمة أبدا ما دام لنا مقام بين يدي كتاب الله ، الذى لا تقنى عجائبهِ ، ولا تنفذ أسرارهِ ، مهما ترددت عليه الأنظار ، وتواردت على مواردهِ العقول والأفهام .

— ٧ —

ولقد يسأل سائل : أهذه الدلالات المستقراة وراء رسم الكلمات المصحفية ، يمكن التعرف عليها ؟ وهل تقع من الأنظار المتوسمة فيهما موقعا واحدا ؟ وهل تعد هذه الدلالات تفسيراً لتلك الكلمات ، وبياناً لمعناها ؟ وهل نجد لذلك أمثلة وشواهد ؟

ونقول ان علماء القرآن لم يغيب عن أنظارهم هذا الأمر ، ولم يفتهم الوقوف عند هذه الظاهرة التى انفرد بها رسم المصحف ، بل وقفوا عندهم طويلا ، وحاولوا أن يعللوا لها ، وأن يكشفوا عن بعض أسرارها ..

وانه لطبيعى أن تختلف الأنظار فى هذا المجال ، وأن تتعدد وجهات النظر فى التعرف على المدلول الذى يشير اليه رسم الكلمات على تلك الصورة الخارجة

على المؤلف ، اذ كان هذا الرسم — كما قلنا — لا يعدو أن يكون إشارة من طرف خفى الى أن وراء هذه الكلمات شيئا غير ما يدل عليه ظاهرها . . وأن الأمر يقتضى شيئا من النظر والتأمل ، أكثر مما يعطى لغيرها من الكلمات التى كتبت على ما هو مؤلف فى الخط العربى . .

وعلى هذا ، فان ما يأخذه الناظرون فى هذه الكلمات من معان ، هو اجتهاد يعين على طول الصحبة لكتاب الله ، وترداد النظر فى هذه الكلمات ، ومقابلة بما يدخل معها فى القاعدة الاملائية . . ولا يجرى على طريقها فى الخروج عن هذه القاعدة . . فبهذا ونحوه استطاع علماء القرآن أن يقيموا لهم مفهوما لتلك الكلمات ، وأن اختلفت مفاهيمهم ، وتعددت آراؤهم . .

وقد يقول قائل : وماذا أعطى هذا الرسم اذن من جديد فى هذا المقام ، اذا هو لم يعط للكلمات مفهوما واحدا يرتفع به الخلاف بين المفسرين لها ، والطالبين لتأويلها ؟ وما الفرق اذن بين هذه الكلمات فى رسمها الذى جاءت عليه ، وبين غيرها من كلمات القرآن التى جاءت على الرسم المؤلف ؟

ويتضح لنا الجواب على هذا فيما نعرضه من أمثلة لنظر العلماء فى بعض هذه الكلمات ، وفى فهمهم لها ، وفى تعقيبنا على هذا بما استقام لنا نحن أيضا من فهم ، نرجو أن يكون قائما على طريق الحق .

— ٨ —

ففى قوله تعالى : « لأعذبه عذابا شديدا أو لأذبحنه » « زيدت ألف فى رسم كلمة » لا أذبحنه « فكتبت بلام وألف بعدها همزة ، على خلاف كلمة (لأعذبه) التى كتبت على الرسم الاملائي المعروف .

ويقول علماء القرآن تعليلا لهذا : ان من القواعد المقررة فى فقه اللغة ، ان زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى . . فأشعر ذلك بأن الزيادة هنا ليست زيادة فى المعنى الاشتقاقي للكلمة ، وانما هى زيادة بالنسبة للفعل المصاحب لها ، فدللت الزيادة فى (لا أذبحنه) على أن سليمان يقصد بالذبح فعلا أشد وأنكى من فعل العذاب الذى توعد به الهدهد أولا !!

ونقول — والله أعلم — ان هذا الرسم الذى خرجت به كلمة (لا أذبحنه) على القاعدة المعروفة ، يراد به أن فعل الذبح خارج كذلك على مدلول الذبح المؤلف ، والذي يقع على الحيوان المراد تزكيته وتطهيره بالذبح ، حتى يكون صالحا للأكل . . والهدهد طائر لا يؤكل ، ومن ثم فهو لا يذبح ، فاذا ذبح كان ذبحه عقوبة له ، أشبه بذبح نفس حرم الله قتلها الا بالحق ! فالذبح للهدهد هنا ، هو عقوبة على جناية جناها ، تستوجب قتله !!

ومثل آخر نجده فى قوله تعالى : « لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولا أوضعوا خبالكم » . . فقد كتب الفعل : « ولا أوضعوا » هكذا بزيادة ألف بعد اللام الواقعة فى جواب لو الشرطية . .

ويقول علماء القرآن — ونعنى الزركشى — « ان الايضاع أشد افسادا من زيادة الخبال » على حسب ما تقرر من قبل فى قوله تعالى : « لا أذبحنه » من أن الزيادة ليست زيادة فى المعنى الاشتقاقي للكلمة ، وانما هى زيادة بالنسبة للفعل المصاحب لها ، وهو قوله تعالى : « الا خبالا » . .

ونقول — والله أعلم — ان الآية فى شأن المنافقين الذين تخلفوا عن الجهاد
وقد يكون هذا الضرب من السير على طريق الخير ، للسعى فى كسب الرزق ،
أو الجهاد فى سبيل الله ، ولكنه هنا سعى خارج على المألوف الغالب من تحرك
الناس وتقلبهم فى وجوه الأرض .. هو سعى سقيم معلول ، يتمشى بين الناس
كما يتمشى الداء الخبيث ، الذى سرعان ما تنتقل عدواه من السقيم إلى
الصحيح ..

فالألف الزائدة هنا ، هى إشارة الى أن هذا الفعل فى موضعه هذا ، هو
فعل معلول ، ينبغى التوقف عنده ، للفحص عن علته ، التى يحملها فى كيانها ..
ومثل آخر ، للحذف ، لا للزيادة .. نجده فى التفرقة بين رسم لفظ
الكتاب ، ولفظ القرآن ..

فقد التزم المصحف الامام رسم لفظ الكتاب من غير ألف ، هذا : (المكتب)
على حين التزم رسم لفظ (القرآن) بآثبات الألف .. هكذا « القرآن » .

ويقول الزركشى فى التعليل لهذه المفارقة : ان القرآن هو تفصيل الآيات
التى أحكمت .. فالقرآن أدنى إلينا فى الفهم من الكتاب ، وأظهر فى التنزيل ،
قال الله تعالى : « كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير » وقال
سبحانه : « كتب فصلت آياته قرءانا عربيا لقوم يعلمون » .. وقال : « ان علينا
جمعه وقرءانه » ولهذا ثبت فى الخط ألف (القرآن) وحذفت ألف (الكتاب) ..

وفى رأينا — والله أعلم — أن هذا الذى ذهب اليه الزركشى فى التعليل
لهذا الاختلاف فى رسم كلمتي الكتاب والقرآن — يقبل أن يضاف اليه قول آخر ،
وهو أن الكتاب يحتاج الى عالم بالكتابة ، يعرف دلالة رسم الحروف ، ويقدر
على انطاق ما خط فى المصحف ، وليس كذلك الأمر بالنسبة للقرآن ، الذى
يمكن أن يتلقى عن طريق السمع من قارئ يقرؤه من الكتاب ، أو حافظ يتلوه من
صحائف صدره ، فالطريق الى القرآن عن طريق السماع والمشاهدة ، أيسر من
الطريق اليه عن الكتاب .. ولهذا رسم لفظ الكتاب بهذا الرسم الذى يدل على
الغرابية ، والذى يدعو من يضع الكتاب بين يديه أن يكون على قدر كبير من
الحذق والمهارة فى فن الكتابة حتى يستطيع أن يقرأ الكلمات قراءة صحيحة ،
وان خفيت بعض أصولها ، وذهبت بعض معالمها .. وفى هذا احتفاء بشأن
المقراءة ، والتمكن منها ، والاستدلال بالبعض على الكل ، وبالحاضر على
الغائب ، وبالمشهود من صحف الوجود على المستور منها .. وليس هذا
بالمستغرب من رسالة كان مفتتحها قوله تعالى : « اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق
الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم
يعلم » .

وهكذا ، يجد الدارس للكتابة المصحفية أكثر من داعية تدعو الى الاحتفاظ
بهذا الأثر الجليل ، والابقاء على هذا الميراث العتيق ، الذى هو — فوق ما فيه
من اشارات ودلالات تتصل بمعانى القرآن — معلم من معالم العصر النبوى ،
وشاهد من شهوده ، يصل أجيال المسلمين به ، ويشدهم اليه ، حيث تتفتح
قلوبهم ، وتهيج مشاعرهم ، بما يطلع عليهم من ذكريات أيام الله تلك ، التى
أشرق فى الأرض فيها بنور ربها ، والتقت الانسانية فيها بخاتم المرسلين اليها ،
هدى ورحمة للعالمين .

الاعمال الحسنة

٢

عقائد وعمل

للكثور: محمد سلام مذكور

منا الايمان بها هي أن نؤمن بالله سبحانه وبصفاته وأنه يصطفى من عباده من يشاء . فالله أعلم حيث يجعل رسالته ، وأن تبليغ رسالاته لرسله يكون عن طريق ملائكته الذين هم السفراء بين الله سبحانه ورسله وأن نؤمن بما أخبرنا به في كتبه من البعث والحساب والثواب والعقاب يقول سبحانه جل شأنه ((آمَنَ الرُّسُلُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ)) كما يقول في صفات المتقين : ((الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ، وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنزَلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ)) ..

انتهينا في المقال السابق الى أن كل موجود لا بد له من موجد ، وأن الايمان بذات عالية رقيية على السرائر أقوى سلطانا على النفس من مجرد الايمان بقيمة الفضيلة والسلوك الحسن ، وأن الايمان يتحقق بالتصديق ويتم ويكمل اظهره بالقول والعمل الصالح . ولذا فانه يزيد وينقص ، وأن العمل الذي يكمل الايمان به هو ليس فقط العبادات المألوفة وانما هو كل فعل من أفعال الخير النافعة للجماعة ما دام أسس على التقوى — وقد وعدنا بالكلام هنا عن العقائد التي طلب الشارع منا الايمان بها فنقول :

العقائد الاساسية التي طلب الله

وقد جمع النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الصحيحين المعروف بحديث جبريل ، جملة ما يجب الايمان به في قوله وقد سأل جبريل (أخبرني عن الايمان) ؟ فقال صلوات الله وسلامه عليه : ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره ، حلوه ومره .

والاسلام الذي جاء به محمد — النبي الامي الذي اصطفاه ربه من بين خلقه فأعده لتحمل رسالته — لا يحمل الناس على الايمان بهذه العقائد على كره منهم اذ يقول الله سبحانه : (لا اكراه في الدين) ويقول لنبيه : (ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) .

كما لا يحملهم على الايمان بها عن طريق الخوارق والمعجزات وانما يوجههم الى ذلك بالحجة والبرهان مخاطباً عقولهم لا عواطفهم ، فوجههم الى النظر في أنفسهم كيف وجدوا ، وفي الكون المحيط بهم المليء بالأسرار والقدرات يقول الله : (وفي الارض آيات للموقنين . وفي أنفسكم أفلا تبصرون) ويقول : (ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض آيات لقوم يعقلون) ويقول سبحانه : (وفي الارض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل ان في ذلك آيات لقوم يعقلون) .

وهكذا نرى ان استعراض عجائب الطبيعة والكون كان لتوجيه كل عاقل الى الايمان به ، بل على رأس ما يوجه الى الايمان به ، بل على رأس ما يوجه في نفسه ودقة تركيبه : النطفة وتحركاتها وتطورها الى مراحل الانسان المختلفة كما يقول الله سبحانه : (ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الارحام ما نشاء الى اجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا) .

تأمل سيطرة المخ على سائر أعضاء الجسم ، وتأمل حركة القلب ونبضه في دقة دون توقف ، تأمل عدسة العين التي بها الابصار ، وهي تلقى صورة على الشبكية وهي طبقات عشر منفصلة وهي في مجموعها ليست اكبر سمكا من ورقة دقيقة والطبقة التي في أقصى الداخل تتكون من اعداد ومخروطات تبلغ الملايين عدا ..

تأمل المعدة وهي تتلقى كل ما ترسله اليها من طعام وشراب على اختلاف أنواعه وأصنافه وعديد عناصره . فتحتل كل هذه الانواع تحليلات كيميائية في أكبر معمل كيميائي من صنع الله ، وتوزع الى مواد تصلح الى كل خلايا الجسم التي تزيد عدها في جسم الفرد على عدد الجنس البشري كله ، ويجب ان يكون التوريد الى كل خلية فردية مستمرا وبانتظام وبالنوع الذي تحتاجه كل خلية لتحويله بدورها الى عظم ولحم وظفر وشعر .. انها معمل كيميائي ينتج من المواد المختلفة أكثر مما ينتجه أي معمل ابتكره ذكاء الانسان

وان نظام التوريد والتوزيع أدق من أى نظام عرفه العالم ووصلت اليه البشرية فى ازهى عصورها ، فهل وجد كل ذلك مصادفة من تلقاء نفسه أم هو من صنع الله خالق كل شيء ؟!

قد يتشدد انسان جحود ويقول :
ان الانسان اوصلته مداركه الى غزو الفضاء والتعرف على ما فيه من أسرار وصنع العجائب والمعجزات ..

ونحن نقول له : من الذى أمده بهذا العقل وأعانه بهذا التفكير وزوده بهذه المعلومات ، انه الله خالق كل شيء وواهب الحياة والموت .
ومع هذا فهل وصل الانسان الى ما وصل اليه باختراع شيء من عنده واستخدام شيء من خلقه هو . أم باستخدام بعض ما اكتشفه فى الكون من قوى . فمن الذى أوجد هذه القوى هل الانسان خالق الذرة ؟ وهل الانسان تحكم فى الكون واكتشف كل ما فيه ؟ الله جلت قدرته يقول على لسان رسوله الأمى : (علم الانسان ما لم يعلم) ويقول : (وفوق كل ذى علم عليم) .

وقد كان أسلوب مخاطبة العقل وحده مسلك المسلمين فى توجيه الناس الى الإيمان بهذا الاعرابى حين سئل كيف عرفت ربك ؟ فقال : (سماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج وبحار ذات أمواج ألا تدل على اللطيف الخبير) . وهذا الامام جعفر الصادق وقد جاء له بعض الزنادقة الذين يتشككون فى وجود الله فقال له الامام جعفر هل ركبت البحر ؟ قال : نعم . قال : هل رأيت أهواله ؟ قال : نعم . هاجت أمواجه ذات يوم فتكسرت بنا السفينة وكادت الأمواج أن تبتلعنا فتعلقت ببعض ألواحها

وفجأة انفلت هذا اللوح من يدي وغلب اليأس على نفسى وكدت استسلم للغرق وان كنت أرجو السلامة فقال له الامام جعفر : ممن كنت ترجوها ؟! فسكت الرجل . فقال له الامام جعفر : انك كنت ترجوها من الله الذى عرفه قلبك وقت الشدة . وهذا الامام أبو خنيفة وقــد أراد بعض الملحدين أن يفتكوا به خلسة وهو بالمسجد ليتخلصوا من مهاجمته لهم فلم يقنط من رحمة الله ، وقال لهم فى ثبات وإيمان : أجيبنى عن مسألة ثم أفعلوا بى ما شئتم : فقالوا : ما سألتك فقال : انى رأيت سفينة مليئة بالبضائع تمخر عباب البحر تحيط بها أمواج متلاحقة ، وعواصف قوية ومن الغريب أنها تسير فى خطها باتزان وثبات دون أن يكون لها ملاح يقودها ويوجهها ولا أحد يتحكم فيها فى مسيرتها . فسخروا منه فقالوا : كيف تحملنا على تصديقك فى شيء لا يقبله العقل ولا يتصوره ؟ فقال أبو خنيفة : يا سبحان الله لا يقبل عقلكم ذلك ويقبل ان يقوم هذا الكون بما يحتويه من كواكب ونجوم ونظام دقيق من غير صانع ولا حافظ ومسير ؟! فبهتوا وآمنوا وحسن إيمانهم ..

وهذا الامام الشافعى وقد سأله بعض الملحدين الدليل على وجود الله فقال : ورقة التوت طعمها ولونها وريحها وطبعها واحد لكن تأكلها دودة القز فتخرج الحرير ، وتأكلها النحل فيخرج العسل ، وتأكلها الشاة فتربى اللحم وتخرج اللبن ، وتأكلها الطباء فتغذيها وينعقد فى فوالجها المسك . فمن الذى جعل هذه الأشياء متنوعة الافرازات والغذاء واحد !! انه الله سبحانه ..

فالايمان بالله وانه وحده بجانب
العبد يعينه ويشد أزره له قيمة
لا يقدرها الا المؤمن ، وأن الفضائل
الاجتماعية خاصة انما هي أثر من
آثار الايمان بالله . واذا تأملت
ما دعا الله سبحانه في كتابه عباده
الى الفكر فيه اوقفك على العالم به
سبحانه وبوحدانيته وصفات كماله
ونعوت جلاله من عموم قدرته وعلمه
وكمال حكمته ورحمته واحسانه
وبره ولطفه وعدله ، ورضاه وغضبه
وثوابه وعاقبه فبهذا تعرف الى عباده
وندبهم الى التفكير فى آياته . .
ففيهم يختلف الناس فى أمر هذا الخالق
وكيف يتنكر الناس للقائه بعد ذلك .
اليفالطوا عن الحقائق أنفسهم
فيعيشوا فى الدنيا كما تعيش الانعام
ويتمتعوا كما تتمتع ويرخوا لانفسهم
حبل الامل فى حياتهم لتلعب وترتع؟!
ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل
فسوف يعلمون . (وما خلقنا السماء
والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن
الذين كفروا فويل للذين كفروا من
النار . أم نجعل الذين آمنوا وعملوا
الصالحات كالمفسدين فى الارض أم

• نجعل المتقين كالفجار)

ثم حسبك ان الله سبحانه يكرر
تصوير هذه المعانى لافتا بها الازهان
الى تقويم العقيدة وغارسا بها فى
النفوس الطيبة معانى الازعان لله
سبحانه وحده بالعبودية ولصفاته
بأنها فوق مستوى التصوير والادراك
وهكذا نجد منطق القرآن الكريم الذى
هو خير مؤدب لمن تعلمه واكبر موجه
لن تدبر فى آياته ذلك المنطق يقضى
بربط النظر فى الكون وفى أنفسنا
بتصحيح الايمان واصلاح العقيدة
اصلاحا يحقق معنى خلافة الله فى
الارض وان يقوم الناس بالاحسان
والقسط ينشرون العدل والسلام
ويتعاطون فيما بينهم الحب والوئام .
فلعمر الله ان من لم يتعظ بتوجيهات
الله سبحانه بعد أن يؤمن به ايمانا
كاملا صحيحا ، ويتدبر ما لفت اليه
الذهن والروح لجدير أن تزيغ عقيدته
وأن يمشى مكبا فى هذه الحياة على
وجهه (ذلك بان الله هو الحق وانه
يحيى الموتى وانه على كل شىء قدير
وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله
يبعث من فى القبور) .





أمضى الطالب المجد المجتهد عشرين سنة فى دراسة علوم اللغة العربية نحواً وصرفاً ، وحين أتقن تلك العلوم سأل أستاذه قائلاً : « لو بسطت كتب اللغة العربية لأتقنت علوم العربية بسرعة ولاقتصدت من عمري أكثر ما أنفقته فى الدراسة » فقال الشيخ النحوى : « لو بسطنا هذه الكتب ، فمن أين نأكل ؟ ! » ..

لقد هول قسم من أساتذة اللغة العربية أمر تعلمها ، وجعلوه بدرجة من الصعوبة والتعقيد بحيث لا يقوى على تعلمها أحد إلا بمشقة بالغة وجهد جهيد ..

وكثيراً ما نسمع بعض الناس يرددون تأكيداً لصعوبة تعلم اللغة العربية قول أحد أئمة النحو الذى قال : « سأموت وفى نفسى شئ من

حتى » .. ولا أحسب الرجل قال هذا الكلام ، ولا أدري كيف يصدقه عاقل ..

وجاء الاستعمار فوجد في هذه الفريسة فرصة ذهبية له : يروجها لإبعاد العرب عن اتقان لغتهم ، وإبعاد المسلمين عن تعلمها بحجة أن العرب يصعب عليهم تعلمها ، فكيف بغير العرب .. !

وسافرت البعثات العلمية من العرب الى الخارج ، فتلقى العلم كثير من الطلاب العرب على أساتذة من يهود وحاquدين على العربية ، وتلقوا مع فتات العلم كره العربية والاشمئزاز منها .

ولم يكن للعديد من هؤلاء الطلاب العرب رصيد من علوم العربية فصدقوا مزاعم أساتذتهم الأجانب ، فلما عادوا الى الوطن العربي بدأوا ينفثون سمومهم بترديد مزاعم أساتذتهم على أسماع التلاميذ والطلاب العرب ، ثقة بتلك المزاعم تارة ، ودفاعا عن جهلهم بلغتهم العريقة تارة أخرى .

وقد أتى على قسم من الاساتذة العرب الذين تعلموا في الخارج حين من الدهر ، كانوا يذكرون الكلمة الأجنبية ثم يقولون : لا نعرف كيف نعبر عنها في العربية !

وكان أولئك الامعات التافهون ، يتحاورون فيما بينهم باللغة الأجنبية، تظاهرا بالثقافة وأظهرا لعظمة اللغة الغربية من جهة وعجز اللغة العربية من جهة أخرى .

وظهرت بوادر محاولات مربية ، مصدرها الاستعمار وأذنا به ، تحاول إحلال اللغة العامية محل العربية الفصحى ، وكتابة العربية بالحروف اللاتينية ، بالإضافة الى التخاطب بالعامية من فوق منابر الجامعات والمعاهد والمدارس .

بل ذهب قسم من هؤلاء الى مدى أبعد ، فألفوا الروايات المأجورة في اضحاك الناس على المتكلمين بالفصحى ، وأظهروهم بمظهر التخلف والرجعية ..

وقد قرأت مقالا في مجلة عربية ، كله هجاء مقذع للعربية الفصحى ، قال كاتبه فيه : « أن العربية الفصحى لغة أهل القبور وأهل الكهوف .. » . وخطط الاستعمار وأذنا به لهدم العربية من أصولها في محاولة لاقتلاعها من جذورها ، وذلك باسناد التحرير في الصحف والمجلات لمن لا يحسن العربية أو لمن يكرها ، وبالحط من قيمة المدارس والمعاهد والجامعات التي تعلم العربية ، وبإضعاف القيمة المعنوية للمدرسين والأساتذة المتخصصين باللغة العربية باعتبارهم من الدرجة الثانية أو الثالثة بالنسبة لغيرهم من المدرسين والأساتذة ، وبالإصرار المتعمد على تخريج معلمين وأساتذة للعربية ضعفاء في مادتهم أو يكرهون العربية ، وبمكافحة سدنة اللغة العربية من الشيوخ والأساتذة ، وبترويج النكات التي تمس بسمعة مجامع اللغة العربية وأعضائها في الوطن العربي ، وبتخصيص الجوائز المادية للذين ينتقدون العربية ويعادونها .. ولكن ، هل ماتت العربية ؟؟ !

لقد تأثرت الفصحى بتلك المحاولات ، ولكنها لم تمت ولن تموت أبدا ،

وليس الضعف فى العربية ، ولكن الضعف فى العرب .. مع الأسف الشديد .

وإذا استطاع التافهون والامعات من أبناء العرب الذين حاربوا لغتهم أن يسرحوا ويمرحوا ساعة ، فلن يستطيعوا أن يسرحوا ويمرحوا الى قيام الساعة .

إن الخزى والعار يلاحقهم فى حياتهم وبعد موتهم ، كما يلاحق الذى يجرب شجاعته بوالدته فيطعننها من الخلف فلا يفعل أكثر من اثبات خسته وجبنه الأصيل .

فما هى أهداف مخططات دعاة العامية ودعاة الكتابة بالحروف اللاتينية ؟

إن أهداف دعاة العامية كثيرة جدا ولكن أهمها قطع دابر أول أساس من أسس الوحدة العربية وأول دعامة من دعائم التعاون الإسلامى ..

إن أول مقومات الوحدة هى اللغة ، وحين نذكر الوحدة العربية ونطالب بها ، نذكر اللغة المشتركة بين العرب مقوما أساسيا للوحدة فإذا تكلم كل قطر بلغته العامية المحلية ، استحال التفاهم بالعامية بين العرب ..

كان أحد شيوخ فلسطين ضيفى ، وكنا نتحدث عن دعاة العامية ، فضربت له مثلا حيا بالكلام بلغة الموصل العامية ، ثم سألته : هل فهمت شيئا ؟ فقال : لا ..

والأغرب من ذلك ، أن جماعة من سكان بغداد كانوا ضيوفى وكانوا يسمعون هذه المناقشة ، فلم يستطيعوا فهم لهجتى الموصلية العامية ..

وقد أرسلت الدار القومية للنشر والتوزيع الى فرعها فى بغداد سنة ١٩٦٥ م بعض الكتب المكتوبة باللهجة العامية ، فلم يشتر أحد نسخة واحدة من تلك الكتب ، وأخيرا أضطر مدير فرع الدار القومية فى بغداد أن يبيعها بالوزن بثمن بخس دراهم معدودات .

ثم إن فى القطر العربى الواحد لهجات عامية متعددة ، فبأى لهجة من لهجات الاقطار العربية يريد أن يكتب دعاة العامية ، بل بأى لهجة محلية فى القطر الواحد يريدون أن يكتبوا .

إن الموصل مثلا ، وهى مدينة عريقة فى شمال العراق ، كانت عربية قبل الفتح الإسلامى الذى جرى سنة ست عشرة الهجرية ، وكان يقطنها النمر ، وآياد ، وتغلب حين فتحها المسلمون على عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

هذه المدينة الواحدة ، فيها ما لا يقل عن خمس لهجات عامية ! إن اللهجات العامية تمزق كل مدينة عربية ، وتشتت كل قطر عربى ، وتفرق كل الاقطار العربية .

لذلك استهدف دعاة العامية تمزيق الامة العربية وتشتيتها وتفرقة صفوفها ..

هم يريدون أن يجعلوا من الشعب العربى الواحد ، شعوبا كثيرة لا تعد ولا تحصى ..

وهم يريدون أن يجعلوا من الأمة العربية الواحدة أمما ، ومن
الاقطار العربية التي ستشملها الوحدة عاجلا أم آجلا باذن الله أقطارا
تفصل بينها الحدود والحدود .

وهم يريدون أن يجعلوا من أمل الوحدة العربية التي لا أشك في
تحقيقه مستحيلا من المستحيالات .

لقد ذكر أنتوني ناثنك في كتابه : « رأيت بنفسى » أن وزارة الخارجية
الاسرائيلية صرحت له بأنها ستقاوم كل مشروع للوحدة العربية بكل
الوسائل ، لأن في اتحاد العرب نهاية اسرائيل ..
واتساءل : هل من الصدفة أن تتفق أهداف دعاة العامية مع أهداف
اسرائيل ؟ !

ومن أهداف دعاة العامية أن يصبح هذا القرآن مهجورا .
إن عظمة القرآن هو نسجه البيانى المذهل ، فإذا سادت العامية ،
فإن لفظة القرآن الفصحى لن تفهم للمثقفين بالعامية الا بدراسة اللغة
العربية الفصحى .

كانت اللاتينية هي اللغة الأم للاسبانية والبرتغالية والايطالية
والفرنسية وغيرها من اللغات ، وحين نجح دعاة العامية وكتب كل قوم
بلغتهم المحلية ، أصبح الاسباني أو البرتغالي أو الايطالي أو الفرنسى لا
يستطيع أن يفهم اللاتينية الا اذا درسها وكانت لغة غريبة جديدة عليه .
وبالتالى ترجم الكتاب المقدس من اللاتينية الى لغاتها العامية المتفرعة
منها ، كما أصبحت الدول التي كانت تجمعها اللغة اللاتينية دولا متفرقة
حاربت بعضها في كثير من الاحيان حربا لا هوادة فيها .

فاذا كتب المصرى بالعامية المصرية والسورى بالعامية السورية
والعراقى بالعامية العراقية .. الخ .. فإن أولادنا وأحفادنا لن يستطيعوا
فهم القرآن الكريم الا بعد نقله الى العامية أو بعد دراستهم العربية
الفصحى !

وهنا يتفق دعاة العامية مع غلادستون المستعمر البريطانى الشهير
وأضرابه من أعداء العرب والمسلمين ، فقد قال غلادستون : « لا يزال
العرب والمسلمون بخير ، ولا يزالون يصابلون الاستعمار ويحبطون
مخططاته ما دام القرآن بين ظهرائهم .. يجب تمزيق هذا القرآن » ..
واتساءل مرة ثانية ، هل من الصدفة أن تتفق أهداف دعاة العامية
مع أهداف الاستعمار ؟ !

والنتيجة بعد ذلك أن نلغى تراثنا العريق المكتوب بالفصحى جملة
وتفصيلا ، ويبقى ركاما في المكتبات أو سلعة في السوق الرخيصة التي
تبيع أطنان الكتب بأرخص الأسعار .

واللغة العربية : هي الرباط المقدس بين الشعوب الاسلامية
باعتبارها لغة القرآن الكريم ، وقد زرت باكستان عام ١٩٦٤ م فوجدت
الناس على اختلاف طبقاتهم يتلون القرآن ويفهمون العربية بمقدار ، وقد
احتفل بنا عميد الجامعة الاسلامية في مدينة (دكا) — أكبر مدن باكستان
الشرقية — وحرص على القاء كلمته الترحيبية بالعربية الفصحى بلغة
الجاحظ وابن العميد لا بلغة أدباء القرن العشرين .

فاذا حقق دعاة العامية دعوتهم ، فسينفطر هذا العقد الذى يجمع
الأمة الاسلامية من المحيط الى المحيط ، ولا تبقى صلة بين العرب ،
وإخوانهم المسلمين .

إن إسرائيل تعلم أن المسلمين هم السند القوى للعرب في المطالبة بحقوقهم المغتصبة ..

وهي تشجع التبشير والمبشرين علنا ، لأنها تعلم أن السدى يصبح مسلما يكون حليفا طبيعيا للعرب وقضاياهم المصيرية .

فكيف نفرط بهذه الصلة الوثيقة بين العرب والمسلمين .. كيف .. ؟ إن يهود العالم يتعلمون العبرية باعتبارها لغة التوراة أولا ولأنها لغة قومية تجمع شملهم وترص صفوفهم ، وتظهرهم للعالم شعبا واحدا وأمة واحدة .

هم يتعلمون هذه اللغة في أوطانهم الأصلية ، في بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وألمانيا وفي كل دول الشرق والغرب التي يعيشون فيها .

وهم يتعلمونها حين يهاجرون إلى إسرائيل ويستقرون فيها ، وحينذاك يصبح تعلمها فرضا لا مناص من أدائه .

انهم يحيون لغة ميتة ليعيشوا .. والمشبوهون من العرب يحاولون إماتة لغة حية لتتلاشى الأمة العربية .

وقد بدأت الهجرة المنظمة إلى فلسطين سنة ١٩٠٧ م وظهر وعد بلفور سنة ١٩١٧ م وتكاثفت الهجرة اليهودية إلى فلسطين سنة ١٩٢٧ م بمعاونة الاستعمار البريطاني وتشجيعه .

واتساءل مرة رابعة : هل من الصدفة أن تظهر الدعوة إلى العامية في هذه المدة الزمنية بالذات ؟ !

هل من الصدفة أن يبنى الصهاينة العبرية في هذه المدة الزمنية تمهيدا لخلق إسرائيل . وأن تظهر بدعة الدعوة إلى العامية في هذه المدة لتكون إحدى عوامل البلبلة وإضعاف العرب وفك رباطهم بالمسلمين ؟ إن أهداف دعاة العامية هي : جعل الأمة العربية أمما ، ومحاربة الوحدة العربية في أقوى مقوماتها ، ومحاولـة جعل القرآن الكريم مهجورا وإلغاء التراث العربي الإسلامي جملة وتفصيلا ، وتعطيل التعاون بين العرب والمسلمين ، وتهيئة الأسباب نتيجة لكل ذلك أن تطبق إسرائيل مخططاتها التوسعية الاستيطانية في إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات .

وإذا كان غيرى قد أحجم عن فضح دعاة العامية قبل اليوم كما ينبغى ، فأنا لا أتردد من اتهامهم بالعمالة لإسرائيل وللإستعمار ولأعداء العرب والمسلمين ..

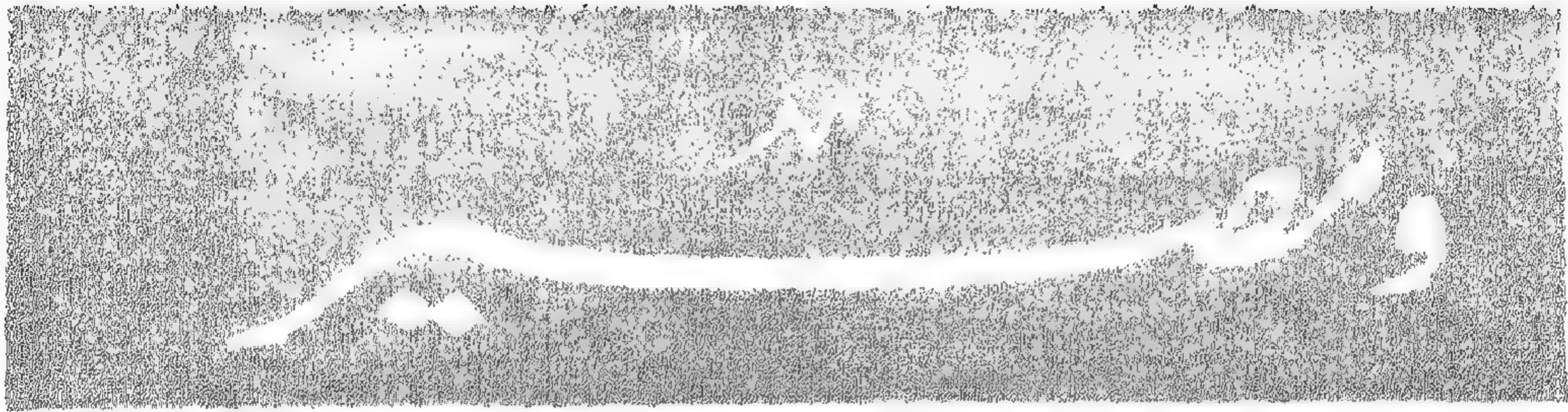
إن وجود أمثالهم بين ظهرانينا من مصلحة العدو ، ما في ذلك أدنى شك !

تلك هي مجمل أهداف دعاة العامية ، ولكن الله غالب على أمره ، وصدق الله العظيم : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » ، وقد قال المفسرون في تفسير « حافظون » — حفظه عقيدة ولغة .

فما هي أهداف دعاة الكتابة بالأحرف اللاتينية ؟ وما وسائل تعليم اللغة العربية الفصحى ؟

ذلك هو موضوع حديث جديد باذن الله !

القدس



القدس — أعظم قضايا العالم خطورة

فى الفصل التاسع والستين من المجلد الثالث من (تاريخ العالم) المشهور للسير جون هامرتن ملاحظات دقيقة عن ظاهرة تاريخية تثير العجب ، ألا وهى بروز القدس فى صدر العالم كله ، حين تجتاز البشرية مراحل انتقالية خطيرة مصيرية مؤثرة لمدى أجيال عديدة ..

فالقرون السادس قبل الميلاد شهد انتقال زمام المبادرات الحضارية من أيدى العناصر السامية والمصرية الى أيدى الآريين من فرس ويونان ورومان وفيه دمر بختنصر الهيكل وسبى اليهود الى بابل ، ثم كان انتصار كورثى الفاريسى لهم ، وردة اعتبارهم ..

وفى القرن الاول الميلادى ، وفيما كان الرومان يؤسسون سلطاتهم المطلق على أخطر رقاع الارض ، وأعظمها شأنًا دمر الهيكل وأعيد ثنات اليهود ..

وكان فى وسع المؤلف نفسه أن يضيف الى ذلك بقية حلقات السلسلة التاريخية الى ساعة الازمة الكبرى التى تواجه العالم اليوم ، وتتركز حركتها محورها فى القدس ، لولا أن بحثه كان قاصرا على العالم القديم ..

كان فى وسعه أن يضيف أن القرن السابع الميلادى شهد مرحلة حسم تاريخية بظهور الاسلام ..

وأن من القدس بالذات كان منطلق الرسول محمد عليه السلام الى السماء وذلك فى الرحلة المعجزة التى أكدت فى أخطر مراحل الدعوة الاسلامية حقيقة تحول التاريخ من المكان ذاته ..

لأستاذ أحمد العناني

الأسكندرانية

وبعد ذلك بستة قرون أخرى تقريبا ، وفى القدس بالذات ، وفى ليلة الأسراء والمعراج أيضا قرر انتصار صلاح الدين هزيمة الإرادة التى حاولت إخراج الاسلام من معركة الوجود القديمة ، بعد أن وضحت نوايا البغى المسدد الى قلب الاسلام على شكل حملة وجهت الى مهد الاسلام فى يثرب ومكة ولكنها فشلت كما هو معروف ..

وبعد خروج آخر جندي من الغزاة من ثغر طرابلس أيام المماليك بستة قرون أيضا ، وفى مرحلة تحول تاريخية فتحت معركة جديدة تحت شعارات جديدة ، ولكنها فى جوهرها مرحلة مستجدة من المعركة القديمة وكانت القدس هى الهدف ، وهى محور الصراع الذى يفتح تحولا تاريخيا جديدا ..

عداء قديم لإرادة الخير فى الوجود البشرى :

ومن كتاب (اليهود والراسمالية المعاصرة) الذى أعد مادته بصبر عجيب دماغ يمثل كل ما فى العقلية الالمانية من أصرار وعناد فى تحرى الحقائق ، واستخراج مكنوناتها من أدق التفاصيل والشوارد ، فى هذا الكتاب حديث عن حوالى خمسمئة أسرة يهودية يعود بعضها الى أصول أندلسية — وبعض هذا البعض كان منتحلا أسماء عربية ومدعيا الاسلام ، وبعضها يعود الى عناصر يهودية كانت متركزة فى المحطات التجارية لاتحاد مدن الهنسا المهيمنة على تجارة العصر الوسيط ، ومنها ما هو من هذه المدن الايطالية التى انتفعت أعظم انتفاع

من الحروب الصليبية حتى وصل بها الحال الى استدراج الشباب والاغرار لحملات أخرى ثم بيع حمولات سفن منهم رقيقا فى شمال افريقيا وغيرها ..

هذه الاسر تنقلت فى أوروبا الغربية منذ عهد شركات الهند الشرقية المربحة ، وأيام الغزوات الاستعمارية البربرية فى أفريقيا وآسيا وأمريكا الجنوبية والوسطى ، وأيام المشاريع الكبرى بعد الانقلاب الصناعى فى أوروبا الغربية وترى العائلة تنتحل اسماء مسيحية، وقد تمارس كل ما يمارسه المسيحى فى الظاهر للعيان من حياته ، ثم اذا هى فى مكان آخر وتحت ظرف آخر تتحول لاسماء أخرى وأنشطة مختلفة وقلما تظهر على حقيقتها اليهودية ..

هذه العائلات فيما بينها ، ما ظهر منها وما استخفى ، وما ثبت فى مكان وما انتقل الى سواه ضمن مخطط خفى عجيب كانت المنتفعة الاساسية من كل التحركات والتحويلات التاريخية العظمى ، ومن كل المخترعات العلمية ، والاستكشافات الجغرافية ، والتحويلات الاجتماعية، والثورات الدامية ، والحروب الاستعمارية ، ثم أخيرا الازمات الاقتصادية الطاحنة والحروب العالمية . ناهيك عن وسائلها الخفية الأخرى ..

وهذه العائلات اليهودية كانت تخطط لشئ كبير جدا فى العالم يكون منطلقه من القدس ..

رجعة ثانية الى (تاريخ العالم) وتساؤلات أخرى أيضا :

ان كاتب الفصل التاسع والستين من المجلد الثالث من تساريخ العالم ليس مسلما ولا عربيا ولكنه دكتور فى اللاهوت ، أجنبى لا يستطيع اثبات جنسيته ، وانما أعود اليه لأقتبس منه بعض فقرات تعيدنا الى أصل الحكاية ، وتلقى على حاضر القرن العشرين أضواء كاشفة تعود الى أكثر من ألفى سنة ، وأحب أن أبين أن ما قد يبدو قديما موهلا فى القدم ، مبتور الصلة بالحاضر فى حياة الشعوب قد يكون حاضرا. ماثلا كالعيان فى حاضر اليهود ، لان جوهر المزايا اليهودية التى تستطيع تجديد عذاب الانسان فى الأرض ما يزال باقيا على حاله ، وهو جوهر عبقرى فى اصراره وعناده وثباته ، قادر على احتمال سائر المناخات فى المجتمع الانسانى ، لم ينهزم هزيمة صريحة مشروعة بشكل الحق ومحتواه الا على يد محمد صلى الله عليه وسلم ..

والآن الى فقرات كتاب (تاريخ العالم) (ان فى تفكير حزقيال — وهو مبلور خطط اليهود بعد عذاب السبى فى بابل — ناحيتين لا تتفقان مع تفكير الناس اولاهما تلك الرؤى التى يرى فيها حربا هائلة يخوضها يهو — وشعبه ضد حلف من الامم المعادية) ..

(ان العادات الطقسية كالاسبات وقوانين الطعام وتحريم الزواج من غير اليهود كانت اكبر عون على خلق قومية أساسها الدين ينفرذ بها اليهود عن سائر الامم) ..

لقد ولدت عنصرية القومية الدينية اليهودية فى جو من الكراهية والآلام وكان اسمتها بالطقوس والمظاهر الهيكلية أساس

اتجاهها الى التعصب والقسوة والفساد وكراهية سائر خلق الله ،
ناهيك عن لون عجيب من الغطرسة والغرور ، واحتقار ذكاء سائر
البشر الآخرين ، والتطلع الى تسخير الشعوب بمختلف الوسائل ،
وتفضيل ما كان يوصل الى الغايات المرسومة من تلك الوسائل بأضمن
طريقة واسرعها ، كنشر الفساد والانحلال الخلقي ، وافساد الضمائر
والتضليل والعهر والفتنة ، واثارة الشكوك وتهديم ثقة الناس ببعضهم ،
والتعويل على الاثاعات الكاذبة والحروب النفسية ، وكل وسيلة توصل
الى خطط اضعاف الآخرين وتسخيرهم واستغلالهم ، وفى سائر هذه
الوسائل يكون الذهب هو المحرك الرئيسى ، ولا يوجد أدنى ريب فى أن
اساطين اليهودية وموجهيها يفاخرون فيما بينهم بكل ما أحرزوه من نجاح
بهذه الوسائل جميعها ..

ومهما قيل عن مقررات حكماء صهيون وملاحقتها السرية ، والوقت
الذى يتطلع اليه مخططو اليهودية للاعتراف العلنى المتباهى بأمثال
تلك المقررات وما نتج عنها من آلام رهيبية ، وسقط فى سبيلها من ضحايا
الا ان تساؤلات كثيرة جدا على امتداد التاريخ تؤكد مسئولية اليهودية
— ولا أقول الصهيونية عامدا متعمدا — لان هذه الاخيرة ان هى الا شكل
متطور من الاساليب التى أشرت اليها — عن أكبر قسطنطين مصائب
الانسانية .

وما اقترب اليهود يوما من هدفهم فى الهيمنة على القدس الا والعالم
يتلوى ألما من مصائب انهيارات خلقية ، تتميز باستعلان الرذائل ، وانحلال
الذمم ، وانتشار الفساد والرشوة ، وتهدم القيم الانسانية ، وسفك
الدماء بلا حساب .

وأريد أن ألقى بتلك التساؤلات التى ان لم تحمل اثباتا علميا
فهى لا تدع شكاً فى الجهة التى ينبغى ان تتجه اليها أصابع الاتهام ،
وتحملها وزر آلام هائلة تحملتها الانسانية ضريبة للعقد المترسبة فى
تقاليد اليهودية ومخططاتها الرهيبة ..

افتتح الكلدانيون مناطق كثيرة فى العراق وسوريا وجنوبى ايران
فلماذا لم يسبوا وينفوا الى بابل غير اليهود ، ولماذا اختصوا هيكلم فى
القدس بالتدمير التام ؟

لماذا أصبحت بابل قبل مجيء الفرس مركز تجميع ثروات هائلة ،
كما أصبحت مركز الاساطير والسحر والشعوذة ؟

من الذى كان فى ركب الفرس يقود خطى فتوحاتهم فى الشرق
الادنى ؟ ولماذا بدا كورش وكأنما هو ملك اليهود دون الفرس ، وما سر
حماسته لهم ، وتبنيه قضيتهم ؟ ولماذا شغل بهم هو وخلفاؤه أكثر من
انشغالهم بقومه الفرس ؟

كيف تسنى لليهود ذبح الحاميات الرومانية ، وتقتيل اطفال ونساء
جنود الفيالق الرومانية المقاتلة ضد البارثيين ، والنجاة من كل عقاب
مرة بعد مرة ؟

لماذا وجد تيتوس احب اباطرة الرومان لشعبه من الضرورى
هدم الهيكل وتشيتت اليهود ؟ من الذى حول الرومان من أمة تتعبد
الاستقامة والبساطة الى عباد ترف ، واعلام فجور ، وما هى حقيقة

محتكرى الضرائب فى روما ، ومتعهدي اموال الدولة ، وما هو سر الفحش الذى تميز به قصور الاباطرة قبل فاسباسيان الريفى المستقيم وتيتوس؟ لماذا تبدل موقف اليهود من رسالة كل من المسيح ومحمد عليهما السلام ؟ الانهما فشلا فى الحالتين عن تطبيق اعظم عبقرياتهم الشريرة فى استغلال المبادئ الانسانية والمتاجرة بها ؟ ايما كان مؤلف او مؤلفو الروايات المعروفة باسم روايات شكسبير فهى جميعها تمتاز بصفة اساسية هى انسانيته العريضة الواسعة ، السمة الفضفاضة فلماذا حرصت على أن تحوى اصدق صورة درامية عرفها التاريخ لشخصية شاييلوك المرابى اليهودى المجرى من الانسانية ، وهل قفز ذلك الخيال الموفق من العدم ؟

من هو الممول والمحرض والمستفيد من قيام الحروب الصليبية ؟ وما هو دور اليهود المتواجدين فى البندقية وجنوه ومرسيليا واتحاد مدن الهنسا — وهى جميعا اعظم المستفيدين من تلك الحروب ، فى قيام الحرب واستمرارها مئتي سنة ؟

أى دور لعبه اليهود فى تشجيع المسلمين على سرعة اقتحام اسبانيا ؟ ولماذا برزوا فى عملية اخراج المسلمين منها بحيث اثار السخط رجلا كالمعتمد بن عباد فقتل المسئول المالى اليهودى للأدفنش ؟ ثم ما ذلك الدور الذى لعبه اليهود فى ايجاد أجواء خلاعية فى الاندلس ؟ حتى مؤلفى الموشحات التى تغنيها الراقصات يهود والمشرفون على فرق الرقص كذلك ؟

ما سر العلاقة بين الهرمزان وأحد كبار المنافقين اليهود فى يثرب وأبى لؤلؤة فى استشهاد الخليفة عمر بن الخطاب ؟ ومن ترى كان وراء التحريض المثير الذى حمل أبناء عمر رضى الله عنه على قتل الهرمزان ، وبذلك انطمست آمال التوسع فى البحث عن الجريمة حتى نشأ موقف لا أرى له شبيها فى التاريخ أقرب من الموقف النائىء بعد مصرع كيندى فى أمريكا ؟ ومن كان وراء غموض الحركة التى أدت الى استشهاد عثمان رضى الله عنه ؟ وما هو الدور الذى لعبه اليهود فى تركيا اعتبارا من خيانة كوتشك كينارجة الى تسليم عبد الحميد وثيقة خلعه بيد الرجل الخفى الذى كان عرض عليه السماح بوطن قومى لليهود فى فلسطين فرفض ذلك عبد الحميد ؟ ولماذا نذهب بعيدا ؟

من الذى جعل الالحاد من ضرورات المطالبة بالعدل الاجتماعى ، وكان العقل الفكر اليسار فى عالمنا المعاصر ؟ هارولد لاسكى فيلسوف حزب العمال البريطانى يهودى ، وماركس يهودى ، والحزب الاشتراكى الديموقراطى الالمانى قام على اليهود ، ولا تسلم عن اليسار فى فرنسا وغيرها ؟ وحركات كثيرة قامت فى ايطاليا لتوحيد البلاد الممزقة فخاها النجاح .. حتى اذا قامت حركة وراءها مينون اليهودى فى البندقية الذى كان كافور واجهة له نجحت حركة الوحدة الايطالية وكان غاريبالدى الرجل الشعبى الغيور أحد ضحاياها ؟ والدور الذى لعبه تروتسكى فى ثورة اكتوبر بروسيا ما هو وما سره ؟

وفى كتابة وعد بلفور والتمهيد لها .. كيف أصبح لورد الصحافة

البريطانية داعية الوعد المجنون صاحب ملايين ، ومهيمننا على التاييز وغيرها الا اموال الاعلانات وشركاتها الممولة من اليهود ؟ واسكويث ذلك الرجل النزيه ، من أحل لويد جورج وبلفور محله قهرا فى الوزارة بلندن الا نفوذ وحركات اليهود ؟

ويقولون ان هرتزل نفسه وحاييم وايزمن كانا متلهفين على قبول اقتراح بانشاء وطن قومى يهودى فى افريقية ، ولكن قوى أقوى منهما أجبرتهما على المجاهرة بتخصيص فلسطين فى المطالبة بالوطن العتيد . من هى تلك القوى التى تأمر رجالا كهرتزل ووايزمن وتطاع بكل بساطة ؟ ومن هو بروكسمير صاحب النفوذ العريض فى الكونغرس الأمريكى وما حكايته ؟ ولحكم من تخضع الحواضر الضخمة الأمريكية فى نيويورك ولوس أنجليس وشيكاغو ؟ ومن الذى يملك وسائل الاعلام والصحافة ومنابع السينما والتلفزيون ؟

ان العالم يزخر بأقليات كثيرة نشطة ، لها كل ما للأقليات الصغرى المفترية فى العالم الفسيح من نشاط وحرص .. لكن واحدة منها لا تقيم الحكومات أو تسقطها ، وتثير الحروب أو توقفها ؟

ليس هناك غير اليهود من يستطيع ان يباهى بتبرير الجريمة فى الارض على قاعدة عقل يدعى فرويد ، وتبرير الاحاد بفكر يسمى الدارونية وتحويل الاديان والمعتقدات الى السنة تنافق وسياط تجلد وتظلم ، وثورات السخط على الظلم الاجتماعى الى كفر واباحية وفوضى .. ليس غير اليهود استطاع تحويل الجماهير التعسة لعبادة جسد المرأة ، وجعل مفهوم الحرية هو حرية الجنس المشاعة البهيمية ..

اليوم يعودون للقدس :

واليوم يعودون الى القدس ، ومعهم نفس مخططات العائدين من السبى فى بابل أن يحكموا العالم ، ويفتكوا كيفما طاب لهم بسائر شعوب الارض النجسة كما يعتبرونها وهم يرتفعون عن حضيض المذلة التى كتبت عليهم بحبل من الناس ..

ذلك الحبل هو امتلاكهم كل مفاتيح القوة فى عالم الرأسمالية الباغية المستعمرة ومفاتيح كل دعوات الكفر والانحلال الروحى فى دنيا اليسار الملحدة ..

بهم ترتبط الاحتكارات الباغية فى حواضر أمريكا وأروبا ، وخزائن الذهب والعملات النادرة فى كهوف زيوريخ ، ومصانع الرذيلة والفجور فى هوليوود وأروبا ، ومعهم سدنة القسوة فى جنوب أفريقيا ولشبونة ، وسائر المرتزقة من سياسيين وعسكريين فى أنحاء الارض ..

ومعهم كل ضعف الانسان وشرور نفسه وما يتعلق بها وينجم عنها فى الحياة .. وليس أمامهم الا القرآن وسنة محمد عليه السلام .. وهما ما لم يستطيعا تحريفه أو احكام المتاجرة به على مدى التاريخ ..

ومع القرآن وسنة نبيه أفراد مبعثرون فى الارض وأعوون كل شىء متشوقون للمجاهدة فى حماية البقية الباقية من كيان البشرية الذى لم يصل اليه سوس حكماء صهيون . ومع هؤلاء قلائل من أهل المسيحية

بدأوا يتململون تحت وطأة اليقظة بين ملايين من اخوانهم مذهبـولين
بسحر اليهود ..
فى موقف كالح كأنما انقطعت فيه حبال الارض عن السماء بدخول
اعداء الله الى مسرى رسوله ..
وفى منعطف تاريخى رهيب خطر قد لا يترك للبشرية فرصة اخرى
لمراجعة الامور يقف العالم حائرا مشدودا ، مروع الضمير ، لكنه عاجز
عن الحركة .. فلماذا ؟

يريد الله للنصر اهل الصدق :

لقد ارتفعت فى القدس رسالات الانبياء التى حرمها اليهود
وحوروها ، وتاجروا بها وتفكروا لجوهرها ، بينما استمسكوا بطقوس
كرسوها فيها ..
وفى القدس أعلن المسيح كلمة الحق ، فسار به اليهود جهارا
نهارا على طريق الآلام ، وقد توجوا رأسه الكريم باكليل الشوك ..
وفى القدس بدأت رحلة محمد عليه السلام الى السماء توثيقا
لرسالة السماء التى حملها بنجاح فى الارض ...
هناك يرتكب اليهود الان أبشع جرائم عرفتها الانسانية فى التاريخ
فى غياهب السجون يزج بالابرياء العرب ، فتشتهم معتقداتهم ، وتهـان
كراماتهم ويعذبون كما لا تعذب فرائس الحيوان من وحوش الغاب ..
هناك لا تساوى نهية الدين والشريعة ، والحق والشرف ، وحقوق
الانسان ومبادئ الامم المتحدة ، ومواثيق البشرية ثمن الورق الذى
كُتبت عليه ..

هناك تعاد ذكريات محاكم التفتيش ، ومشاهد نيرون ، ومعتقلات
النازى وسبى الكلدانيين ، ومذابح الصليبيين ..
ومع ذلك تملأ الدنيا الدعاية أن اسرائيل لا تعتقل الا بمبرر ، ولا
تحاكم وتحكم الا ببينة ، ولا تطرد وتعذب الا بحجة قائمة ..
الله اكبر ، الله اكبر ، لا اله الا الله !

لم يبق فى الدنيا من روح الحق الا هذا النداء الذى باعد اليهود
بينه وبين الناس بما صنعوا من عجول الذهب ، وما ضللوا من شياطين
الانس ، وما فرقوا بالفتن ، وما أفسدوا من ذمم ..
الله اكبر ، الله اكبر ، لا اله الا الله ..

يريد خلاص الارض من الطامة الكبرى رجالا فوق الشهوات ،
وفوق المنافع ، وفوق المعاذير ، وفوق الخوف ، وفوق هوى النفوس ..
رجالا يحيون وكأنما يرون الجنة عيانا والنار عيانا ..
يريد الله رجالا يشرفهم بارادته فى نصرهم لانهم حقا ينصرونه والا
فقد ماد العالم ، وانتهى أمر الانسان ، والتهمة فتنة تـودى به الى
الخراب ..

يريد الله ربانيين صادقين ليطفئوا النار التى تحرق كل شرائع
الحق المفترى عليها فى الارض التى باركها فى القدس ..

الإسلام.. وسيادة القانون

للاستاذ فتحي محمد جمعة

تمهيد :

تخضع الأمم لناموس الحياة العام الذي يخضع له جميع الأحياء ، فتتقلب من ضعف إلى قوة ، ومن قوة إلى ضعف حركة دائبة ، قد تطول معها مدة القوة أو الضعف ، ولكنها — في آخر الأمر — تنمرد على أسباب الضعف فتتقوى ، أو تعمى عن أسباب القوة ، فتتردى في مهاوى الضعف والانحلال .

هذه حقيقة « إنسانية » يشهد لها الواقع ، وتصديقها حركة التاريخ . ولا يعنيها هنا أن نستقرئ الحوادث — على امتداد العصور واختلاف الدول — وإنما يعنيها أن نبلغ بالاستقراء إلى مداه ، فنعرف ما يقترن بالقوة ، أو بالضعف من ظواهر وعلامات .

فماذا عسى أن نصل إليه باستقراء التاريخ في هذا الصدد . . . ؟
أن التاريخ هنا يقدم إلينا « حقيقة » كبرى تفسر كثيراً من الأشياء التي نطلب تفسيرها في هذا المجال .

ذلك أن قوة الأمة ترتبط دائماً بشيوع الأمن والنظام بين أبنائها ، كما أن ضعفها يرتبط دائماً بما فيها من فوضى واضطراب .
ولو سبقنا مجرى الحديث لقلنا :

أن القوة ترتبط بوجود « قانون » تدين له الأمة .

كما أن الضعف يرتبط بضياح هذا القانون . . .

هذه — كما قلنا — حقيقة ثابتة أدركتها الإنسانية من قبل أن يتكون من الأفراد جماعات ، ومن الجماعات أمم وشعوب .

ومن أجل هذه « السليقة الإنسانية » — سليقة الشعور بالحاجة إلى « نظام » جهدت التجمعات البشرية الأولى أن تصطنع لها ما يمكن أن نسميه

« قانونا عاما » ، يخضع له سائر الافراد . ومن هنا ، كانت الاعراف ، والتقاليد البدائية التي كشفت عنها الدراسات « الانثروبولوجية » وجود النظام أو « القانون العام » — اذن — ضرورة لازمة ، تمليها الفطرة الانسانية ، ومن أجل ذلك ، كان شعور الانسان بالطمأنينة والامان ما وجد هذا النظام ، وشعوره بالفزع ما اختل النظام ، واضطربت القوانين .

* * *

على أنه اذا ما غاب « القانون » الذي يحفظ الأمن ، ويعطى كل ذي حق حقه ، فإن الشعور بالقلق يكون شعورا عاما يغمر الأقوياء والضعفاء على السواء :

القوى في خوف دائم من منافسة الأنداد ، ومن انقراض الضعاف في لحظات الثورة والهياج .
والضعيف في رعب دائم من تسلط القوى ، وجبروته ، واستبداده .
فلا هذا مطمئن في ضعفه ، ولا ذاك وادع في قوته .

— — —

تلك هي الدرجة التي استوى عليها العالم قبل أن يبعث النبي العربي محمد — صلى الله عليه وسلم — بدينه الجديد الى الناس كافة .
فماذا فعل الاسلام لاقرار الأمن ، وتوطيد اركان القانون ... ؟

— — —

ذلك هو ما نحاول — بعون الله وهدايته — جلاءه على الصفحات التوالى :

* * *

الاسلام والقانون :

لسنا هنا بصدد شرح « القانون الاسلامي » أو تفصيل « مواده » التي تناولت — في شمول رائع — كل ما يهم الانسان في دينه ، ودنياه ، فنظمت علاقة الانسان بخالقه — وهي علاقة الضمير الحي والقلب السليم — وعلاقة الانسان بنفسه ، وعلاقته بغيره من بني جنسه . ثم علاقة الأمم بعضها ببعض ، وصدق الله العظيم اذ يقول : « ما فرطنا في الكتاب من شيء » (الأنعام ٣٨) . لسنا هنا بصدد شيء من ذلك .

أولا : لأن هذه أغراض مستوفاة في مواطنها لدى ذويها وأصحاب القدرة عليها .

وثانيا : لأننا نقصد بهذا البحث القصير الى غاية واحدة ، لا نريد أن نتعدها ، وتلك هي بيان ما صنع الاسلام في حماية الأمن وسيادة القانون .

* * *

الاسلام وحقوق الانسان :

ان تكن الثورة — في أقرب معانيها — تغييرا لنظام سائد ، أو تبديلا لوضع مستقر ، أو اصلاحا لفساد قائم ، فلقد كان الاسلام — بحق — ثورة هائلة أحدثت تغييرات كبرى في كل شيء يتصل بالحياة الانسانية .

وبحسبنا هنا أن هذا الدين الجديد قدم للانسان عقيدة جيدة فى الاله الواحد الذى ليس كمثله شىء . . وعقيدة جديدة فى « الرسول » الذى هو « بشر » اصطفاه الله ليبلغ رسالته الى الناس . وعقيدة جديدة يرضى عنها العقل والقلب فى الملائكة وفى الموت والبعث وفى الجنة والنار .

ثم قدم له — الى جانب العقيدة الصالحة — الشريعة الصالحة التى اضاءت له الطريق الى الدين القيم والدنيا الطيبة .
والذى يعنينا هنا من ثورة الاسلام — على بعد مداها وتعداد جوانبها — انها الثورة الاولى التى أعلنت « حقوق الانسان » ثم شرعت من النظام ، واستنتت من القوانين ما يحمى هذه الحقوق أن تغتصب ، أو يعتدى معتد عليها .
* * *

لا تعصب هنا ، ولا ادعاء من غير دليل ؟؟
فلا جرم ، جاء الاسلام بثورته الكبرى على غير مثال سابق ، اذ لم يعلن فى الثورات السابقة على الاسلام — سواء اكانت دينية ، أم كانت سياسية اجتماعية — تلك الحقوق العامة التى نادى بها الاسلام ، وأعلنها للانسان بعد ميلاد المسيح بستة قرون . ذلك « لأن الانسان نفسه لم يكن » عما « فيوليه الدين حقوقا عامة وانما ولد هذا « الانسان العام » يوم آمن الناس باله يتساوى لديه كل انسان ، ويوم نيطت حقوقه بواجباته بغير تفرقة بين قبيل وقبيل (١) » .

وقد يكون من المفيد هنا أن نلقى بعض الضوء — فى اشارات موجزات — على ما سبق ظهور الاسلام فى هذا الميدان ، لكى نعرف حقيقة ما أداه هذه الدين للانسانية ، منذ خرج من الجزيرة العربية لأربعة عشر قرنا — الى يومنا هذا . لقد اشتهر عن اليونان والرومان أنه كان لهم قوانين ، وحكومات « ديمقراطية » ترعى هذه القوانين ، وتحميها ، ولكن هذه فى الواقع لا تزيد عن كونها خططا « عملية لأمن الفتنة » واستجلاب الولاء من المجندين للجيش والأسطول من أبناء القبائل وأصحاب الصناعات . . وآية ذلك أن الحكومة الديمقراطية نشأت بين « الاسبرطيين » أصحاب النظم والاجراءات الادارية ، ولم تنشأ بين « الاثنيين » أصحاب الفلسفات والبحوث النظرية (٢) » .
* * *

ونتقدم مع الزمن حتى نصل الى « اليهودية » ، لنجد أن « بنى اسرائيل لم تكن لهم رسالة عالمية انسانية ، وأنهم قد وافقتهم عقائدهم ومعاملاتهم فى عزلتهم بين أبناء الحضارات ، فلما انتهت رسالتهم المحدودة بما يوافقهم ، تفرقوا بين الأمم من غير دولة ، ولا سيادة على أحد (٣) » .
* * *

أما المسيحية فقد لخص السيد المسيح — عليه السلام — رسالتها فى أنه « ما جاء لينقض الناموس ، بل ليكمله » .
فهو — عليه السلام — لم يأت بشرع جديد يخالف شريعة موسى عليه السلام أو بقانون يهدم قانونه ، وانما جاء ليتمم ذلك ويكمله .

ثم ظهر الاسلام ...
 ظهر الاسلام ، والعالم يتداعى بعد أن فقد العقيدة كما فقد النظام .
 أى أنه — كما يقول العقاد رحمه الله — فقد طمأنينة الباطن التى تنشأ
 من الركون الى قوة فى الغيب ، تبسط العدل ، وتحمى الضعيف .
 وطمأنينة الظاهر التى تنشأ من الركون الى « دولة » تقضى بالشريعة ،
 وتفصل بين البغاة والابرياء ... (٤) »

* * *

ظهر الاسلام ليعيد الى العالم أمنه الضائع ، ويرد له طمأنينته المفقودة بما
 شرع من عقيدة ، وبما وضع من قانون لا يفرق بين انسان وانسان الا بالعمل
 وحده . . . وتلك شرعة المساواة التى هى معجزة من معجزات هذا الدين العظيم
 لأنها نبتت فى أرض العصبية والانسان .
 « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل
 لتعارفوا . . . أن أكرمكم عند الله أتقاكم . . . » (الحجرات : ١٣) .

الأخلاق والقانون فى الاسلام :

من أعظم ما فى الاسلام — وكل ما فيه — والحمد لله — عظيم — أنه دين
 الاخلاق فى صورتها المثلى :
 عباداته أسست على الاخلاق ، لأنها علاقة بين الانسان ورب العالمين ،
 وقوام هذه العلاقة هو — كما قلنا — ضمير الانسان الحى ، وقلبه السليم .
 وكذلك معاملاته . . . !!
 وحدوده . . . !!
 وجنباياته . . . !!
 كل هذا أخلاق أو تربية للأخلاق .
 ومن أجل هذا لا نبالغ إذا قلنا : ان القانون وتنفيذه يرتبطان — فى الاسلام —
 بالأخلاق أوثق ارتباط . . وهذا ما سوف نحاول — بإذن الله — أن نبرزه فى
 ثنايا حديثنا عن وسيلة الاسلام فى اقرار الأمن ، وحماية القانون .

* * *

وقد كان للاسلام فى ذلك ثلاث وسائل :
 أولها : تنصيب من يقوم على ذلك ، وهذا هو الامام أو الحاكم .
 ثانيها : الحدود التى يجب ألا يتعداها الامام فى حكمه ، وفى علاقته
 بالمحكومين .
 ثالثها : المبادئ التى وضعها فى هذه السبيل .

* * *

أولا : الامامة :

عنى الاسلام عناية كبيرة بأن يتولى أمر جماعة المسلمين فرد منهم يكون
 اصلح من فيهم لهذه الولاية . وقد جعل ذلك واجبا من أعظم واجبات الدين لا

يقوم أمر الدعوة بدونه ، يقول صلوات الله عليه : « اذا خرج ثلاثة فى سفر فليؤمروا واحدا منهم » .

« فأوجب — صلى الله عليه وسلم — تأمير الواحد فى الاجتماع القليل المعارض فى السفر ، تنبيها بذلك على سائر أنواع الاجتماع ، ولأن الله أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولا يتم ذلك الا بقوة وإمارة (٥) » . ومن هنا ، بذل الفقهاء وعلماء الكلام جهدا عظيما رائعا فى بسط أحكام الإمامة ، وبيان وجوبها وضرورتها وفى شرح حدودها . . . الى غير ذلك من الأحكام التى ليس استقصاؤها من غايتنا هنا . وانما غايتنا أن نستخلص من « الإمامة الإسلامية » معناها الذى نريده فى هذا المقام ، وهو أن الاسلام قد وضع « قوانينه » ثم تكفل بحمايتها ، فعهد الى من تتفق عليه الجماعة أن ينفذها ويرعاها .

* * *

الإمام — إذن — هو « وكيل الأمة فى إقامة حدود الله » وهو « يتولى الإمامة لائتاء كل ذى حق حقه ، ويملك الأمر وتجب له الطاعة فيما تدعو مصلحة الأمة فيه الى تشريع جديد (٦) » .

والإمام هو — وحده — المسئول عن تنفيذ القانون ، وحفظ الأمن ، وإقرار النظام . . . وهنا يظهر التشريع الإسلامى شامخا سامقا ، وهو يضع مبادئه ، انه لا يكتفى بوضع المبادئ أو « سن » التشريعات والقوانين ، ولكنه يحيطها بسياج متين يحميها من الاجترار عليها أو تعدى حدودها ، وذلك أنه حصر مسئولية « التنفيذ » فى يد الإمام أو من يعينه لذلك . . . أما أن يتصرف من يشاء كيف يشاء وتستترا وراء القانون ، فهذه هى « الفوضى » التى وقى الاسلام « قوانينه » منها .

ومن المعروف فى عصرنا هذا أن أحدا لا يملك الحق فى « اعتقال » أحد وانما الشرطة هى التى تفعل ذلك ، ثم تسلمه الى « النيابة » ، وهذه هى القضاء الذى يصدر الحكم ، فلا ينفذه القاضى ، وانما هناك « سلطة » أخرى للتنفيذ .

هذا هو القضاء فى أحدث ما وصلت اليه الحضارة العصرية . وقبل أربعة عشر قرنا أدرك النبى العربى ذلك ووعاه ، وعلمه لأمته ، لأنه — صلوات الله عليه — علم أنه لو أباح أحد لنفسه أن يتصرف باسم القانون ، لانتقلب الأمر الى فوضى .

ومن أجل ذلك غضب — صلى الله عليه وسلم — لأن أناسا من المسلمين قتلوا رجلا من المشركين غداة فتح مكة ، وقال فيما يروى الإمام البخارى : « . . . فان أحد ترخص لقتال رسول الله فيها ، فقولوا : ان الله اذن لرسوله ، ولم يأذن لكم . . . وانما اذن لى فيها ساعة من نهار . وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس . . . » (٧) .

وعلى أساس من هذا الالهام السديد ، نهج فى مصادرة الخمر نهجا يحقق — مع تنفيذ القانون — إقرار الأمن والنظام .
خرج بأصحابه الى الاسواق الملى بزقاق الخمر ، وأخذ المديّة من عبد الله

ابن عمر ، وثيق ما وجد من هذه الزقاق ، ثم أعطاه إياه وأمره ألا يدع زقا إلا
ثقه ، وأمر من معه أن يعاونوه في مهمته .
* * *

ليس الأمر هنا أمر تحليل أو تحريم ، ولكنه نظام « وتنفيذ » ، في مجتمع
حافل ، يشتمل على شتى المصالح والاهواء ، ولا يصاب ببلاء هو أضر عليه من
بلاء الفوضى والاضطراب ، واختلاف الدعاوى وانتزاع الطاعة ، وتجاهل
السلطان (٨) .
* * *

« الإمامة الإسلامية » — اذن — مسئولية كبرى ، وأعباء وتكاليف ينهض
بها الإمام الذي ليس له من سند يستند إليه الا قيامه بهذا الواجب الكبير .
ومن هنا كان الشرط الأعظم في الإمام : أن يكون أصلح الناس للولاية ،
والأحق الأئمة على من ولاه ، قال — صلى الله عليه وسلم — فيما يرويه الحاكم :
« من ولي من أمر المسلمين شيئا ، فولى رجلا ، وهو يجد من هو أصلح
للمسلمين منه ، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين » .
ثم يتتابع اختيار الأصلح في جميع الأمور ، فيجب على كل من ولي أمرا
للمسلمين « أن يستعمل فيما تحت يده في كل موضع أصلح من يقدر عليه (٩) »

* * *

ولكن « الإمامة » تنحرف عن سوائها ، وتضل السبيل الى غايتها اذا كانت
تسلطا ، أوقهرا ، أو استبدادا . . وما هكذا كانت « إمامة الاسلام » !! انها
« أمانة الأمة » يحملها الإمام ولا مزيد .
لا غفظة فيها ولا غلظة ، ولكن قلب كبير رحيم ، وصدر رحيب حلیم .
وها هوذا توجيه القرآن الكريم لنبي الاسلام ، ولكل امام يلي أمر الناس :

— — —

(آل عمران : ١٢٨)	« ليس لك من الأمر شيء »
(الكهف : ١١٠)	« انما أنا بشر مثلكم »
(آل عمران : ١٥٩)	« ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك »
(ق : ٤٥)	« وما أنت عليهم بجبار »
(الفاشية : ٢٢)	« لست عليهم بمسيطر »

— — —

هذه هي « الإمامة » وهذه هي — أهميتها العظمى ، وسيلة من أعظم
الوسائل التي توصل بها الاسلام الى اقرار الأمن ، وسيادة القانون بين
الناس (١٠) .

ثانيا : حدود الإمام ، أو حقوقه وواجباته :

تتلخص الحقوق في شيء واحد ، والواجبات كذلك في شيء واحد .
فأما الحقوق فهي وجوب الطاعة له الا أن يأمر بمعصية . . . !

وأما الواجبات فهي وجوب العدل عليه فى جميع أحكامه . . !
وفى سبيل ذلك ، يجب أن يتعد عن كل ما يضعف فضيلة العدل فى نفسه
وأسوأ ما يصاب به العدل أن يحابى ، أو يقبل من أحد هدية ، أو يسمح بأن
يعامله الناس معاملة خاصة فى البيع أو الشراء لأنه أمير .
ذلك أنه — فى أى من هذه الأحوال — قد يضطر الى المجاملة كفاء ما قدم
اليه فلا يستطيع أن يسير بالعدل بين جميع الناس . وبحسب الحكم من الآفة
أن يحيد الحاكم عن العدل مرة واحدة .

* * *

ومن أجل ذلك نرى رسول الاسلام ، ومعلم الأمة يشدد نكيره على وال
قبل هدية فقال — صلوات الله عليه — : « ما بال الرجل نستعمله على العمل
مما ولانا الله ، فيقول : هذا لكم ، وهذا أهدي الى ؟ فهلا جلس فى بيت أبيه
أو بيت أمه ، فنظر أيهدى اليه أم لا ؟
والذى نفسى بيده ، لا يأخذ منه شيئا الا جاء به يوم القيامة : ان كان
بعيرا له رغاء ، أو بقرة لها خوار ، أو شاة تيعر ، ثم رفع يديه حتى رأينا عفرتى
أبطيه : اللهم هل بلغت ؟ ثلاثا (١١) » .
وكذلك تكون محابة الناس لولاتهم فى المعاملات المختلفة نوعا من الهدية
— كما ذهب الى ذلك المجتهد العظيم أبو العباس أحمد بن تيمية — ولهذا شاطر
عمر بن الخطاب من عماله ما كانوا خصوا به من أجل الولاية (١٢) .

ثالثا : المبادئ التى وضعها الاسلام لحماية القانون :

يجمع هذه المبادئ — فيما أرى — كلمتان صغيرتان :
العدل .
المساواة بين جميع الناس .
العدل هو القانون .
والمساواة أن يطبق القانون على الجميع بصورة واحدة ، دون تفرقة بين
أحد وأحد .
ههنا يظهر الاسلام : عقيدة راسخة ، ونظاما عاما صلح فى زمانه ،
ويصلح فى زماننا ، وفى كل زمان يأتى بعده .
وههنا تظهر أخلاق الاسلام . . !
وأخلاق الاسلام هي « أخلاق الانسان » فى أرفع ذراها ، لأنها تتوجه
— أول الأمر وآخره — الى النفس : تربيتها ، وتصلحها ، وتطهرها من أدران
التعصب والهوى . . والى الضمير : توقظه ، وتمده بحياة متجددة القوة ،
موصولة العطاء .

* * *

ان الاسلام يأمر بالعدل ، ويجعله غايته كما كان هو الغاية من ارسال
الرسول : « لقد أرسلنا رسلا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس
بالقسط . (الحديد : ٢٥) » .

فالمقصود من ارسال الرسل ، وانزال الكتب هو اقرار العدل ، ولكن من الناس من لا يستقيم بالكتاب وحده ، فهنا تكون القوة : **((وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ، ومنافع للناس))** . (الحديد ٢٥) « (١٣) .

* * *

العدل — اذن — هو غاية الاسلام ، كما كان غاية الرسالات قبله . ولكن الاسلام يتجاوز هذه المرحلة ، فيخطو الى الامام خطوات واسعة اذ يتسامى باتباعه ، ويعلو بهم على أنفسهم ، ويقهر فيهم « نازعة » هي أسوأ آفة يمكن أن يصاب بها الضمير الانساني ، وتلك هي « نازعة » التعصب ، والحكم بالهوى : **((يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط ، شهداء لله ، ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ، أن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما ، فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا))** (النساء : ١٣٥) .

هنا أمر بالعدل ، وان تكون الشهادة لله ، ولو على النفس والوالدين والأقربين .

وهنا أمر بالتجرد عن الهوى ، وعدم اتباعه في الحكم على الناس . وكلا الأمرين ، تربية لنفس الانسان ، وتنبيه لضميره أن يكون هو الرقيب على التزامه بالعدل فيما يأخذ وفيما يدع من أحكام . وما من سلطة يرهبها الانسان أقوى من سلطة الضمير والوجدان .

* * *

ولا يكتفى الاسلام بهذا ، بل يمضي في شوط التربية الى نهايته ، فيأمر بالعدل مع الاعداء كما أمر به مع الاصدقاء : **((يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله ، شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا ، هو أقرب للتقوى))** . (المائدة : ٨)

ان الاسلام — وهو يأخذ الناس بما يشرع لهم من أحكام — لا يفرق بين قبيل وقبيل ، ولا يقف مع المسلم لاسلامه ، وانما يقف مع الحق ، ولو كان في جانب الاعداء .

فالناس — كل الناس — سواء أمام « القانون الاسلامي » ، لا فرق بين المسلم وغير المسلم ، ولا انتصار للصديق على العدو . وانما الانتصار : للعدل وحده ، والوقوف : مع الحق وحده ، ذلك أن العدل : « هو أقرب للتقوى » .

* * *

هنا لا يستطيع المنقبون عن « الثغرات » أن يجدوا في قانون الاسلام « ثغرة » ينفذون منها الى نقضه أو هدمه ، لأنه متماسك البنيان ، ثابت القواعد : لا يطمع فيه الصديق ، فيجتريء على تعدى حدوده ، ولا يخشى العدو — في جواره — أن يجار عليه ، أو تغتصب حقوقه .

وهكذا مكن الاسلام لقانونه أن يسود سيادة فعلية تمتد بامتداد الزمان ، لأنها مستقرة في أعماق ضمير الانسان . فالانسان — هنا في الاسلام — هو الذي يهيئ لهذه « السيادة » أسبابها ، ويمهد لها التربة الصالحة لأن تثبت وتؤتي أكلها ، لأن ضميره الذي أحياه الاسلام من موت وأيقظه من غفلة — هذا الضمير ، هو الذي يحرك ، وهو الذي يأمر ، وهو الذي ينهى .

وتلك هي « أخلاق القوانين » في الإسلام ... ؟
 فالقانون الإسلامي قانون عالمي ، يشرع — اذ يشرع — للناس كافة ويطبق
 — اذ يطبق — على الناس كافة . ولا يستطيع أحد أمام قوة القانون وأحكامه —
 أن ينجو من هذا القانون ، ولو كان نبي الإسلام نفسه :
 « (ولو تقول علينا بعض الأقاويل . لأخذنا منه باليمين . ثم لقطعنا منه
 الوتين . فما منكم من أحد عنه حاجزين) » . (الحاقة : ٤٤ — ٤٧)

* * *

وإذا كان الله سبحانه يتوعد بالعقاب الشديد أحب أحبائه ، وأصفى
 أصفياه ، لو حاد عن شرع الله ، أو قال قولاً من عند نفسه ، ثم ادعى أنه وحى
 من السماء — إذا كان الأمر كذلك فإن رسول الله لا يمكن أن يتسامح في عقوبة
 وجبت على من تعدى حدود الله ، مهما يكن جاهه ومنزله في قومه .. كذلك لا
 يمكن أن يقبل فيه شفاعة مهما تكن منزلة الشفيع في قلبه صلوات الله عليه .
 ذلك هو خلق الإسلام !!
 وذلك هو خلق نبي الإسلام !!

* * *

وعندما سرقت المرأة المخزومية ، واستجار قومها بأسماء بنت زيد حب
 رسول الله أن يشفع لها عنده ... ويذهب أسماء ، فيفضب النبي ، ويرسل في
 العلمين تلك الصيحة الرائعة التي لا تزال تدوي في سمع الزمان :
 « أتشفع في حد من حدود الله يا أسماء ؟
 والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها . إنها أهلك
 الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق الضعيف أقاموا
 عليه الحد » ..

— — —

إن رسول الله — هنا — يؤدب أتباعه بما لم تستطع الإنسانية — مع كل
 ما قطعت من أشواط الحضارة — أن تتقدم بعده خطوة واحدة ... موقف من
 المواقف الشامخة ، يرتبط فيه المبدأ بالتطبيق ، ويتصل فيه القانون بالتنفيذ .
 القانون هو : قطع يد السارق — أي سارق — ولو كان فاطمة بنت محمد .
 فإذا تسومح هنا ، فقد يتسامح هناك .
 ثم ... ؟

ثم يتحول الأمر إلى فوضى ، لأن أحداً لم يعد أحداً يشفع له ، ويجيره في
 حماه .. وهذا ما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعلمه لأمته : القوانين
 لا تكون قوانين إذا ارتبط تنفيذها بقرب الناس ، أو بعدهم من ذوى السلطان ، أو
 بمقدار حظهم من الشرف والوجاهة أو الضعة والهوان .

* * *

هنا تضيع القوانين ... !
 وهنا تضيع الأمة ... !

أمة لا ميزان لها ، ولا نظام يحكمها ، كيف يكون لها كيان ، وكيف تقوى على البقاء بين الأمم ؟
 ذلك هو « قانون الحياة » الذى لمسه الرسول الكريم بهذا القول الجامع :
 « انما اهلك الذين قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه ، واذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد » .

* * *

لا محاباة — اذن — لقريب أو صديق ، ولا شفاعاة لحبيب ، ولا جور على عدو ، ولا خوف من قوى ، ولا اهدار لضعيف . . . فى تنفيذ أحكام الله .
 وانما الكل سواء لا يفرق بين أحد وأحد الا الحق ، والحق وحده وانما الكل سواء تحت راية هذا الدين الذى أقام « قانونه » على قاعدة العدل المتينة ، والذى كان العدل فيه « هو أساس التصرفات والاحكام ، وانه لا ينبغى لمؤمن أن يحول بينه وبين العدل شىء من صلات النسب ، أو القربى (١٤) » .

* * *

الكل سواء !!
 هذا هو قانون الاسلام الذى كان رسول الله — عليه الصلاة والسلام — أسوة المؤمنين ، وقدوة المقتدين فى تطبيقه على الناس جميعا مهما تكن منازلهم .
 وعلى تلك السنة الحميدة ، سار خلفاؤه العظام الذين أضاعوا جبين التاريخ بجلال أعمالهم .
 هذا أبو بكر الصديق — رضى الله عنه — يلخص « دستوره » فى الحكم بهذه الكلمات الجامعة :
 « . . . القوى فيكم ضعيف عندي ، حتى آخذ الحق منه ، والضعيف فيكم قوى عندي ، حتى آخذ الحق له » .
 « ان رأيتموني على حق فأعينوني ، وان رأيتموني على باطل فقوموني » .
 « أطيعوني ما أطعت الله ، فان عصيت الله ، فلا طاعة لى عليكم . . »

* * *

لله در أبى بكر !!
 ان الصديق — رضوان الله عليه — لم يثلق « علم السياسة » فى مدارس السياسة ، ولكن هل تستطيع هذه المدارس أن تقول بعد أبى بكر شيئا ؟
 — لا قوة ولا ضعف الا باتباع الحق ، أو الاعتداء عليه .
 — واجب الأمة فى مراقبة حاكمها ، وبذل النصيح له .
 — الطاعة واجبة للحاكم على الأمة الا اذا خالف شرع الله .

— — —

أوليس هذا هو قانون الاسلام ؟!
 أوليس هذا هو أدب رسول الله ؟!
 بلى !

* * *

وهذا هو الفاروق عمر بن الخطاب — رضوان الله عليه — يستدعى واحدا من أكبر ولاته ، وأخطرهم شأنًا . . يستدعى عمرو بن العاص فاتح مصر ، وواليتها .

لماذا؟؟

لينتصف منه ومن ابنه الذي جار على مصرى ضعيف ، ليس له من ملاذ يلوذ به الا اطمئنائه الى عدالة الاسلام .
وعلى رؤوس الاشهاد ، يعطى الفاروق الدرة للمصرى ويقول له :
اضرب ابن الأكرمين . . ثم يلتفت الى ابن العاص ، ويقذف الى ذاكرة التاريخ بكلمة تستعصى على النسيان :
متى استعبدتم الناس ، وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟

* * *

ماذا استطاعت الحضارة — بعد أربعة عشر قرنا من نزول الاسلام — أن تصنعه فى حماية حقوق الانسان ؟
هل زادت شيئا عما فعله الخليفة المسلم ؟
أم هل بلغت ما بلغه ؟
كلا !!!

يقولها المسلم وغير المسلم ، لأنها كلمة العقل المنصف ، والقلب الذى لم ترن عليه ظلمات الاهواء !
لأنها كلمة الحق !

الاسلام لا يقبل التحايل على القانون :

رأينا فيما سبق أنه لا تساهل فى تنفيذ الاحكام التى كان جميع الناس فى الخضوع لها والالتزام بها على سواء .
ونريد الآن أن نضيف كلمة أخيرة فى هذا الموضوع ، وهى أن الاسلام قد خطا خطوة أخرى رائعة فى هذه الطريق حينما طلب من ولاة الأمر أن يتحسروا العدل دائما ، والا يخدموا أبدا بمحاولات التزييف التى يتحايل بها البعض على الهروب من القانون ، والنجاة من عقابه .
وهذه قصة نزلت فيها تسع آيات من الكتاب العزيز ، تجلونا الاسلام حريصا على « قانونه » ، حريصا على حمايته أن تهدم أركانه ، حريصا على سيادته ، وألا تتعدى حدوده .
خلاصة القصة أن رجلا من ضعاف المسلمين بالمدينة سرق من جاره درعا ، ثم خبأه عند يهودى . . ولما اكتشف أمره حاول أهله أن يصرفوا عنه الجناية ويرموا بها اليهودى البرىء ، واستغلوا فى ذلك كراهة اليهود للنبي ، فقالوا ان هذا من كيد اليهودية للاسلام . والحواء على الرسول أن يجادل عن صاحبهم (١٥) ، فنزلت هذه الآيات :

((انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق ، لتحكم بين الناس بما أراك الله ، ولا تكن للخائنين خصيما)) . . الى قوله تعالى : ((ومن يكسب خطيئة أو اثما ثم يرم به بريئا ، فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا ، ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك ، وما يضلون الا انفسهم ، وما يضرونك من شيء وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة ، وعلمك ما لم تكن تعلم . وكان فضل الله عليك عظيما)) . (النساء : ١٠٥ — ١١٣) .

واذا كان هذا هو واجب الحاكم : أن يتحرى العدل ، ولا ينخدع فى حكمه

باحتيال المخادعين ، فان واجب كل فرد فى الأمة أن يجعل له رقيباً من ضميره الذى لا يعلم ما يطويه الا الله — عز وجل — فيتأبى على اخذ ما ليس من حقه أن يأخذه :

« ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ، وتدلوا بها الى الحكام ، لتاكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون » . (البقرة : ١٨٨)

ويقول صلوات الله عليه : « انما انا بشر ، وانه يأتينى الخصم ، فلعل بعضكم أن يكون الحن بحجته من بعض ، فأحسب أنه صادق ، فمن قضيت له بحق مسلم ، فانما هى قطعة من النار ، فليأخذها أو ليتركها » .
وهكذا لا يكتفى الاسلام بالتشريع وحده ، وانما يكل الأمر فى النهاية الى ضمير الانسان « بعد أن أيقظه وأحياه » .

* * *

وصفة القول

ان الاسلام قبل أن يشرع القانون ، صنع « الانسان » الذى يخضع للقانون ، فأحى ضميره ، وربى نفسه وسما بها فوق الغرض والهوى ، بما شرعه من مبادئ وأخلاق كانت هى القاعدة المتينة التى قام عليها بناء القانون الاسلامى ، فتمت له « السيادة » أوفى تمام .

ويستطيع المسلمون اليوم ، كما استطاعوا بالأمس ، أن يقودوا — على طريق دينهم — هذا العالم القلق المضطرب ، الى حياة رضية وادعة ، يشيع فيها الأمن ، وتنتشر الحرية ، ويسود القانون على الناس كلهم أجمعين .
وبالله التوفيق من قبل ومن بعد ،

-
- (١) حقائق الاسلام وأباطيل خصومه للاستاذ الكبير : عباس محمود العقاد ، ص ١٤٧ .
 - (٢) حقائق الاسلام وأباطيل خصومه للاستاذ الكبير : عباس محمود العقاد — ص ١٤٨ .
 - (٣) المرجع السابق — ص : ١٢٢ .
 - (٤) عبقرية محمد ، ص ١٨ من الطبعة الاولى .
 - (٥) السياسة الشرعية فى اصلاح الراعى والرعية — ابن تيمية ، ص : ١٨٥ .
 - (٦) حقائق الاسلام وأباطيل خصومه — للعقاد ، صفحة : ٢٥٥ .
 - (٧) صحيح البخارى ١٩٠/٥ طبعة : دار الشعب — القاهرة .
 - (٨) عبقرية محمد ، ص : ١٢٤ من الطبعة الاولى .
 - (٩) السياسة الشرعية لابن تيمية ، ص : ١٨ وما بعدها .
 - (١٠) أرجع الى البيان الرائع الذى قدمه العقاد رحمه الله فى كتابه الشامخ : « حقائق الاسلام ، وأباطيل خصومه » صفحة : ٢٥٥ وما بعدها من الطبعة الاولى .
 - (١١) الرغاء صوت الابل ، والخوار صوت البقرة ، واليعار صوت الشاة ، انظر : « السياسة الشرعية لابن تيمية » ص ٥٩ وما بعدها من طبعة دار الشعب بالقاهرة .
 - (١٢) السياسة الشرعية لابن تيمية ، ص ٥٩ وما بعدها .
 - (١٣) انظر السياسة الشرعية لابن تيمية ، ص : ٢٨ .
 - (١٤) تفسير القرآن الكريم ، للامام الاكبر الشيخ محمود شلتوت ، صفحة ٢٣٩ وارجع ايضا فى هذا التفسير الى صفحة : ٢١٢ ، وما بعدها ، والى صفحة : ٢٢٨ .
 - (١٥) القرطبي ٢٧٥/٥ ، وانظر تفسير الشيخ شلتوت ، ص : ٢١١ — ٢١٧ .

وقت بين شبابين

للكنور محمد محمد خليفة

الشباب خير ما تعتد به الامم الحية في سلمها وحريها ، فهو لسانها الناطق ، وحيويتها الفائرة ، وعقلها المتحرك ووعياها المتحفز ، وعواطفها الحياثة ، وطاقاتها المحركة ، وقوتها الضاربة ، ودرعها الواقية ، هو كل ذلك في حاضرها وهو حامل مسئولية مستقبلها .

والامم التي تعنى بمرحلة الشباب فيها عقليا وعلميا وثقافيا وروحيا واجتماعيا وبدنيا وعسكريا هي المطمئنة على مستقبلها وكيانها وآمالها .

وتعتمد عناية الامم الحية بهذه المرحلة على وضع المناهج التي تعد الشباب ، وتصونه من التيارات الدخيلة ، وتحميه من الانزلاق الى الهاوى المهلكة ، ثم تعتمد في تنفيذ تلك المناهج على من يؤمن بها ، وبخطسورة مسئوليته حيالها ، وبوجوب تهئة نفسه لهاوتفانيه في خيرها ، وابعداد الانتهازيين والمستغلين عن مسيرتها ، لان من يعيش لنفسه وهو متبسم أبراج مراكز القيادة هو الخطر كل الخطر على كل ما ترسمه الدولة او ترجوه .

وقد يوجد فى الأمم أجناد مجهولون يعملون لخيرها فى دأب واخلاص يحثهم حب العمل ، والضمير الحى ، والرغبة فى خير الأمة على العمل الخالص بعيدا عن الأضواء عرفتهم الأمة أو لم تعرفهم قدرهم المسئولون أو لم يقدرهم ، ولكن هؤلاء قد تنفكس نفوسهم حين يرون أزمة الأمور فى قبضة نفوس تحركها الأهواء ، لاتقيم للعدل ميزانا ولا للعاملين وزنا ، بل قد يتحاملون على العامل ويسلمون مراكز القيادة لمن لا يحسنون القيادة ، مع أن تقدير العامل من الشباب يحى روح التنافس ، ويضاعف العمل ويقوى روح الاخلاص ، ويبعث الثقة ، وللثقة أثرها فى تقوية الروح المعنوية وحملها على المزيد من الجهد .

وقفة للعبرة والدرس :

ولنقف ساعة بين شبابين نلمس خلالها الحياة بكل ما تحمل معانيها فى أحدهما ، ثم نلمس الاستهانة بالحياة بكل ما ينطوى عليه لفظ الاستهانة (فى الآخر) .

انها وقفة بين شباب فجر الاسلام وشباب الحاضر تدعونا لنحنى الرأس اكبارا للأول ، ثم نلمس الرعوس مخافة أن يطير بها الدوار اشفاقا على الثانى :

فشباب فجر الاسلام عاش فى رجولة مكتملة وهو فى طليعة عمر الشباب ، فقام بأعنف ما تتطلبه الرجولة من مواقف وهز بايمانه ، وبالطاقات التى فجرها ذلك الايمان قلوب الصناديد الذين اذهلتهم روعة تلك المواقف حين رأوا فيها عزائم خارقة كلها من صنع الايمان الواثق الذى لا تعجزه قوى البشرية .

وكم للشباب الاسلامى من مواقف امتحن فيها ايمانه وثباته وصبره وقدراته المحاربة وشجاعته فكان أقوى مما عرفه الناس ممن ضربت بهم الأمثال فى كل ذلك :

موقف تحدد :

بطل هذا الموقف على بن أبى طالب وهو فى الثالثة والعشرين من عمره أو يقل قليلا أو يزيد قليلا ، وكان ذلك الموقف ليلة الهجرة حين أعدت قريش عدتها لتنفيذ تأمرها لاختيال الرسول حتى تستريح من محمد ومن دعوته ومن تحديه لها ولآلهتها ، وأغشى الله الأبصار ، وخرج الرسول بعد أن خلى عليا فى فراشه مغطى ببردته ليخدع به أنظار القرشيين حتى يتوارى عنهم وعن طلبهم .

واضطجع على فى فراش الرسول وهو يعلم انهم سيفتالون ذلك الضجيع ، وأن سيوفهم ستمزقه حين يهوى بها أولئك الأشداء فى حنقهم الجارف ، وحقدهم العاصف ، ومثل هذا الموقف تفرغ الرهبة فيه كل قلب الا قلب على المؤمن . نعم لقد على ينتظر سيوف القرشيين أو يرتقب

تحركهم من حوله فى ظلام الليل لينفض عنه الغطاء ، ويواجه أعداء الله الذين قد تعميهم الثورة عندئذ وتوهن الظلمة أبصارهم فلا يميزون بين على ومحمد ، وقد يصم الحقد آذانهم فلا يفرقون بين صوت على وصوت محمد حين يستصرخ الضجيج وقع السيوف ، ثم يذهب على ضحية الخديعة التى يختفى وراء صورتها .

ولاحت تباشير الفجر ، ولاحت معها الحقيقة المغطاة ، حقيقة على النائم فى مضجع الرسول ، وجن جنون قريش حين رأت وجه الحقيقة وكتمت الأنفاس ولوى الثائرون وجوههم يطلبون فوق ظهر الأرض أو فى بطنها محمدا ، ورماهم على بنظرات تحمل ما تحمل من المعانى ، وخرج فأقام بينهم ثلاثة أيام سخر خلالها من صرير الأنياب ومن كل ما أخرجت الأفواه من نفثات وكلمات كما سخر من النظرات الحاقدة التى لم تحمل جديدا يجهله على .

وكان مقامه فى الأيام الثلاثة مقام المتحدى الساخر من كل ما رسمت قريش من أساليب وما أعدت من خطط وعدد . ان القلب الكبير الذى حمله فتى فى الثالثة والعشرين فتحدى بعزمته وإيمانه أحقاد قريش فى أعنف ساعات هياجها وتعاميها عن رؤية كل شىء الا الدم ذلك القلب لا يمكن أن يكون لغير فتى مؤمن أحب عقيدته وأحب البذل والجود بالروح فى سبيلها (والجود بالنفس أقصى غاية الجود) .

« موقف آخر » :

وبطل هذا الموقف أيضا على بن أبى طالب وهو لم يتجاوز الثلاثين من عمره ، وكان ذلك يوم الخندق أو غزوة الأحزاب حين جمعت قريش من آفاق الجزيرة الجموع والأحلاف والمناوئين لدعوة الله ، وحاصرت بهم المدينة ، وضرب الرسول حولها الخندق ، وجثم المسلمون وراءه يحتمون به ويصوبون من ورائه الى المنقضين نبالهم ، واقتحم الخندق بعض الفوارس وبينهم (عمرو بن ود) الفارس الذى لا يشق غباره ، ولا يطيق كراته منازل ، ودعا المسلمين الى المبارزة فهابه المسلمون غير على فقد وقف يريد مبارزته فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : اجلس ، وصال عمرو وجال وصرخ : هل من مبارز ؟ وهم على فقال له الرسول : اجلس ، وخاف عليه من لقاء عمرو وهو على ما عرفه الناس من الدربة على المبارزة وسرعة الحركة والشجاعة وقوة الضرب والفتك ، ثم صرخ الثالثة : هل من مبارز ووقف على فقال له الرسول : اجلس انه عمرو بن ود فقال : وأنا على فأدناه الرسول وقبله وعمه بعمامته ، وخطا معه خطوات كأنها يودعه وقد بلغ به القلق عليه مبلغا ثم قال الرسول : الآن برز الاسلام كله للشرك كله ، وكأنه يرى الاسلام كله تمثل فى على والشرك كله تمثل فى عمرو .

وتقدم على وصمت المسلمون ، واستقبل الرسول بوجهه السماء يدعو ربه ، وغطى التراب المتبارزين ، وشدت الأنظار الى الغبار ليعرف من يكون الذى ينكشف عنه ؟ ومن الصريع ؟

تم قطع الصمت تكبير على فرجع المسلمون تكبيره ، وانكشف الفبار عن على يقف الى جانب ذلك الفحل الصريع يتخبط فى دمه بعد ان ارداه شباب على المؤمن وهتفت القلوب : لا فتى الا على ولا سيف الا ذو الفقار وسالت على شفرات سيف على تلك الدماء الحاقدة العنيدة وانهار امام شباب على ذلك الصرح الشامخ الذى كان أسطورة القوة متمثلة فى عمرو وماضى صراعه وفتكه ورهبة لقاءاته .

وازداد بهذا الموقف ايمان المسلمين بأن قوة الايمان وقوة الثقة وقوة الاعتداد بالنفس هذه كلها أسلحة تتحطم أمامها كل ما اغتر به العدو من أسلحة .

« قيادة شباب »

والشباب القائد هو أسامة بن زيد ، وقد ولاه الرسول صلى الله عليه وسلم قيادة جيش أعده لغزو الروم ليثار لهزيمة المسلمين فى موقعة (مؤتة) وضم هذا الجيش أبنا بكر وعمر وأبا عبيدة بن الجراح . وقد استنكف بعض المسلمين من تأمير أسامة وهو فى السابعة عشرة على جيش فيه كبار الصحابة من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار .

وسمع الرسول صلى الله عليه وسلم بما قيل فخرج مضطربا وهو فى مرض الموت فجلس على المنبر فقال : « أما بعد أيها الناس :

فما مقالة بلغتني فى تأميرى أسامة ، ولئن طعنتم فى أمارته فقد طعنتم فى أماره أبيه من قبله ، وأيم الله أن كان لخليقا بالامارة ، وان ابنه من بعده لخليق بالامارة وان كان من أحب الناس الى ، وانه لمظنة كل خير فاستوصوا به خيرا فانه من خياركم » .

وبهذا بين الرسول أن أماره الجيش ليست وفقا على أصحاب الأحساب والأنساب .

وكان اختيار الرسول لأسامة فى هذه السن توجيها لتدريب الشباب على القيادات حتى يتحملوا المسئوليات فى المواقف الخطيرة .

ولم ينس الرسول فى ذلك الاختيار أن أسامة قتل أبوه فى مؤتة بأيدى الروم فتقدمه للامارة يحمل معنى قد لا يوجد فى غيره وهو استماتته فى القتال ليثار لأبيه من قتلتنه .

تاريخ الشباب فى فجر الاسلام :

وإذا ذهبنا نقلب صفحات فجر الاسلام فسنرى فيها الوائى والوائى من الشباب الشجاع والشباب العالم والشباب المتفقه والشباب الحاكم وكل هذه الصفحات تفيض بالمفاخر وتتحدث عن شباب ماجد تحمل فى الدولة الكبيرة المسئوليات باستقل بأعبائها كأحسن ما يكون الشيوخ دربة وتجربة واستعدادا وحيلة وبعد نظر .

« شباب الحاضر »

فاذا تخطينا أعناق القرون ، وتسلقنا الزمن الى حاضرننا وتجاوزننا شبابنا المحارب على خط النار فوقفنا بين شبابنا فى الجامعات والمعاهد أو بين المعامل والمصانع أو بين حقول الريف لنحاول الموازنة بينه وبين شباب فجر الاسلام من حيث الايمان أو العمل أو الاخلاص للدولة أو التفانى فى خيرها أو النهوض بالمسؤوليات أو الاستعداد لبذل الجهد والعرق والمال أو التواصى بالحق والصبر لساء الحكم شبابنا ، وأضجرتة الحقائق التى يعيش فيها واقعه وهو لا يفكر فى مغبتها : حقائق تنكره لكل القيم التى تعتمد عليها الأمم الحية وتقوم عليها دعائم مقومات حياتها :

فالعقيدة الدينية التى تربط الشاب بربه لا وجود لها فى دنيا شباب جمحت به العواطف الى أبعد ما يتصور الإنسان من جموح الحيوانية المعربدة ، فانطلق شبابنا لارضاء هذه الحيوانية وهو لا يجد فى قلبه بقية من وازع دينى تشده ساعة الى ربه ، وتحمل على الانصياع لأمره أو نهيه .

والاندفاع الى العمل تحت رقابة الضمير مات حين مات الضمير ومات سلطانه وارتبط التحرك للعمل بالقهر أو المال . والاخلاص يعيش لفظه فى القواميس وعلى السنة الرجعيين وأقلام الكتّاب والشعراء ومحترفى السياسة أما معناه فقد دفنته دنيا المادة التى قضت على كل القيم .

وأصبح الشباب يقدر الاخلاص بمقدار ما يأخذ لا بمقدار ما يعطى وبذلك اضطربت موازين القيم واختلت مقاييسها . والتفانى فى خير الأمة يخلقه الايثار وكيف يرفع الايثار رأسه فى وسط شباب تستبد بهم الأثرة بكل شىء فى حياته فهو مستعبد لغريزة التملك وزمامه فى يد الأنانية تجره كما تشاء لا كما يريد الخير . والنهوض بالمسؤوليات لا يعرفه الشباب الذى يفر من المسؤوليات ويتخلص من الثبات .

وأخيرا الى أى هوة يساق ذلك الشباب ، وهلا ألقى النظر بعيدا ليرى المصير الذى يتزلق اليه ؟ وهلا أصاخ الى نداء المشفقين قبل أن يسقط فلا تستطيع قوة أن تنتشله مما تردى فيه .

« نداء » :

يا شباب المسلمين الفارق فى الخطيئة : ان أمواج الحياة مليئة بالوحوش ، ولن تدعك تنعم بالحياة وهى تشقى بالجوع ، فانتزع نفسك من خطايا نفسك لتسمو فوق أمواج الحياة .

والله الله يا شباب المسلمين فليس لكم غد اذا لم تخرجوا من ظلمة هذا الليل بعد أن ينبثق فى قلوبكم نور الله فيحول شبابكم المظلم الى شباب يغمره الله بالايمان ، وعندئذ تستعيدون دنيا أمة كانت خير أمة أخرجت للناس .

مأزق الحجاج

يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ، ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احكم ان يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله ان الله ثواب رحيم .

صفات القاضي

احضر الرشيد رجلا ليوليه القضاء فقال له — انى لا احسن القضاء ولست فقيها . . قال الرشيد — فيك ثلاث خصال .
لك شرف والشرف يمنع صاحبه من الدناءة .
ولك حلم يمنحك من العجلة ومن لم يعجل قل خطؤه .
وانت رجل تشاور فى امرك ومن تشاور كثر صوابه ، واما الفقه فسنضم اليك من تتفقه به فولى الرجل وما وجدوا فيه مطعنا .

مأزق حرج

حكى عن الحجاج انه خرج يوما متنزها فاذا هو برجل عجوز من بنى عجل ، فقال له الحجاج من اين ايها الرجل قال من هذه القرية ، فسأله كيف قولك فى الحجاج ، قال ما ولى العراق شر منه قال اوتعرف من انسا فأجاب لا قال انا الحجاج ، قال الرجل جعلت فداءك ، او تعرف من انا قال الحجاج لا ، فقال انا فلان مجنون بنى عجل اصرع فى كل يوم مرتين ، فضحك الحجاج وأمر له بصلة .

أوشك الصباح الجديد أن يشرق دون أن ينصرف أحد من الضيوف ،
وأخيرا نظر اليهم صاحب المنزل الذي ملأ الفيظ قلبه وقال :
كان لطيفا منكم تفضلكم بزيارتنا مساء أمس .

نفس كبيرة

كان يزيد بن المهلب بعد
خروجه من سجن عمر بن عبد
العزیز مسافرا في البرية
يصحبه ابنه معاوية ، فمر
بأمرأة بدوية ذبحت لها عنزا
فلما أكلا قال يزيد لابنه .
— ما يكون معك من النفقة ؟
قال مائة دينار . .
قال أعطاها أياها .
فقال له ابنه — هذه فقيرة
يرضيها القليل وهي لا تعرفك ؟
فقال يزيد — ان كان يرضيها
القليل فأنا لا يرضيني الا الكثير
وان كانت لا تعرفني فأنا أعرف
نفسى .

■■■■■■■■

كلمات مضيئة

• اعقل الناس اعذرهم للناس .
• خير الناس انفعهم للناس .
• احمد الناس عاقبة في الدنيا
والآخرة اكتمهم للسر .
• لا تقل ما لا تعلم ولا تقل كل
ما تعلم .

قل لعنترة :

بم تغلب الأبطال يا عنترة ؟
قال — أضرب الجبان ضربة
ينخلع لها قلب الشجاع ،
فأنثى عليه فاقتله .

■■■■■■■■

لو قيل للطمع من أبوك لقال
الشك في المقدرة .
ولو قيل له ما حرفتك لقال
اكتساب الذل .
ولو قيل له ما غايتك لقال
الحرمان . .

■■■■■■■■

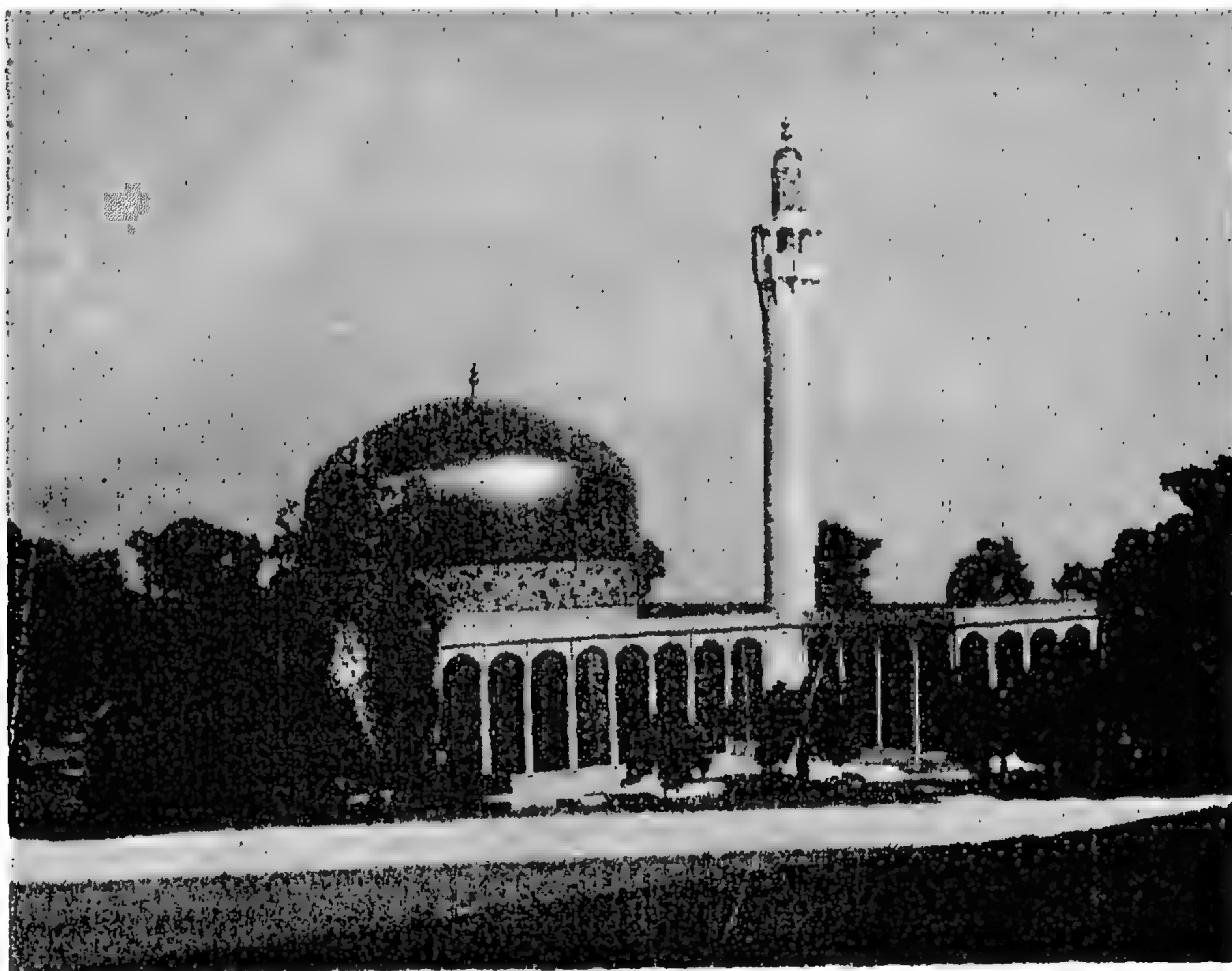
سأل سائل عربيا حاجة
فرده الاعرابى . .

فقال السائل — أين الذين
يؤثرون على أنفسهم ولو كان
بهم خصاصة .

فأجابه الاعرابى — ذهبوا
مع الذين لا يسألون الناس
الحافا .

المركز الاسلامي

ان اهم المساجد واكبرها واكثرها تأثيرا في انجلترا هو مسجد لندن والمركز الثقافي الاسلامي بها ، فما هي قصة مسجد لندن ؟ انها قصة تمتد على مدى ثمانية وعشرين عاما منذ ان قدم الملك جورج الخامس المبنى الحالي للمركز الاسلامي والحديقة المحيطة به هدية الى الحكومة المصرية ليبنى عليها مسجد ، وفي نظير ذلك قدمت الحكومة المصرية قطعة ارض في قلب القاهرة ، الى الجالية البريطانية ليقام عليها كنيسة وقد اقيمت الكنيسة فعلا منذ عام ١٩٤٥ وتسمى الكنيسة الانجلوكانية ، وموقعها حاليا على النيل بشارع الكورنيش على بعد حوالي ثلاثمائة متر



مبنى المركز الاسلامي في لندن .

الاسلام في لندن

من ميدان التحرير . وبالقرب من فندق الهلتون ، وقد أقيمت الكنيسة بدون تدخل من السلطات المصرية في كيفية اقامة البناء لأن المفروض أنه مكان للعبادة ، ومن حق المتعبدين أن يبنوه على الطريقة التي يرونها متمشية مع أساليب تعبدهم ، ومرد هذا الى السماحة التي أمر بها الاسلام مع المخالفين في العقيدة ، والحرية المطلقة في مباشرة الشؤن التعبد حسب مقتضيات دينهم ما دامت لا تعتدى على حقوق الآخرين .

أما المسجد فلم يبين حتى الآن ، وقد تدرج في الخطوات الآتية : لما كان المسجد للمسلمين جميعا وليس للمصريين فقط رأى أن يكون مجلس إدارته من سفراء الدول الاسلامية التي لها تمثيل سياسي في إنجلترا في ذلك الوقت ، وهي مصر والسعودية ، وإيران ، وتركيا ، وجرى التقليد على أن يعتبر سفير أى دولة مسلمة عضوا في مجلس أمناء المركز الذى يتكون حاليا من حوالى اثنين وعشرين عضوا ، ويكون أقدم السفراء رئيسا للمجلس يعاونه نائبان يلوونه فى الأقدمية ، ويرأس أقدمهما المجلس فى حالة غيابه ، ويختار سكرتير للمجلس من بين السفراء ، ويمثل الباقون أعضاء المجلس ، والمفروض أن تسهم كل دولة بنصيب من نفقات المركز كل عام ، ولكن الملاحظ أن هذا الاسهام لم يكن بالقدر الذى يمكن المركز من أداء رسالته كما يرجى لها ، والأمل معقود أن يتلافى هذا مستقبلا .

وقد اتجه الجهد الأكبر للمجلس فى السنوات الماضية الى محاولة اقامة مسجد يمثل العالم الاسلامى وقد صادف بناء المسجد عقبات لم تكن فى الحسبان ، فقد جمع له مبلغ ربع مليون جنيه ، وأعد تصميم للبناء وأرسى حجر الاساس فعلا عام ١٩٥٤ إلا أن السلطات الخاصة بتصاريح البناء لم توافق على اقامة النموذج المقدم بحجج مختلفة فمرة قيل إن المئذنة مرتفعة ، ومرة اعترض على طريقة تصميم البناء ذاتها ، وفى عام ١٩٦٥ م كان الشعور السائد بين المسلمين أن المسئولين يضعون العقبات أمام المسجد لأنهم لا يريدون أن يقام مسجد فى هذا المكان الهام فى لندن ، ومما يذكر أن المكان الحالى للمسجد يطل على حديقة ريجنس بارك المشهورة ويؤمها الزوار من مختلف أنحاء إنجلترا . ولما وصل الأمر الى هذا الحد كونت لجنة من السادة السفراء تسمى (لجنة المسجد) وأخذت تعمل على التعجيل ببناء المسجد ، وواصلت دراستها لكل العقبات ، وزوى أن توضع

بشروط مسابقة عالمية لاقامة مسجد لندن ، وقطعا للطريق على أى اعتراض من جهة السلطات البريطانية اتفق على أن تكون اللجنة من ثلاثة من المهندسين المعماريين أحدهم انجلزى والثانى مسلم والثالث اسباني وقد اختير المهندس المسلم من باكستان ، ووضعت اللجنة شروط المسابقة ونظرت فى النماذج المقدمة ، وكانت نتيجة المسابقة فوز التصميم الذى تراه فى الصورة ، وهو من اعداد المهندس الانجلزى ، وكان المفروض أن يبدأ البناء عقب اعلان نتيجة المسابقة مباشرة الا أن الاموال المطلوبة غير متيسرة حتى الآن ، ويتكلف البناء حوالى مليون ونصف مليون جنيهه استرلينى ، والمطلوب الآن جمع مليونين من الجنيهات ويستغل المبلغ المتبقى بعد البناء ليصرف من ريعه على أعمال الصيانة ومتطلبات البناء المتجددة مع الزمن ، والأمل معقود أن تقوم الدول الاسلامية بواجباتها حتى يقوم بناء يمثل كل ما فى الاسلام من معان نعتر بها ، والانظار متجهة الى الكويت وشقيقاتها العربيات فى تحمل العبء الأكبر من هذا المشروع وخاصة هؤلاء الذين انعم الله عليهم بالرزق الواسع والخير الكثير .

والمبنى الحالى للمركز الاسلامى عبارة عن قصر كبير تحيط به حديقة فسيحة سيقام المسجد الجديد على أرضها وتستعمل ثلاث صالات واسعة بمثابة مسجد تقام فيه الصلوات ، يوم الجمعة يفرش الفناء الذى يؤدى الى الصالات الثلاث وقاعة القراءة ، وتكون كلها غاصصة بالمصلين الذين يتراوح عددهم فى الايام العادية بين الخمسمائة والستمائة ، فاذا كان يوم الجمعة يوم عطلة ارتفع العدد الى ألف أو يزيد والمنظر المؤثر حقا هو يوم العيد فى لندن ففى هذا اليوم يجتمع فى ساحة المركز الاسلامى حوالى عشرة آلاف مسلم ينتسبون الى كل دول العالم فى الشرق والغرب وتغطى حديقة المسجد بالخيام التى تنفص بالمصلين ومع ذلك فان عددا كبيرا منهم يضطر للصلاة خارج الخيام لأنه لا يجد مكانا وكثيرا ما يكون ذلك تحت المطر المتساقط بدون توقف مما يثير دهشة الاجانب ، ويلفت انتباههم ، وسنعرض هنا لأهم ألوان النشاط التى يؤديها المركز الاسلامى فى لندن :

يلبى نشاط المركز الثقافى فى لندن حاجات المسلمين المقيمين فى انجلترا سواء كانت دينية أم ثقافية أم اجتماعية . وهذه التلبية تتم فى حدود الامكانيات الميسرة للمركز .

فى النواحي الدينية : تقام الصلوات بانتظام وخاصة صلاة الجمعة من كل أسبوع ويسبقها الاستماع الى القرآن الكريم من تسجيلات أشهر مقرئ القرآن الكريم ويطلع المركز مواقيت الصلاة على مدار العام ويوزعها على المسلمين مجانا . ويزداد هذا النشاط فى رمضان حيث تتخذ ألوان النشاط المناسبة لهذا الشهر الكريم فتعد امساكية خاصة بشهر رمضان مبينا فيها بدء الصيام ونهايته كل يوم مع أوقات الصلاة وصلاة التراويح التى تقام كل ليلة وتستمر حتى العاشرة والنصف مساء ، ومقدار الزكاة الواجب على المسلم فى هذا الشهر وميعاد صلاة العيد حيث تتم اجراءات ضخمة نظرا لارتفاع العدد الذى يتوافد على المركز فى ذلك اليوم الى ما يقارب العشرة آلاف . فتؤجر خيام تقام فى ساحة حديقة المركز مما يكلف حوالى (٩٠٠) جنيه « استرلينى » تقريبا أو يقل قليلا ، ويحصل مثل هذا العدد فى عيد الأضحى المبارك .



يبدو معالى وزير الاوقاف والمشتون الاسلامية الاستاذ راشد الفرخان مع مجموعة من العلماء وبعض من المسلمين فى محراب مسجد نور الاسلام بمدينة كارديف - انجلترا .

وفى خلال شهر رمضان تتم الاحتفالات بغزوة بدر وفتح مكة وليلة القدر حيث يبقى عدد من المسلمين فى المسجد حتى الصباح . ويعد لهم المركز طعام الافطار والسحور .

ويقوم المركز بعقود الزواج للمسلمين فى انجلترا وتبلغ هذه العقود سنويا قرابة مائة وخمسين عقدا وقد تبلغ المائتين . ويتقاضى المركز عن كل عقد خمس جنيهات وربيع وقد يعفى منها غير القادر . ويقوم المركز باشهار اسلام الراغبين فى الاسلام واعطائهم شهادة بذلك بعد شرح الاسلام لهم ومناقشات معهم قد تستغرق شهورا أو أسابيع حسب معلومات الراغب فى اعتناق الاسلام . ويزودون بعدد من الكتب تشرح لهم الاسلام بعضها يقومون بشرائه من الخارج وبعضها يقدمه المركز هدية . ويبلغ متوسط الداخلين فى الاسلام حوالى مائتى شخص سنويا أو يزيدون .

ويقوم المركز بالرد على أسئلة المسلمين أو استفتاءاتهم فيما يعرض لهم من الأمور التى يستوضحون عنها أو بعض المشاكل التى تعترض حياتهم مما يتعلق بأمور الأسرة وغيرها . كذلك يجيب المركز على أسئلة كثيرة من غير المسلمين الذين يستوضحون بعض الأمور فى الاسلام أو يقومون باعداد دراسات فى مدارسهم أو كلياتهم فى الاسلام أو الأديان بوجه عام . وقد لوحظ ارتفاع عدد هذه الحالات فى الفترة الاخيرة بصورة ملحوظة .

كذلك يقوم المركز بأداء صلوات الجنازة على المتوفين من المسلمين فى لندن والذين يرغب أهلهم فى اقامة الصلاة عليهم فى المركز .

النواحي الثقافية : وهى فى الحقيقة متصلة اتصالا وثيقا بالنواحي الدينية ولا تكاد تنفصل عنها لأن أى نشاط ثقافى يأخذ دائما الصبغة الدينية ومظاهر هذا النشاط تتمثل فى الصور الآتية :

(١) اعداد محاضرات دورية تتناول موضوعات اسلامية مختلفة وتتم فى دار المركز يدعى اليها جمهور المسلمين ، ويقوم بالقائها بعض الأساتذة المقيمين أو المارين بلندن والذين لهم القدرة على التحدث باللغة الانجليزية . وتشمل هذه المحاضرات الاحتفال بالمواسم الاسلامية الهامة مثل يوم الهجرة ، المولد النبوى ، الاسراء والمعراج ، وكذلك غزوة بدر ، وفتح مكة ، وليلة القدر ، والعديد الذين سبق ذكرهما .

(٢) كذلك يقوم المركز بارسال متحدثين عن الاسلام الى الكنائس والجامعات والمدارس والجمعيات والنوادي المختلفة التى تطلب متحدثين عن الاسلام أو تنظم دراسات عن الاديان المختلفة ، يتحدث فيها مندوب عن المركز عن الدين الاسلامى . وقد ازداد اقبال الانكليز فى السنوات الثلاث الاخيرة بشكل ملحوظ .

(٣) يقوم المركز باصدار مجلة باللغة الانجليزية تصدر مرة كل ثلاثة اشهر ، وتعتبر فى مستوى راق تهتم بها أقسام الدراسات الاسلامية والعربية فى جامعات العالم المختلفة فى أوروبا وأمريكا وآسيا وأفريقيا . أما النشاط الاجتماعى فيتمثل فى زيارة المرضى فى المستشفيات والمسلمين الذين يقضون فترات السجون . وأهم مظاهر النشاط الاجتماعى هو تقديم مساعدات مالية الى المحتاجين وتدفع هذه المساعدات من الزكاة أو من النقود التى يقدمها أصحابها ويطلبون توزيعها على المحتاجين من المسلمين . وأكثر هذه المساعدات تدفع للطلاب الذين يدرسون ويحتاجون الى معونة مالية ليستمرروا فى دراستهم ، والمظهر الثانى الهام من النشاط الاجتماعى هو حل مشاكل الأسر الاسلامية هنا وإزالة الخلاف من بين أفرادها ومحاولة دراسة الظروف التى أدت الى الشقاق ومعالجتها بحكمة وقد تم علاج كثير من هذه الحالات واستؤنفت الحياة الزوجية بعد أن كانت قد تعطلت أو أصيبت بالتصدع .

هذا بالإضافة الى الجهات الكثيرة التى تكتب الى المركز وتطلب رأى الاسلام فى بعض الامور مما يتعلق بالاسرة ومشاكلها أو نظام الطعام أو الشراب أو علاقة الناس بعضهم ببعض .

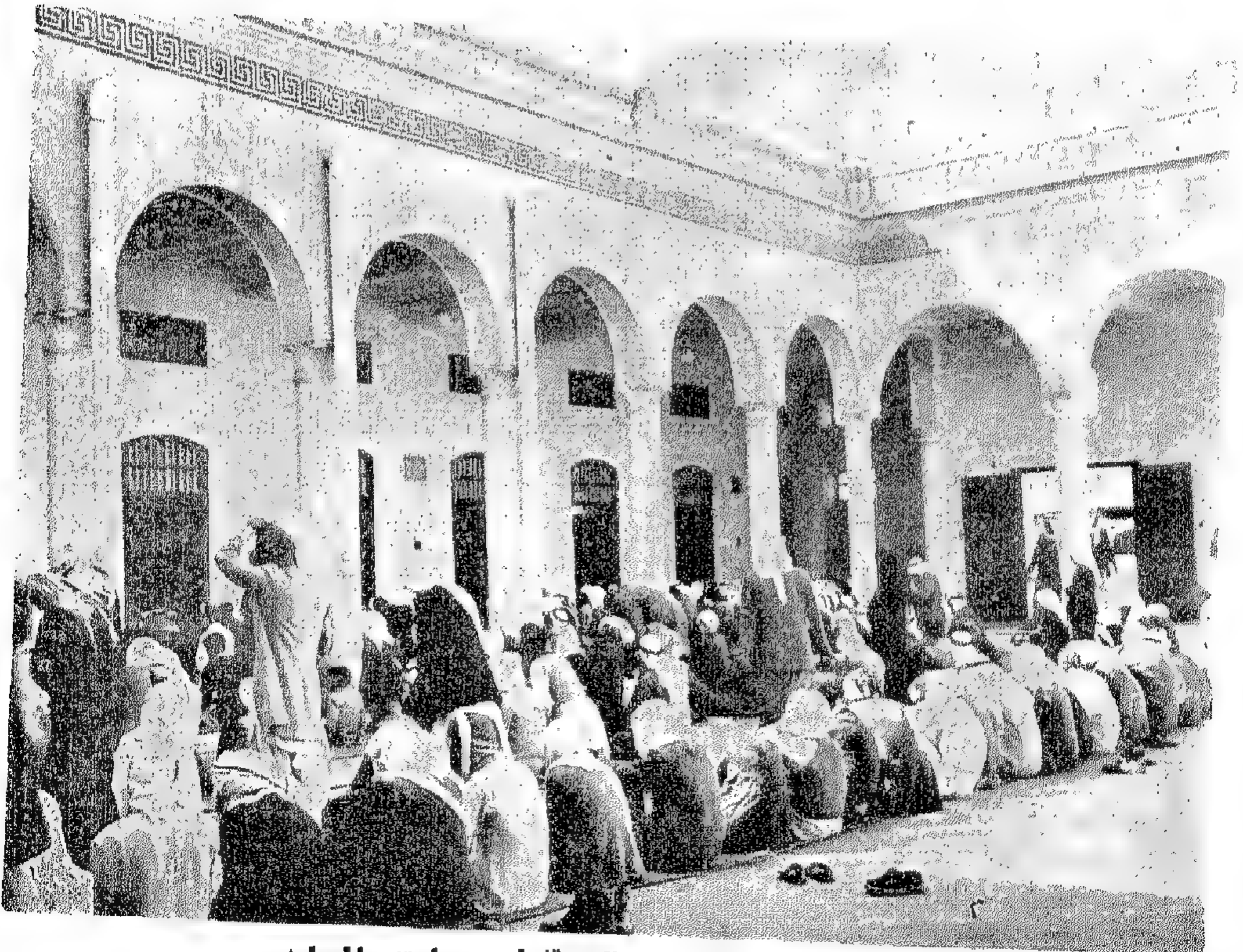
هناك أمور عامة يقوم المركز بها بعضها دائم مثل قضية فلسطين والعمل من أجلها باصدار بعض النشرات والكتيبات التى تلقى أضواء على القضية وجمع التبرعات باستمرار وارسالها الى المنظمات الفدائية والمشاركة فى أى اجتماع عام يعقد فى لندن من أجل هذا الغرض ، وبعضها مؤقت مثل جمع التبرعات لبعض البلاد الاسلامية التى نكبت بأحداث طبيعية أو تعرض المسلمون فيها لظروف قاسية كما حصل بالنسبة لزلزال تركيا وإيران وسيول تونس وباكستان ، وتعرض المسلمين فى مورشيس لظروف ارهاب أدت بهم الى هجر منازلهم . فى كل هذه الظروف قام المركز بجمع التبرعات وارسالها الى المنكوبين بهذه الأحداث . هذا المركز الاسلامى فى لندن منارة للاسلام فى بلاد الانجليز .

مسجد الجبل الكويت

إعداد: الشيخ محمود وهبة

مسجد السوق الكبير

في رحلة للنور لا يطولها الظلام .. وفي شموخ واعتزاز تتصاعد المآذن
العديدة في كل مكان بدولة الكويت لتكون دليلا أكيدا على أن التقدم
الحضاري يواكبه وينظمه سمو روحى ليصل به دائما الى أسمى الغايات .
والكويت كانت — ولا زالت تولى المساجد عناية خاصة وترصد لها



صورة لمسجد السوق من الداخل وقد ملئت قاعاته وساحته بالمصلين .



محراب المسجد

بشراء الأخشاب اللازمة لعملية التجديد من النيبار (أفريقية) فاشترها الرجل من هناك ولما علم البائع أن هذه الأخشاب لتعمير مسجد رد ثمنها وتبرع بها طلبا لثواب الله . وفى عام ١٣٧٣ هـ جددته دائرة الأوقاف للمرة الثانية وأعطته الدولة عنايتها الكاملة وبلغ ما أنفقته الدائرة على هذا التجديد (٦٢٥٣١١) روبية وهى العملة التى كانت متداولة بالكويت فى ذلك الوقت ، وما زالت الوزارة توالى الانفاق على تجديده والمحافظة عليه ليبقى دائما منارة لنور الايمان على ضفاف الخليج .

والمسجد يقع فى قلب المنطقة التجارية وسط العاصمة وهى المنطقة التى كانت تتم فيها الصفقات التجارية بين الكويت وبين دول آسيا وأفريقيا فى الماضى البعيد ، وما زالت تحتفظ بمركز الثقل التجارى حتى الآن ، وتجد فيها مئات بل آلاف المحلات

الاموال الطائلة بناء وتعميرا واصلاحا حتى بلغ عددها الآن أكثر من ثلثمائة مسجد تعتبر بحق مركز اشعاع روحى يهدف الى ايجاد مجتمع عف المشاعر نظيف السلوك يتعاون افراده على البر والتقوى ولا يتعاونون على الاثم والعدوان . .

وأقدم مساجد الكويت هى : مسجد الابراهيم ومسجد آل خليفة ومسجد العدسانى ، فهذه الثلاثة هى أقدم مساجد الكويت على الاطلاق وقد بناها الرعيل الأول الذين استوطنوا الكويت منذ مئات السنين وكان البناء يتم بالطين والحجارة والأخشاب وغيرها من مواد البناء المتاحة حينذاك .

ومسجدنا الذى نفتتح به هذه السلسلة من التحقيقات عن مساجد الكويت هو مسجد السوق الكبير وهو مسجد مهيب يمتاز بضخامة مساحته وجمال منظره ، وروعة نقوشه ، ودقة زخارفه ، مما يجعله بحق — من أعظم مساجد الكويت . .

وقد تم انشاؤه عام ١٢٠٩ هـ بجهود المحسن الكبير المغفور له الشيخ محمد بن حسين بن رزق وبعض محسنى الكويت وكان فى أول أمره صغيرا لا يتسع الا لعشرات المصلين وكانت مؤذنته عادية جدا لا يزيد ارتفاعها عن بضعة عشر مترا وكان تجار الكويت يحرصون دائما على الصلاة فيه . وفى عام ١٢٥٥ هـ تم تجديده لأول مرة بمعرفة المغفور له الشيخ يوسف الصقر بمساعدة بعض المحسنين وفى هذا التجديد أدخلت عليه زيادات هامة وأضيفت له مساحات جديدة مما جعله يتسع لآلاف المصلين ، وأثناء عملية التجديد أوصى الشيخ يوسف الصقر أحد أصدقائه الذين كانوا يخوضون البحر فى رحلاتهم الطويلة الى آسيا وأفريقيا

التي تباع لك كل شيء بأرخص الأسعار ويعمل في هذه المحلات تجار وعمال من جميع أنحاء العالم العربي وان كان معظمهم من المهرة والعمانيين . .

واذا ألقيت نظرة عامة على المسجد من الخارج فستذهك حتما روعة مظهره ودقه نقوشه ، وجمال زخرفه ، وضخامة بنائه ، وامتداد مساحته ، فواجهته الشمالية بها باب فخم يرتكز على أسطوانتين من الرخام الفاخر وتعلق عليهما بعض الآيات القرآنية المكتوبة بخط رائع وعلى بعد خطوات قليلة من الجهة الشمالية للباب نجد المئذنة التي بنيت على الطراز الفاطمي وبها نقوش جميلة وزخارف صنعت من الجص اللامع الذي يزيد بها بهاء وفتنة كما يوجد بها أربع شرفات من جهاتها الأربع تنسجم مع طرازها وتعطي المشاهد صورة أصيلة لفن العمارة في الاسلام — ومما زاد المئذنة جمالا تلك الساعة الضخمة التي وضعتها الدولة في المئذنة ليراها الناس من كل اتجاه ويعرفوا بها أوقات الصلاة .

كما يوجد في الواجهة الشرقية بابان كبيران من خشب الساج يفضيان بك الى فناء فسح يتسع لحوالي ألف وخمسمائة من المصلين والحقت به صالة كبيرة يجلس فيها الكثير من المسلمين عصر كل يوم يقرأون القرآن الكريم ويتعلمون أحكام التلاوة والتجويد ومبادئ التفسير وغيرها من علوم القرآن كما يوجد بالفناء أيضا دار فسيحة (لغابري السبيل) يجدون فيها المأوى والراحة والهدوء والاستقرار . . وإذا تركنا الفناء بما فيه ودخلنا المسجد نفسه فاننا سنجد في غاية من البهاء والرواء . فأرضه قد فرشست بالسجاد الفاخر الثمين وجدرانها قد ازدانت بلوحات فاخرة كتبت فيها آيات كريمة

من كتاب الله بخط كوفي رائع — كما توجد بالمسجد مكتبة ضخمة تمتد المصلين بزاد أصيل من الثقافة الاسلامية بجميع فروعها ، ولا تجد أحدا في المسجد الا وبين يديه نسخة من كتاب الله أو كتاب اسلامي ينمي ثقافته ويزيد معرفته . . ويدفعه الى السمو الروحي في هذه الحياة . .

أما السقف فيرتفع على أعمدة من الاسمنت المسلح المغلف بالجص وتتوسطه قبة ضخمة ترتكز على ستة أعمدة وتتدلى منها ثريا جميلة جدا تضاء في الأعياد والاحتفالات الرسمية الى جانب الثريات الكثيرة المتناثرة في جوانب المسجد والتي تحيله في الليل الى شعلة متوهجة من الاضواء . . وحرصا على راحة المصلين فقد تم تركيب أربعة مكيفات كبيرة للهواء تعمل ليل نهار وتجعل الجو فيه مريحا للمصلين . أما الجهة الغربية والشمالية ففيها عشرة شبابيك مطلة على ساحة فسيحة مخصصة لوقوف سيارات المصلين ويلاصق المسجد من هذه الجهة المدرسة المباركية وهي من المدارس الأولى التي كانت من مقومات الحركة الفكرية والعلمية في البلاد .

ويعتبر مسجد السوق الكبير المسجد الرسمي للدولة ففيه يؤدي حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم وأعضاء حكومته صلاة العيدين كما تقام فيه الحفلات الرسمية وحلقات الوعظ والارشاد التي ترسم للناس طريقهم الواضح في الدنيا والدين ، وتحدد لهم المنهج السوي في شئون الاسلام والحياة . .

• • • •

تلك هي نبذة موجزة عن مسجد السوق الكبير والى اللقاء في حلقة قادمة مع بيت آخر من بيوت الله . .

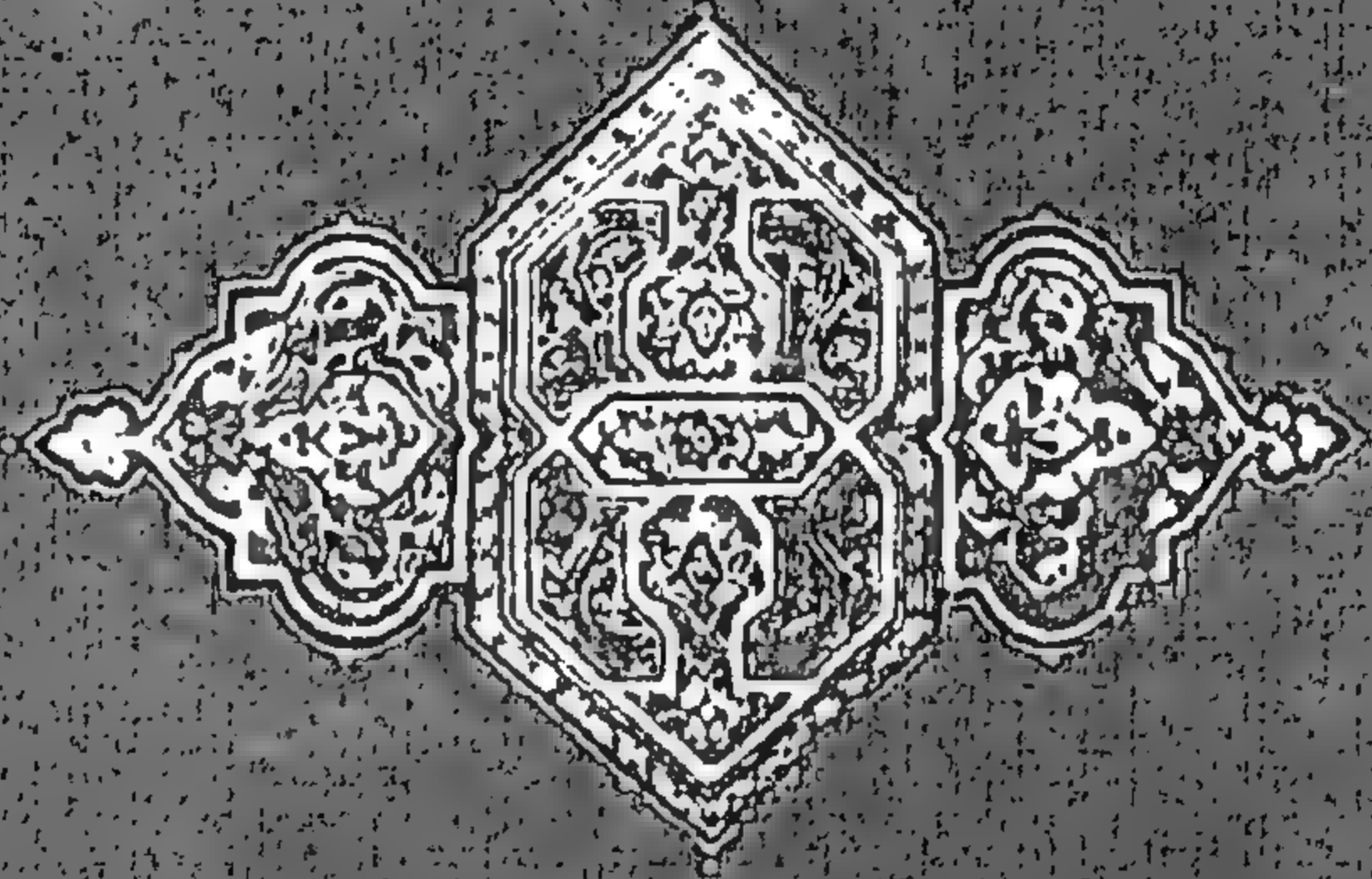
الفتح البرص

الموقعة الفاصلة بين

كان البدء في فتح « الشام » متأخراً عن الفتح في بلاد « العراق » فأول لواء عقده خليفة المسلمين أبو بكر الصديق — رضي الله عنه — كان في أول السنة الثالثة عشرة من الهجرة لخالد بن سعيد ، ثم عزله بناء على مشورة من عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — قبل أن يأمره بالمسير ، وجعله رداءً للمسلمين بـ « قيماء » .

ثم اهتم أبو بكر الصديق بـ « الشام » ، واعتزم الجدد في أمر « الروم » ، فاستنفر المسلمين للجهاد ، وجند الجنود ، وعقد الألوية الأربعة من كبار القواد المشهود لهم بالكفاءة والبطولة ، وعيّن لكل واحد منهم طريقه ، والجهة التي يغزوها ويلبها بعد الفتح .

- ١ — أبو عبيدة بن الجراح : ووجهته « حمص » ، وقاعدته « الجابية » .
- ٢ — يزيد بن أبي سفيان : ووجهته « دمشق » ، وكان يرافقه أخوه معاوية .
- ٣ — عمرو بن العاص : ووجهته « فلسطين » ، وقد أمره أبو بكر الصديق بأن يمد الجيوش الأخرى بالمعونة إذا دعت الضرورة .
- ٤ — شرحبيل بن حسنة : ووجهته وادي « الأردن » .



المسلمين والروم..

الاستاذ محمد بن عيسى

وقد تراوحت تقديرات المؤرخين لعدد الجيش الاسلامي ما بين ستة وثلاثين ألفا وأربعين ألفا ، فيهم ألفا صحابي ، منهم مائة يحملون وسام « بدر » .

ودع أبو بكر هذه الجيوش ، وأوصاهم وهو يودعهم بالعمل لله ، والجد والقصد ، واخلاص النية ، وذكرهم بما ورد في كتاب الله عز وجل من الثواب على الجهاد .

وأوصى يزيد بن أبي سفيان بحسن صحبة جنوده ، وأن يبدأهم بالخير ويعددهم أياه ، وأن يوجز في وعظهم ، وأن يكرم رسل أعدائه إذا وفدوا عليه ، وأن يقلل من مدة بقائهم عنده ، حتى يخرجوا من معسكره وهم جاهلون به ، فليس من المستبعد أن يكون هؤلاء الرسل جواسيس يقومون بجمع المعلومات عن جيشه ، وأن يمنع أي شخص من التحدث معهم ، بل يتولى هو بنفسه الحديث معهم ، وأن يكون يقظا بالليل في أصحابه لتأتيه الأخبار ، وأن يصدق في لقاء الأعداء ، ولا يجبن حتى لا يجبن الجنود ، فالقائد يعتبر المثل الأعلى لجنوده .

مسيرة الجيوش

تحرك الأمراء بجيوشهم وساروا حتى وصلوا « الشام » فنزل يزيد « البلقاء » ، وشرحبيل « الاردن » ، وأبو عبيدة « الجابية » ، وعمرو « العربية » .

ويظهر أن « الروم » في بادئ الامر لم يحفلوا بالمسلمين ، ولم يظنوا فيهم القوة والقدرة والجرأة على اقتحام عواصم البلاد ، والتغلغل في داخلها بجيوشهم القليل العدد الضعيف العدد ، فمهد هذا للمسلمين أن يقتحموا بجيوشهم بلاد « الروم » المجربين في الحروب ، العارفين بمواضع الخطر ، الواقفين على عورات العدو ، الخبيرين بطرق البلاد ومسالكتها . لقد أوغل المسلمون في جنوب « الشام » على شكل مثلث متقارب الاضلاع ، رأسه في « البلقاء » مع يزيد بن أبي سفيان ، وأحد أضلاعه في الجنوب الغربي في « فلسطين » مع عمرو بن العاص ، والضلع الآخر في الجنوب والجنوبي الشرقي في « حوران » مع أبي عبيدة بن الجراح ، وفي الوسط شرحبيل بن حسنة بميل جهة الغرب ، بحيث يمد بعضهم بعضا ، ومن ورائهم يزيد بن معاوية يحفظ عليهم خط الرجوع ، ويؤمن لهم طرق المواصلات والإمداد والتموين .

على هذا الشكل دخلت الجيوش الاسلامية « الشام » ، وافتتح كل قائد من القواد ما مر به من البلاد إما بالصلح أو بالحرب ، حتى إذا أخذت الصيحة الروم من كل جانب هبوا من غفلتهم هبوب المذعورين ، فكاتب الأمراء هرقل وهو بـ « القدس » فخرج منها حتى وصل الى « حمص » ، فأعد الجنود وعبا الجيش ، وأراد أن يشغل كل قائد من قواد المسلمين عن أصحابه ، ويضعفه عن يكون بازائه ، فلديه الكثير من الجند والرجال ، فأرسل الى كل قائد أضعاف ما تحت إمرته من الجند ، فلجبهة عمرو بن العاص أرسل أخاه « تذارق » في جيش قوامه تسعين ألفا من الجنود ، ولجبهة أبي عبيدة بن الجراح بعث « الفيقار بن نسطوس » في ستين ألفا ، ولجبهة يزيد بن أبي سفيان أرسل « جرجة بن توذرا » في خمسين ألفا ، ولجبهة شرحبيل بن حسنة بعث « الدراقص » في أربعين ألفا ، فصارت قوات « الروم » المواجهة لقوات المسلمين مائتين وأربعين ألفا .

وعندما رأى المسلمون هذه القوات هابوها ، ورأوا في التريث الحزم كل الحزم ، فتداولوا في موقفهم منها ، فهم لم يكونوا يتوقعون أن يجدوا مقاومة منظمة مثل هذا التنظيم ، ثم وصل الى علمهم أن هرقل قد تحصن بـ « حمص » وأنه يتتبع أنباءهم بعناية بالغة ، وأنه جعل قيادة الجيوش لـ « تذارق » — الذي استطاع بمهارته وخبرته الحربية أن يوقع الهزيمة بالقوات الفارسية — ليظهر الاراضى الرومية من العرب ، وليلقى عليهم درسا لا ينسونه أبد الدهر .

وبعث المسلمون بالكتب والرسل الى عمرو بن العاص والخليفة أبي بكر الصديق ، يسألونهما الرأي والمشورة في هذا الموقف الدقيق ، فكان رأي عمرو : « ان الرأي الاجتماع ، وذلك أن مثلنا إذا اجتمع لم يغلب من قلة ، وإذا نحن تفرقنا لم تقم كل فرقة لمن استقبلها لكثرة عدونا » .

وجاءهم كتاب من أبي بكر الصديق بمثل رأي عمرو ، يأمرهم فيه بالاجتماع ، وأن يلاقوا زحف المشركين أعداء المسلمين بزحفهم ، وأن

يحترسوا من الذنوب ويجتمعوا بـ « اليرموك » .
وعندما بلغ هرقل ذلك كتب الى قواده أن : « اجتمعوا لهم ، وأنزلوا بالروم منزلاً واسع العطن ، واسع المطرد ، ضيق المهرب ، وعلى الناس التذارق ، وعلى المقدمة جرجة ، وعلى مجنبيه باهان والدراقص ، وعلى الحرب الفيقتار ، وأبشروا فان باهان في الاثر مددا لكم » .
ولم يخف على هرقل أن المسلمين قد جمعوا في جيوشهم كل ما أمكنهم ، وفي طليعة هذه الجيوش أهل القوة والشجاعة وخوض الصعاب ، وأن المعركة التي ستدور بين جيشه وجيوش المسلمين ستكون معركة مريرة فاصلة ، فان قدّر لقواته النصر فيها فلن يجرؤ المسلمون على غزو بلاده مرة أخرى ، وان انهزمت قواته فسلام على « سوريا » سلاماً لا لقاء بعده ، ومن أجل ذلك اهتم بهذا الجيش الذي عبأه ، وجنّد له كبار قواده وأمرائه .

المواجهة

ينبع نهر « اليرموك » من جبال « حوران » ، وينحدر سريع التيار بين آكام مختلفة الارتفاع الى غور « الاردن » والى « البحر الميت » ، وعلى بعد يتراوح بين ثلاثين وأربعين ميلاً من ملتقى نهر « اليرموك » بنهر « الاردن » تقع واقوسة في منبطح فسيح من الارض ، تحيط بها من ثلاث نواح جبال بالغة الارتفاع .

وقد وقع اختيار « الروم » على هذا المنبطح ليكون معسكراً لقواتهم ، وعندما قدموا اليها واستقروا بها تخطى المسلمون نهر « اليرموك » الى ضفته اليمنى ، واختاروا منبطحاً آخر على الطريق المفتوح لجيوش « الروم » ، فأصبح « الروم » محصورين بين الجبال ، وعندما رأى عمرو ابن العاص ذلك قال : « أيها الناس ، أبشروا حصرت والله الروم ، وقلما جاء محصور بخير » .

لقد أصبح موقف « الروم » باختيارهم للمنبطح معسكراً لقواتهم عسيراً ، وأصبح موقف الجيوش الإسلامية قوياً ، وتغير الوضع ، ولكن . . عن أى شيء أسفر هذا الوضع الجديد ؟ هل هاجم المسلمون « الروم » في المكان الذي اختاروه لأنفسهم وقضوا عليهم ؟ هل هاجم « الروم » المسلمين مستغلين تفوقهم في العتاد والعدة والمعدن وأتاحوا لأنفسهم فرصة الانتصار على المسلمين بانقضاض سريع ؟

كلا ، لم يحدث شيء من هذا ، بل لم يحدث أى اشتباك بين الفريقين ، وأقام المسلمون على طريق « الروم » لا يقدرّون منهم على شيء ، ولا يقدر « الروم » منهم على شيء ، فاذا خرج « الروم » من معسكرهم ردهم المسلمون اليه ، واذا غامر المسلمون وقاموا بهجوم فانهم لم يلبثوا أن يتراجعوا خشية أن يحصرهم « الروم » بينهم فيكون في ذلك القضاء عليهم ، واستمر الحال على هذه الصورة مدة شهرين كاملين اعتقد المسلمون خلالهما أنه لا بد لهم من مدد يأتيهم يعينهم على هذا الوضع ، فبعثوا الى أبى بكر الصديق يصورون له الموقف ، ويصفون له الحالة ، ويطلبون منه ارسال المدد .

وعندما علم أبو بكر الصديق بوضع القوات الإسلامية في « الشام » قال : « والله لأنسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد » .
ووصلت تعليمات أبى بكر الصديق الى خالد بن الوليد وهو في مدينة

« الحيرة » مقر قيادته العليا في « العراق » ، ومضمونها أن يسير خالد حتى يأتي جموع المسلمين بـ « اليرموك » ، وأن يأخذ معه نصف الجيش الاسلامي ، ويستخلف على النصف الآخر المثنى بن حارثة الشيباني ، ولا يأخذن معه من فيه نجدة الا ويترك عند المثنى مثله ، فامتثل خالد بن الوليد لهذه التعليمات .

وفكر خالد في كيفية الوصول الى « الشام » من « العراق » ، ان الحرب خدعة لا بد للانتصار فيها من المباغتة والمفاجأة ، فاذا توقعك عدوك من ثلاث طرق فاذهب اليه من الطريق الرابع ، هنا تكمن المفاجأة ، مفاجأة العدو بحيث يرى عدوه أمامه وهو غير متوقع .

ان خالدا يريد أن يسلك طريقا يفاجيء منه الجيش الرومي ، ويحفظ بسره الامن والسرية لتحركاته ، وعندما سأل لم يدلّه مجابوه الا على طريق صحراوي يشق على الجيش الاسلامي المسير فيه ، ويحمّله ما لا يطيق من الصعاب والمشاق ، واستقر رأي خالد على سلوك هذا الطريق الصحراوي ، فهو وان كان طريقا مخيفا رهيبا قليل الماء عظيم الخطر الا أنه طريق لا يتوقع العدو أن يأتي منه أي مدد .

واتخذ خالد القائد العبقرى احتياطاته للمسيرة الرهيبة ، فجمع عددا من الابل ومنع عنها الماء أياما حتى عطشت واشتد عطشها ، ثم سقاها حتى ارتوت ، فشد أفواهها حتى لا تجتر ، وفي هذه الحالة تختزن الابل كميات المياه التي شربتها في مثاناتها لعدة أيام قبل أن تستهلكه تدريجيا ، وهذه الطريقة يلجأ اليها البدوي في الصحراء حتى الآن .

وأمر خالد قواته بالسير ، وعلى طول الطريق الصحراوي الخطر الى « الشام » كان خالد ينحر كل يوم عددا من هذه الابل ليشرب الجيش الماء من بطونها ، وقطع خالد صحراء « العراق » وبادية « الشام » ، وهي جزء من الطريق يزيد على ٩٥٠ كيلومترا في أشد الظروف قسوة وحرارة ، يفزو من يقابله من القبائل حتى وصل الى « تدمر » الذي كان وصوله اليها مفاجأة مذهلة لـ « الروم » ، ثم سار من هناك الى « ثنية العقاب » نائرا راية سوداء كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم تسمى « العقاب » ، ثم تجاوزها الى « مرج راهط » شرقي غوطة « دمشق » ، فأغار على أرباض « دمشق » ، ثم اتجه جنوبا حتى وصل الى « بصرى » ، فقاتل أهلها حتى صالحوه ، فكانت بصرى أول مدينة بـ « الشام » تفتح صلحا على يد خالد ، فبعث بالآخماس الى أبي بكر الصديق ، ثم سار منها ووصل الى « اليرموك » حيث يرابض الجيش الاسلامي .

ولقد صادف وصول خالد تعزيز هرقل لجيشه بـ « باهان » القائد المحنك ، فاغتبط « الروم » بـ « باهان » اغتباط المسلمين بخالد ، وأقام الجيشان الاسلامي والرومي يتحين كل منهما الفرصة المناسبة التي تمكن له احراز النصر على عدوه .

دقة الموقف

لقد بلغ الموقف بين القوات الاسلامية والقوات الرومية مبلغا غايية في الدقة ، ولم تكن هذه الدقة متوقفة على ما بين الجيشين من فرق في عدد

الجنود ، بل كانت الدقة أيضا فى تفوق عدة « الروم » على عدة المسلمين ، بيد أن هذا التفوق فى العدد والعدة لم يظهر له أى اثر طوال أيام الشهرين اللذين مضيا ، منذ جمع المسلمون و « الروم » قواتهم على نهر « اليرموك » .

وتوالت الايام ، وانقضى أسبوع واثنان وثلاثة ، وكل من الجيشين فى مواقعه لا تتاح لاي منهما فرصة القتال والنزال . فكيف استطاع خالد ابن الوليد أن يتحمل هذا الموقف ويصبر عليه ، وما احتمل وصبر لمثله أبدا من قبل ؟ هل أفزعته جيوش « الروم » بكثافتها فهابها مثلما هابها زملاؤه ؟ أم كان يدرس الموقف ويخطط للمعركة ويضع التكتيكات التى تضمن له سبل الفوز والنصر ؟ أم كانت عوامل أخرى تركت فى نفسه من الاثر ما جعله يظل هذه المدة لا يقوم بأى هجوم ؟

لقد أجمعت أكثر روايات المؤرخين على أن الجيش الاسلامى لم يكن موحد القيادة ، بل كان كل أمير يلى قتال من وجّه اليه ، وينظم خطته بما يكفل له عدم تراجعهم ، ويصلى بجنوده على حدة ، وهذه الخطة فى مثل عدد جيش المسلمين لا تنيلهم من عدوهم ولا تمكنهم منه ، وأن خالدا جاء من « العراق » مددا لزملائه وليس أميرا عليهم ، فعسكر هو أيضا بجنوده على حدة وصلى بهم ، ولذا لم يستطع خالد أن يثمن هجوما على العدو بمفرده ، اذ ليس تحت أمرته من الجنود سوى تسعة آلاف تقريبا ، ولكن هذا التفرق فى القيادة لم يمنع الجيش الاسلامى من أن يصد هجمات الجيش الرومى التى شنّها ويرده الى مواقعه .

تصرف حازم

ان أبا بكر الصديق لم يول خالدا امارة الجيش عندما أرسل اليه كتابا يأمره فيه بالسير من « العراق » الى « الشام » مددا للقوات الاسلامية ، المقسمة الى أربعة جيوش على كل جيش أمير .

وان « الروم » ينشطون كل يوم وينظمون صفوفهم ، وتدل أنباؤهم على أنهم يستعدون ويتجهزون لمعركة ماضلة ، وعرف أمراء الجيش هذه الانباء ، ثم تواترت الاخبار بأن « الروم » يتجهزون وكلهم حماس لقتال المسلمين ، وأنهم سينازلونهم فى الغد ، وأن « باهان » قسم الجيش فى صفوف لم يسمع بها من قبل ، فاجتمع أمراء الجيش الاسلامى فى مجلس حرب للبحث والمشاورة ، واتخاذ كافة الترتيبات لمواجهة هجوم « الروم » المتوقع .

وابتدا الحديث ، وتكلم كل أمير عن وجهة نظره وخطته فى لقاء الاعداء ، أما تعبئة الجيش تعبئة كاملة فلم يتناولها البحث ، لان كل أمير هو صاحب الراى فى صف جنوده وتنظيمها ، وعندما جاء دور خالد بن الوليد فى الحديث تكلم وبيّن للأمراء أن التكتيك الحربى الذى يتبعه الجيش الرومى لا يصلح معه هذا الاسلوب الذى يتبعه أمراء الجيوش الاسلامية ، وأنه يرى أن حشد القوات الاسلامية فى مواجهة العدو هو الطريق الامثل فى مثل هذه الظروف .

ومضى خالد بن الوليد يشرح وجهة نظره للأمراء فقال : ان هذا

يوم من أيام الله لا ينبغي فيه الفخر ولا البغى ، أخلصوا جهادكم وأريدوا الله بعملكم ، فان هذا اليوم له ما بعده ، ولا تقاتلوا قوما على نظام وتعبئة وأنتم على تساند وانتشار ، فان ذلك لا يحل ولا ينبغي .

ولعل خالدا قد رأى أن تولية الامراء على مناطق محددة تكون لهم بعد انتهاء الحرب امر ربما يكون له أثر نفسي على القادة فضلا عن الجنود ، والقادة هنا ما هم الا الصفوة من الرعييل الاول الذين تخرجوا من مدرسة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومع ذلك فخالدا يذكرهم بما هو اسمى وأبقى ، ويحذرهم من أن يكون للدنيا أثر فيما يتطلعون اليه ، لان ما عند الله خير وأبقى فيقول : ان الذى أنتم فيه أشد على المسلمين مما غشيتهم ، وأنفع للمشركين من امدادهم ، وقد علمت أن الدنيا فرقت بينكم ، فالله الله ، فقد أفرد كل رجل منكم ببلد من البلدان لا ينتقصه منه وان دان لأحد من أمراء الجند ، ولا يزيده عليه ان دانوا له ، ان تأمير بعضكم لا ينتقصكم عند الله ولا عند خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هلموا فان هؤلاء قد تهيأوا ، وهذا يوم له ما بعده ، ان رددناهم الى خندقهم اليوم لم نزل نردهم ، وان هزمونا لم نفلح بعدها .

ويعرض القائد العبقرى أن يتولى كل أمير قيادة الجيش يوما ، ويقترح أن تكون له القيادة فى اليوم الاول ، فلم يتردد الامراء بعدما سمعوا كلامه فى اجابته الى ما طلب ، وهم يظنون أن المعركة ستكون طويلة ، بينما كان خالد بن الوليد يرجو ويتمنى من أعماق قلبه أن ينتهى منها فى أول يوم .

وكان خالد فى أثناء الشهر الذى أقامه بـ « الشام » قد عرف من أسرار قيادة « الروم » ما طوع لعبقريته ان يضع خطة الملاقاة والانتصار على الاعداء ، لذلك نظم جيشه على أساس وجود قوى رئيسية على شكل فرق أوكراديس على حد تعبير المؤرخين ، وكل فرقة مكونة من ألف مقاتل ، لاعتقاده بأن هذا التنظيم سوف يظهر امكانيات المسلمين بصورة أكبر فى نظر العدو ، وجعل القلب مكونا من ثمانى عشرة فرقة وعليه أبو عبيدة بن الجراح ، وفيه القعقاع بن عمرو وعكرمة بن أبى جهل ، وجعل الميمنة عشر فرق وعليها عمرو بن العاص ، وفيها شرحبيل بن حسنة ، وجعل الميسرة عشر فرق وعليها يزيد بن أبى سفيان ، وجعل على رأس كل فرقة قائدا يتلقى الاوامر ممن فوقه .

ولم يكتف خالد بن الوليد بهذا النظام البديع ، بل جعل للجيش طليعة وعليها قباث بن أشيم ، وقاضيا وهو أبو الدرداء ، وقارئا وهو المقداد ، يقرأ على الجنود سورة الجهاد « الانفال » كما كان يفعل الرسول صلوات الله وسلامه عليه من بعد موقعة « بدر » عند لقاء الاعداء ، وأسند تموين الجيش الى عبد الله بن مسعود ، وعين أبا سفيان بن حرب قائدا للتوجيه المعنوى ، مهمته وعظ الجنود وقراءة القرآن عليهم ، وتذكيرهم بالله عز وجل ، وحثهم على الجهاد وبذل الارواح فى سبيل الله ، فكان يسير فى الجيش ويتنقل بين الفرق وهو يقول : « الله الله ، انكم ذادة العرب وأنصار الاسلام ، وانهم ذادة الروم وأنصار الشرك . اللهم ان هذا اليوم من أيامك . اللهم أنزل نصرك على عبادك » .

وعلى هذا التنظيم المحكم الذى عبأ به خالد الجيش ، نراه

لم يترك أمرا يزيد في قوة المسلمين ، ويرفع من روحهم المعنوية ، ويوقظ فيهم الحماس ، ويلهبهم للقاء عدوهم ، ويوقع الرعب في قلوب الاعداء ويوهن من عزائمهم ، الا وفكر فيه وفعله في هذا اليوم العظيم .

وقبيل بدء القتال طلب القائد الرومي أن يبرز اليه خالد ليقول له بضع كلمات ، فخرج اليه خالد حيث تواجها في الفراغ الفاصل بين الجيشين ، وقال « باهان » ومن حوله أركان حربه يخاطب خالدا : قد علمنا أنه لم يخرجكم من بلادكم الا الجهد والجوع — غلاء الاسعار وضيق الامور على المسلمين — ، فان شئتم أعطيت كل واحد منكم عشرة دنائير ، وكسوة ، وطعاما ، وترجعون الى بلادكم ، وفي العام القادم أبعث اليكم بمثلها . فإنا قد جئناكم ومعنا من الجيوش والعدد ما لا قبل لكم به .

وفكر خالد قبل أن يجيب على كلام القائد الرومي ، ان « باهان » يستهدف من كلماته هذه ثلاثة أشياء :

- الاول : انه يشكك في الاوضاع الاقتصادية للدولة الاسلامية ، كما انه يشكك في الهدف وعدم ادراك الغاية التي يستهدفها الجيش الاسلامي .
- الثاني : انه يحاول رشوة الجيش الاسلامي بالمال والطعام والكسوة .
- الثالث : انه يشن حربا نفسية باستهانته وسخريته من قلة الجيش الاسلامي اذا قيس بما تحت يده من رجال وعدة وعتاد .

وضغط خالد أعصابه ، وجزأ على أسنانه بعدما أدرك ما يرمى اليه « باهان » من كلامه ، وقرر خالد أن يرد عليه بجواب مناسب ، فقال له : انه لم يخرجنا من بلادنا الجوع والجهد كما ذكرت ، ولكننا معشر العرب نشرب الدماء ، وقد علمنا أنه لا دم أطيب من دمكم ، فأقبلنا لنهريق دماءكم ونشربها ، ولقد جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة ، ويرغبون في الآخرة كما ترغبون في الدنيا ، ولوى البطل زمام جواده عائدا الى صفوف جيشه .

لقد كان في رد خالد هذا مقابلة حاسمة تامة للأشياء الثلاثة التي أرادها « باهان » في كلامه ، فقد أظهر وأوضح له أن خروج المسلمين لم يكن سببه الجوع أو ضيق الامور ، ثم ألقي عليه وعلى أركان حربه الواقفين حوله بقنبلة أحدثت انفجارا نفسيا رهيبا ، ونشرت الرعب والذعر في قلب « باهان » ومن معه ، فالعرب لم تكن في يوم من الايام شاربة للدماء ، ولكن الاثر النفسي لكلام خالد تحقق على الفور ، وظهرت آثاره في نفوس العدو ، فقد سيطر الرعب والخوف والفرع على قلوب أركان حرب « باهان » ، ومال بعضهم على بعضهم يتهامون بقولهم : هذا ما كنا نسمع به عن العرب من شربها الدماء .

ولم يستطع خالد أن ينكر في رده على « باهان » تلك الامكانيات الهائلة الموجودة في جيش « الروم » من حيث العدد والعدة ، ولكنه ركز تركيزا مباشرا على اعتبار له القيمة الحاسمة في مصير المعركة من وجهة نظره ، انه يتحدث عن العقيدة التي يحارب بها المقاتل ، ونوعية ذلك المقاتل ، ولا شك في أن لكل مقاتل عقيدة حتى ولو كانت باطلة ، فالجندى الرومي يحارب بعقيدة ، والجندى المسلم يحارب بعقيدة ، بيد أنه يجب أن يكون ايمان الجندى المسلم بالحق الذي هو عليه أشد وأقوى من ايمان الجندى الرومي بما هو عليه ، والمقاتل الذي يحارب ويرغب في الحياة

يختلف تمام الاختلاف عن الجندي الذي يحارب وهو يتحرق شوقا الى لقاء الله ، فهو لا يتعلق بشيء مما في الحياة الدنيا ، لان ما فيها الى زوال وانتهاء ، أما ما عند الله عز وجل فهو باق لا يزول ولا ينتهي . هذا هو هدف الجندي المسلم يبذل روحه رخيصة في سبيل الله طمعا في لقاء الله .

الموقعة

امر خالد بن الوليد مجنبتى القلب أن ينشبا القتال ، وكان عليهما القعقاع بن عمرو ، وعكرمة بن أبي جهل ، فخرجا في حماس ، وأنشبا القتال ، والقعقاع يرتجز :

يا ليتنى القاك في الطراد قبل اعترام الجحفل الورد
وانت في حطبتك الورد

وعكرمة يجاوبه بقوله :

قد علمت بهنكة الجوارى أنى على عكرمة أحامى
وكانت هذه الأراجيز تفعل فعل السحر في النفوس ، فتثير حماس المحاربين ، وتهيج كامن وجدانهم ، وتقوم مقام الموسيقى في استثارة النفوس ، وتشجيع القلوب ، والهيب الحمية .
والتحم الجيشان ، وتطارد الفرسان ، وخرست الألسنة ، وصمت الأذان ، فلم يعد يسمع الا صوت السيوف وهي تتضارب ، وزئير الفرسان وهو يتعالى .

ثم خرج « جرجة » قائد قلب جيش « الروم » ، حتى اذا كان بين الصفيين صاح مناديا : ليخرج الى خالد . فخرج خالد اليه بعد أن أقام أبا عبيدة مكانه ، فوافقه بين الصفيين حتى اختلفت أعناق فرسيهما ، ثم دار بين الاثنين حوار انتهى بإسلام « جرجة » وصلاته ركعتين .

وأغلب الظن أن « جرجة » كان عربيا أوروبيا أقام سنين طويلة ببلاد « الشام » ، فعرف اللغة العربية ، وسمع بأخبار المسلمين ، وبانتصارات خالد المتتالية ، فانضم الى الجيش الاسلامي بالقوات التي تحت أمرته .

واعتقدت فرقة من جيش « الروم » أن « جرجة » قد حوَصِر ويحتاج الى المدد ، فانقضوا على المسلمين حتى أزاحوهم عن مواقعهم ، وحملوهم على التقهقر للوراء ، وعندما رأى عكرمة هجوم « الروم » وتراجع المسلمين ثار الدم في عروقه وصاح : قاتلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل موطن وأفر اليوم ثم نادى في أصحابه : من يبايع على الموت ؟ فبايعه الحارث بن هشام ، وضرار بن الأزور في أربعمئة من وجوه المسلمين وفرسانهم ، من بينهم عمرو ابنه ، وهجموا على فرقة « الروم » هجمة رجل واحد ، مستميتين في سبيل ربهم الكريم ، وقد تجلى لهم وجهه الأكرم فأضاء لهم بنوره سبيل الاستشهاد والجنة ، وزلزلت « الروم » من الهجمة ، وزادهم زلزالا انضمام « جرجة » وجنوده للمسلمين في مهاجمتهم ، مما جعلهم يعتقدون أن بنى وطنهم قد غدروا بهم وانضموا لأعدائهم ، فأخذوا يتراجعون الى الوراء .

وعندما رأى خالد فرقة « الروم » ترتد وتراجع أصدر أمره الى جميع

قواد الجيش بالتقدم ، فاذا بقوات « الروم » تلقاه بهجوم ليس دون هجومه عنفا وقوة ، فأيقن المسلمون أنه لا سبيل لهم ولا مفر من القناء الا باحراز النصر على أعدائهم ، فازدادوا ايمانا بالله عز وجل ، وزادهم ايمانهم قوة فى هجومهم ، واندفع خالد بن الوليد يعمل فيهم سيفه فيخطف ارواحهم خطفا ، وجرجة يفعل مثله حتى أصيب ، وبلغت الحماسة بالمسلمين أن شاركت النساء الرجال فى القتال ، فكانت لجويرية بنت أبى سفيان مواقف تعيد الى الذاكرة موقف أمها هند فى موقعة أحد .

واستمرت « الروم » فى قتال المسلمين ، وأخذوا يقتلون من المسلمين كل من يقع فى أيديهم ، فترجحت كفة المعركة واستمر ترجحها طوال النهار ، ووقف عكرمة ومن بايعوه على الموت لا يتراجع واحد منهم قيد أنملة عن مكانه بعد أن وهبوا أنفسهم لله ، فحملوا وطيس المعركة من بدايتها الى نهايتها ، فاستشهد البعض وأصيب البعض الآخر باصابات شديدة .

وعندما أذنت الشمس بالمغيب بدأت قوات « الروم » تضعف وتهن ، وبدأ الاعياء والاجهاد على وجوه الفرسان ، وأدرك خالد أنهم يلتمسون الوسيلة الى الهرب ، فقدر أن فرارهم سوف يزيد من ضعف بقية الجيش الرومى ، فأصدر أمره لجنوده بأن يفسحوا طريقا يؤدى الى الوادى ففعلوا ، ولم يلبث هؤلاء الفرسان حين رأوا فرصة النجاة قد تهيأت لهم أن فروا هاربين وتفرقوا فى البلاد ، وعندئذ انقض خالد بفرسانه ومشااته على مشاة « الروم » ، مقتحمين عليهم خندقهم ، فتقهقروا وتراجعوا الى الوراء ، وكان وراءهم الواقوسة فوقعوا فيها وكانهم جدار اندك من أساسه ، وعندما شاهد المسلمون ذلك شددوا الضغط عليهم حتى هوى فى الواقوسة مائة وعشرون ألفا .

وقد استمر القتال النهار كله ومعظم الليل ، ولم ينبثق نور الصباح حتى كانت « الروم » قد انهزمت هزيمة ساحقة ، وقتل « تذارق » أخو هرقل ، كما قتل عدد كبير من أمراء جيش « الروم » ، أما « باهان » فقد فر ونجا ليقف أمام المسلمين بعد ذلك فى مواقع لم يكن حظه فيها بأسعد من حظه فى « اليرموك » .

واستقر خالد فى رواق « تذارق » ، وغنم المسلمون كل ما فى معسكر « الروم » ، ولم يكن عدد من استشهد من المسلمين قليلا ، فلقد بلغ ثلاثة آلاف من بينهم عدد من كبار الصحابة والفرسان ذوى المكانة والبلاء .

وكان لكثير من فرسان المسلمين وأبطالهم أثر يذكر فى تحميس المسلمين واقدامهم ، وصبرهم وثباتهم ، فكان الزبير بن العوام أفضل من شهد موقعة « اليرموك » ، فقد اخترق صفوف « الروم » مرتين ، لم يصب فيهما الا بضربتين فى قفاه .

وكان عكرمة بن أبى جهل وابنه عمرو قد أصابتهما الجراح من كل جانب خلال المعركة ، فلما أصبح المسلمون جىء بهما الى خالد فى رواق « تذارق » ، فوضع رأس عكرمة على فخذه ، ورأس عمرو على ساقه ، وأخذ يمسح عن وجهيهما ويقطر الماء فى حلقيهما حتى استشهدا . رحم الله تلك النفوس التى استهانت بالدنيا ومتاعها التماسا للشهادة ، ورغبة فى نصره الاسلام ، مطلبيا لقهر العدو ، ونصرا لدين الله عز وجل .

وقد أبليت المسلمات فى ذلك اليوم كما أبلى الرجال ، فكن يقمن بسقى الماء ، ومداواة الجرحى والمرضى ، واستنهاض الهمم ، واستثارة الحماس فى قلوب الرجال ، ويواسينهم بأنفسهن فى ساحة القتال ، حتى بلغن من كيد العدو ما لا تبلغه منه السيوف ، وممن قاتلن فى هذه الموقعة أسماء بنت يزيد الاشهلية ، فقد حملت عمود خبائها وهجمت به على صفوف « الروم » تضرب به كل من تقابله ، فقتلت بهذا العمود تسعا من جنود الاعداء .

عزل خالد

وفى أثناء الموقعة والقتال على أشده بين الجيوش الاسلامية والجيوش الرومى ، ولا يستطيع أحد أن يتكهن بنتيجة الموقعة وصل البريد بوفاة أبى بكر الصديق — رضى الله عنه — وعزل خالد بن الوليد عن إمارة الجيش ، وتولية أبى عبيدة بن الجراح مكانه (١) ، وحينما رأى المسلمون رسول الخليفة سألوه عما وراءه ، فأخبرهم بالسلامة والامداد ، وأسر رسول الخليفة الى خالد بالخبر وبما قاله للجند ، فحمد له خالد رأيه واستحسنه ، وأخذ خالد الخطاب من الرسول وأخفاه معه ، ولم يذع ما جاء به حتى لا تضعف قوة المسلمين أثناء المعركة ، وبعد انتهاء المعركة سلم خالد الخطاب لأبى عبيدة بن الجراح وسلم عليه بالامارة .

وانتهى خبر هزيمة ثوات « الروم » الى هرقل ، فارتحل عن « حمص » وجعلها بينه وبين المسلمين ، وولى عليها أميرا خلفه فيها ، كما ولى على « دمشق » أميرا ، وودع « سوريا » الوداع الاخير وعيناه مغرورقتان بالدموع بقوله : « سلام عليك يا سوريا سلاما لا لقاء بعده » ، وامتنطى صهوة جواده وهو منكس الرأس ليعبر جبال « طوروس » متجها الى الغرب .

هذه هى موقعة « اليرموك » التى تعد من المعارك الفاصلة فى تاريخ الشرق ، وبعبارة أدق بين المسلمين و « الروم » ، فقد تقلص سلطان القياصرة عن رقعة فسيحة ، وظهر سلطان الاسلام ، وتتابعت بعدهم الفتوحات الاسلامية فى « الشام » .

ولقد استطاع سيف المسلمين فى هذه الموقعة أن يستخلص ثارا ويسوى حسابا كان مفتوحا منذ انسحاب الجيش الاسلامى الذى أرسله الرسول صلى الله عليه وسلم الى حدود « الروم » فى سرية « مؤتة » ، وكان خالد فيه جنديا ثم قائدا بعد استشهاد قواده الثلاثة : زيد بن حارثة ، وجعفر بن أبى طالب ، وعبد الله بن رواحه ، رضوان الله عليهم أجمعين .

(١) فى اعتقادى أن عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — قد توقع عندما أرسل أبو بكر الصديق خالد بن الوليد مددا للجيوش الاسلامية فى « اليرموك » أنه سيتولى إمارة الجيش بالاتفاق مع القواد ، وقد صدق توقعه فقد كان ملهما .

زهد المؤمن

للكتور: أحمد الحوفي

١ - الزهد :

هو العزوف عن المباح مع القدرة عليه ، تهذيبا للنفس وإيثارا للنفع الآخرين ، فإن كان عن معجزة وضيق فانه اضطرار لا مندوحة عنه ، فلا يصح أن يسمى زهدا ، وإن كان لاذلال النفس وتعذيبها بغير ما قصد الى نفع يتحقق للأمة أو لطائفة منها فليس من الزهد في شيء بل هو رهبانية لا يقرها الاسلام ، قال تعالى « يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المرففين . قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون » . (١)

والزهد بهذا المعنى السامي فضيلة موصولة بفضائل أخرى مثل العفة والقناعة والصبر والتواضع والإيثار .

وهو بهذا المعنى مظهر للقدرة على حرمان النفس مما تجد ، وتقوية للعزيمة ، وتغليب لها على الرغبات والحاجات ، لأن الاستمتاع الدائم يعود النفس على طلب المزيد ، فاذا منعت شيئا مما تريده ضاقت الما وحسرة .

وما من شك في أن صاحب الاخلاق الفاضلة يتجافى عن اللذات التي تستهوى غيره ، ويتعالى على الاستمتاع بما لا ينبغي الاستمتاع به ،

بل انه يبغض الاستهتار بالذات ، ولا يشعر بألم من الحرمان ، لأنه قليل المآرب والحاجات ، يرضى من حياته بما لا ضرر فيه ، وبما يلائم سيطرته على رغباته وإيثاره غيره على نفسه .

٢ — ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى في الزهد ، لأنه زهد زهادة المختار القادر ، المؤمن بأن الاستمتاع المباح حلال ، المؤثر على نفسه فقراء الأمة ومصالح الاسلام .

وهو بزهد ربي كثيرا من الرجال فتخلقوا بمثل خلقه ، فأنصرفوا عن الخضوع للذات ومآرب النفس ، وآثروا غيرهم على أنفسهم ، كأبي بكر وعمر وعلى وغيرهم من كبار الصحابة وولاة الأقاليم ، فصار زهدهم تربية وتنمية ، أما التربية فللنفوس ، وأما التنمية فلاسعاد الناس ولتقوية الأمة .

وحسبنا أن نذكر أن السيدة حفصة قالت لأبيها عمر بن الخطاب حينما فتحت عليه الفتوح : البس اللين الثياب إذا وفدت عليك الوفود من الأماق ، ومر بصنعة طعام تطعمه وتطعم من حضر . فقال لها عمر — يا حفصة ، ألسنت تعلمين أن أعلم الناس بحال الرجل أهل بيته ؟ فقالت ، بلى .

قال : ناشدتك الله ، هل تعلمين أن رسول الله لبث في النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع هو ولا أهل بيته غدوة إلا جاعوا عشية ، ولا شبعا عشية إلا جاعوا غدوة ؟

وناشدتك الله ، هل تعلمين أن النبي صلى الله عليه وسلم لبث في النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع من التمر هو وأهله حتى فتح الله عليه خير ؟ وناشدتك الله ، هل تعلمين أن رسول الله قربتم اليه يوما طعاما على مائدة فيها ارتفاع ، فشق ذلك عليه حتى تغير لونه ، ثم أمر بالمائدة فرفعت ، ووضع الطعام على دون ذلك أو وضع على الأرض ؟

وناشدتك الله ، هل تعلمين أن رسول الله كان ينام على عباءة مثنية فثبثت له ليلة أربع طاقات غنام عليها ، فلما استيقظ قال : منعموني قيام الليل بهذه العبادة ، اثنوها باثنتين كما كنتم تثنونها ؟ فما زال يقول حتى أبكاها ، وبكى عمر وانتحب . (٢)

٣ — ويجدر بنا قبل أن نعرض بعض مظاهر زهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نجيب على هذا السؤال : هل كان الرسول ذا ثراء ومال حتى يثبت أن زهده عن وجد واقتدار ؟

نعم كان لرسول الله مال ، وكان ماله كثيرا في بعض الأحيان . (١) كان له نصيب في خمس الغنائم التي يصيبها المسلمون من محاربيهم ، وقد كانت الحروب كثيرة وكانت غنائم المسلمين موفورة منذ غزوة بدر حتى تم فتح الحجاز واليمن وجميع جزيرة العرب ، فتوافدت الغنائم والجزية والصدقات .

قال تعالى « وأعلموا أنها غنمتم من شيء فأن لله خمسة وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل » (٣) .
فللمجاهد أربعة أخماس الغنيمة ، وللرسول خمسها لنفسه ولأقاربه واليتامى والمساكين ولأبناء السبيل .

(ب) وكان للرسول نصيب من الفئ ، أى مما ناله المسلمون من أموال المشركين بغير حرب ، كالجزية ، وما تركوه فى حروبهم خوفا من المسلمين ، وما صالحوا المسلمين عليه .

قال تعالى « وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير .
ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب » (٤) .

وكان رسول الله ينفق من هذا الفئ على أهله نفقة سنتهم ، ثم يأخذ مابقى فيجعله مجمل مال الله فى السلاح والخيل ومصالح المسلمين ، وهذا مذهب الجمهور .

وقال الامام الشافعى أن الفئ يقسم خمسة أخماس وفقا للآية ، ثم يقسم خمسة على خمسة أسهم ، للرسول منها سهم ينفق منه على مصالحه ، فمصرف هذا السهم للمصالح العامة كسد الثغور وعمارة الحصون والقناطر وأرزاق القضاة .

والسهم الثانى لذوى القربى وبني هاشم وبني المطلب ، والثالث لليتامى الفقراء ، والرابع للمساكين ، والخامس لأبناء السبيل ، وأما الأربعة الاخماس فهى للمرتزقة وهم المرصدون للجهاد بتعيين الامام . (٥)

ومن هذا الفئ مزارع فذك وبساتينها ونخيلها وعينها الفوارة .
(ج) يضاف الى الغنائم والجزية والفئ والصدقات ما كان يهدى الى رسول الله من بعض الملوك والأمراء .

٤ — أما زهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المال فله صور ومظاهر شتى .

فهو لم يستأثر بشيء من المال الكثير الذى تدفق من الغنائم والفئ وغيرهما ، بل اقتصر على نصيبه من الخمس ، ثم لم يمسك درهما من هذا النصيب ، بل أنفقه فى وجوهه ، وقوى به المسلمين ، وأسعد به غيره ، وقال : ما يسرنى أن لى أحدا ذهباً يبيت عندي منه دينار الا دينارا أرصده لدينى .

وأنته دنائير فقسمها ، وبقيت منها ستة ، فدفعها لبعض نسائه ، لكنه لم ينم حتى قام وقسمها ، وقال : .. الآن استرحت .

واقترع من نفقته وملبسه ومسكنه على ما تدعو اليه الضرورة ، وزهد فيما سواه .

وأتى بمال من البحرين ، وكان أكثر مال أتى به ، فخرج الى الصلاة ولم يلتفت اليه ، فلما قضى الصلاة جاء فجلس الى المال ، فقلما رأى أحدا الا أعطاه .

ولما توفي لم يترك درهما ولا دينارا ولا عبدا ولا أمة الا سلاحه وبغلة البيضاء وأرضا جعلها صدقة (٦) .

هـ — وأما زهده في الطعام فإنه يتمثل في أنه صلى الله عليه وسلم لم يجمع في بطنه طعامين ، فإن أكل لحما لم يزد عليه ، وإن أكل تمرا لم يزد عليه ، وإن أكل خبزا كفاه ، وإن وجد لبنا أغناه . (٧)

وقالت السيدة عائشة : ما شبع آل محمد منذ قدم المدينة من طعام البر ثلاث ليال تباعا حتى قبض . (٨)

وقالت : لم يمتلىء جوف النبي شبعاً قط ، وكان لا يسأل أهله طعاما ولا يتشبهاه ، أن أطعموه أكل ، وما أطعموه وما سقوه شرب . (٩) وهنا يعرض لنا سؤالان :

أحدهما : هل أدخر رسول الله قوت عياله ؟ وهل هذا الادخار يناقض الزهد ؟

لقد روى أنه نهى أم أيمن وغيرها أن تدخر له شيئا لقد . (١٠) وروى أنه كان يدخر لعياله قوت سنة (١١) وكان — كما قال عمر بن الخطاب — يبيع نخل بني النضير ، ويحبس لأهله قوت سنتهم ، إذ كان نخلهم فينا له .

وليس بين الخبرين تعارض ، لأن النبي نهى عن ادخار القوت سنة حينما لم تكن الموارد كافية ، فلما كثرت اتسعت لهذا الادخار .

ولا تنافي بين ادخار القوت للعيال وبين الزهد ، أن النبي كان يدخر ، فإذا رأى المحتاجين منحهم ما أدخر ، وهذه أعلى درجات الايثار .

ويؤيد هذا قول السيدة عائشة : توفي رسول الله حين شبعنا من الأسودين التمر والماء . وكان هذا الشبع منذ فتح خيبر ، لأنها قالت — لما فتحنا خيبر قلنا : الآن نشبع من التمر ، وفي حديث ابن عمر ، ما شبعنا حتى فتحنا خيبر .

وقد فتحت خيبر قبل وفاة النبي بثلاث سنين . (١٢)

السؤال الآخر : هل عصب رسول الله الحجر على بطنه . . ؟

قيل أنه كان يعصب الحجر على بطنه من الجوع (١٣) .

فهل بلغ الحال به الى هذا الحد . . ؟ ولماذا ؟

لقد أنكر بعض العلماء ذلك ، ومنهم أبو حاتم محمد بن حبان التميمي البستي ، وقالوا ان الأحاديث التي رويت في هذا باطلة ، واستدلوا بحديث الوصال . « لست كأحدكم اني أطعم وأسقي » وقال ابن حبان : ان رسول الله لم يكن يشد على بطنه الحجر ، بل كان يشد عليه الحجز (١٤) . لأن الله تعالى كان يطعم رسوله ويسقيه اذا واصل الصوم فكيف يحتاج الى شد الحجر على بطنه ؟ وماذا يغني الحجر من الجوع .

وقالوا لقد ثبت أن رسول الله كان يدخر لأهله قوت سنة ، وأنه قسم بين أربعة من أصحابه ألف بغير مما أفاء الله عليه ، وساق في عمرته مئة

بدنه فنحرتها وأطعم المساكين ، وأمر لأعرابي بقطيع من الغنم ، وأعطى جماعة كثيرة من خيرات خير ، وكانت فذك وقريظة والنضير خالصة له . ثم أن بعض الصحابة المقربين كانوا ذوى مال كثير مثل أبى بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد بن عباد وعبد الرحمن بن عوف ، وكانوا يبذلون أموالهم وأنفسهم بين يديه ، فكيف يتركونه يشد الحجر على بطنه جوعا . . ؟

ولكن بعض العلماء ردوا على هذا بأن أهل الحجاز كان من عادتهم أن يعمدوا الى صفائح رقاق من الحجارة فى طول الكف يربطونها على بطونهم الخاوية لتعتدل القامة ، وكان رسول الله يفعل مثلهم ، ليعلموا أنه لا يملك ما يستأثر به عليهم ، وإن لم يحصل له ألم من الجوع ، وقد فعل ذلك إيثاراً للثواب أيضاً ، لا لفقدان ما يدفع به الجوع عن نفسه .

وذهبوا الى صحة الأحاديث التى رويت فى شد الحجر على البطن . ٦ — كذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم زاهداً فى ملابسه وفراشه وآنيته ، فلم يكن له إلا ثوب واحد من قطن ، وجبة ، ورداء ، وبردة يمانية ، وكان له رداء أخضر تداوله الخلفاء (١٥) . ولما قبض أخرجت السيدة عائشة كساء ملبداً وأزاراً غليظاً فقالت : قبض رسول الله فى هذين (١٦) .

وأهدى اليه أكيدر بن عبد الملك صاحب دومة الجندل خروج حرير فلبسه — قبل تحريم الحرير فصلى فيه ، ثم انصرف فنزعه نزماً شديداً كالكاره له ، وقال لا ينبغي هذا للمتقين (١٧) .

ونهى عن الشرب فى آنية الذهب والفضة ، وعن الأكل فيها ، وحرّم الحرير على الرجال (١٨) . وكان ينام على الفراش تارة ، وعلى النطع — الجلد — تارة ، وعلى الحصير تارة ، وعلى السرير تارة ، وكان فراشه ادماً — جلداً — حشوه ليف ، وكذلك وسادته (١٩) .

ولكن إذا قدم عليه وفد من الوفود التى كانت تجىء لتسلم لبس أحسن ثيابه وأمر كبار أصحابه بأن يلبسوا أحسن ما عندهم من ملابس (٢٠) لأن هذا يعظمهم فى عيون القادمين ، ويعلى حزب الله ، وبخاصة أن الوافدين لم يتخلقوا بعد بأخلاق الإسلام .

٧ — ولكن زهاده رسول الله لم تمنعه من الكف بالنظافة والطيب ، فكان صلى الله عليه وسلم مع زهده وتواضعه وإيثاره كلفاً بنظافة جسمه وملبسه ، محباً للطيب ، نفوراً من الرائحة الكريهة ، ولهذا كان يقبل هدية الطيب ولا يردّه (٢١) .

وله فى هذا أخبار شتى منها أنه كان يرجل شعره ، ويسرح لحيته ، ويدهن رأسه ، ويضع قناعاً فى بعض الاوقات فوق شعره (٢٢) .

وقال على المنبر يوم الجمعة : ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبى مهنته (٢٣) .

وقال : اغتسلوا يوم الجمعة ، وأغسلوا رؤوسكم ، وإن لم تكونوا جنباً ، وأصيبوا من الطيب (٢٤) .

وقال : إن الله جميل يحب الجمال ، سخي يحب السخاء ، نظيف يحب النظافة (٢٥) . .

٨ — وكثيراً ما حض النبى على الزهد كقوله : عليكم بالقناعة ، فإن

القناعة مال لا ينفد (٢٦) .
 وقوله : اذا أصبحت آمناً في سربك ، معافى في بدنك عندك قوت
 يومك فعلى الدنيا العناء (٢٧) . وقوله : ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من
 بطنه ، حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، وان لا بد فاعلاً فثلاث لطعامه ،
 وثلاث لشرابه ، وثلاث لنفسه (٢٨) .
 وقوله : ليس الغنى عن كثرة العرض ، انما الغنى غنى النفس (٢٩) .
 وقوله : ازهد في الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما في أيدي الناس
 يحبك الناس .. (٣٠)
 لقد صدق رسول الله فيما قال ، ولقد كان القدوة المثلى فيما فعل ،
 فلعلنا نهتدي بهديه ، ونتبع سنته ، ونستضيء بنوره ..

- (١) سورة الاعراف ٣١ - ٢٣ .
- (٢) احياء علوم الدين للغزالي ١٩٢/٤ .
- (٣) سورة الانفال ٤١ .
- (٤) سورة الحشر ٧/٦ .
- (٥) فتح المبدى ٣٣٤/٢ .
- (٦) الاحياء للغزالي ١٦٦/٤ ، ١٦٩ والثفا للقاضي عياض ٧٣/١ وصحيح مسلم ٧٦/١
 وفتح المبدى ٣٣٤/٢ .
- (٧) السيرة الحلبية ٣٧٩/٣ والاحياء ٣١٧/٢ .
- (٨) فتح المبدى ٢٦٢/٣ .
- (٩) نور اليقين ٢٨٣ .
- (١٠) الاحياء ٢٣٩/٤ .
- (١١) الاحياء ٢٠١/١ و ١٣٩/٤ .
- (١٢) فتح المبدى ٢٥٨/٣ ، ٢٦٠ .
- (١٣) الاحياء ٣١٧/٢ .
- (١٤) العجز - جمع حجرة وهي التي يشد بها الوسط وهو طرة الازار .
- (١٥) السيرة الحلبية ٣٧٩/٣ .
- (١٦) فتح المبدى ٣٣٥/٢ والاحياء ٢٠٠/٤ ، ملبد مرقع .
- (١٧) فتح المبدى ١٩١/١ .
- (١٨) فتح المبدى ٢٩٦/٣ .
- (١٩) زاد المعاد ٥٤/١ والاحياء ٢١/٢ م .
- (٢٠) كز العمال ٢٤/٤ .
- (٢١) المواهب اللدنية ١٢٨ .
- (٢٢) المواهب اللدنية ٤٦ .
- (٢٣) زاد المعاد ٤٥/١ .
- (٢٤) فتح المبدى ٢٨٨/١ .
- (٢٥) الجامع الصغير ١٧٣/١ .
- (٢٦) كز العمال ٨٠/٢ والجامع الصغير ٩٤/٢ .
- (٢٧) المصدر السابق .
- (٢٨) الاحياء ٧٠/٣ ، ونور اليقين ٢٨٣ .
- (٢٩) الاحياء ٢٠٦/٣ .
- (٣٠) كز العمال ٣٩/٢ .

هَذَا الزحف... من يقصدى له..!

الصمت لا يجدى .. وليس يجدى كذلك أن نتجاهل الواقع الآن
الذى يدوس بفلاظة فاحشة على ما كان واقعا آنيا فى مرحلة من مراحل
تاريخنا المزدوح !!

الصمت لا يجدى .. لأن جدلا عقائديا يصمت أحد طرفيه ، ينتهى
فى نهاية الأمر الى غلبة الجانب الصائت على الجانب الصامت ، وينتهى
كذلك الى عزلة باردة يقبع فى دياجيرها ذلك اللائذ بصمته ، الهارب
من حركة الجدل الى سكونية الغباء !!

وليس يجدى كذلك تجاهل الواقع .. لأن الواقع الموضوعى
لا يستحيل خرافة إذا نحن — كجيل — تجاهلناه ، وربما كان النقيض هو
الحقيقى ، أعنى أن تجاهلنا البليد لواقع موضوعى مدجج بالآلاف الاسلحة .
هو وحده الذى يتيح لهذا الواقع أن يعزز موقعه ، وأن يكتشف من
خلال التجريب والتخريب جميعا أروع وسائل زحفه ، وأرحب إمكانيات
انتصاره !!

فلنكسر كل قضبان صمتنا الفاجع !!

ولنحرك طاقاتنا فى اتجاه المبالاة وليس فى اتجاه الملا بمبالاة !!
ولتكن عيوننا مفتوحة .. فإن الخدر الذى يسرى فى أوصالنا بلا
حدود يكثف من تراكمات الصدا الحضارى الذى نعانى من غبائه
الوبيل !!

أدرى أننى بدأت هجوميا بلا تحفظ ، عدوانيا أكاد أن أكون ،
وعن عمد فعلت .. لأن مسلمة باهظة عثشت فى أخلاق هـذا
الجيل توشك أن تفرض منطقها الهابط على كل العقول ، وهى أن
عقائديتها ليست فى حاجة الى من يناضل عنها ، وليست فى حاجة
الى من يدعو لها ، لأن هذه العقائدية تملك من قدراتها الذاتية على
الاشعاع والتوصيل ما يغنيها عن معاناة الدعاة ، وكدح الراشدين !!

إن هذه المسلمة الباهظة غبية من جانبين .. أولهما : أن ديننا من
الاديان لا يمكن أن يكون قادرا (بذاته) على الفتح ، أو حتى على الدفاع !!
لا بد من (رسول) لكل رسالة .. من (نبي) لكل دين .. من (دعاة)
على مستوى الفهم والإصرار والاستعداد كل يوم للشهادة لكل عقائدية تريد
لدورها أن يؤدى ، ولضوئها أن ينساح فى آفاق البقاء !! وثانيهما : أن
إمكانية الخلود فى دين من الأديان تكمن بالضرورة فى كونه قابلا لمزيد
من الكشف ، ولزيد من العطاءات ، بما هو بالضرورة كذلك أكبر من أن
يحتويه عصر ، وأرحب من أن يحتازه جيل ، وأثرى من أن يجف فيه
الخصب بعد أول قطاف !!

والإسلام واحد من الأديان السماوية الخالدة التى لم تنزل من
السما إلى الأرض هكذا فى ليونة ونعومة وانسياب .. لقد عانده من
عاند ، وكفر به من كفر ، وسل عليه السيف غير جيل وغير قبيل ،
ولم يقف مناط وحيه العظيم (محمد) موقف اللا مبالاة والاتكال ..
لقد أشعل فى قلب العالم وعقله جميعا ثورة جدل فكري وحضارى
ما تزال قابضة على أعناق هذا العالم حتى اليوم .. ولقد رفض
— غير مرة — أن يخلع (لأمته) حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه !!
إن الثائر فى محمد لم يمت ولا ينبغي له أن يموت ، ولست أعنى بالثائر
هنا مجرد القابض على سيفه .. ولكنى أعنى به كذلك الثائر
على بلادة الفكر ، والثائر على نضوب الوجدان ، والثائر على بتر
التواصل الكونى بين إنسان هذا الكون وخالقه المحرك لكل قوانين
النبض فى الأشياء !!

هذه مقدمة كان لا بد من إفراغها هكذا فى انفلات .. لنخلص

بعد إلى ما نحن بصدد الحديث عنه ، والحوار من حوله ، فقد خرجت
الصدور من طول معاناتها بلا حدود !!

القضية .. ليست أن نختار هنا أو لا نختار ، ولكنها على المستوى
الفكرى والعقائدى جميعا أن نكون أو لا نكون !! ولست أدعو من خلال
هذه السطور إلى مصادرة القضية النقيض .. فإن أبعد الأشياء عن
تصورى أن يستحيل الفكر فى يدنا إلى جلاد يهزم بالسوط معارضيه ..
إن الفكر لا يمكن أن يكون إلا بطلا شريفا ، الحرف بالحرف ، والقضية
بالقضية ، والحوار بمزيد من الحوار .. وثقوا معى أن الفكر المعارض
يعطى القضية أكثر مما يعطيها الفكر الدعائى .. إن الفكر المعارض
يكسبها جلادة فى العراق ، ومراسا فى المنافحة ، وبصيرة فى أصالة
الإدراك .. فى الوقت الذى لا تجنى القضية فيه من الفكر الدعائى
سوى المرور الأبله الساذج بسطوح القضايا ومشارف الأشياء !!

القضية إذن فى حاجة إلى فهم عاقل متفتح ، وليست فى حاجة
إلى تشنج من أى لون مهما كانت مبرراته العجفاء !!!

ولنبدا معا : إن الفكر الملحد يقتات كل يوم بجموع هائلة من
شبابنا القاريء شئنا أن نعترف بهذه الحقيقة أو لم نشأ .. ولعل انعكاسات
هذه الحقيقة لا تخفى على أحد ممن يحاول أن يمر على حقولنا الفكرية
الشابة ، فينظر فى إبداعاتها الفنية .. مسرحا .. أو قصة .. أو
رواية .. أو شعرا ... إن هذه الحقول الإبداعية الشابة طافحة بمرارة
العبث ، ولزوجة اللا جدوى ، وثورة الرفض ، وقساوة الإنكار ...
وإذا كان كل شئ قائما على كل شئ .. إذا كانت كل نتيجة ثمرة
طبيعية لكل مقدماتها بلا تخلف ، فإن هذا الإبداع الرافض الشاك
إنما هو محصلة طبيعية لروافد قرائية هى ثقافة هذا المبدع الشاب ، لقد
استطاع هذا الفكر المعبأ ضد كل ما هو مستقر فى حقول الفكر
والدين أن يحتل مواقعهم فى صفوف الشباب . بما استحدث لنفسه
من وسائل التوصيل والإشعاع ، وكان أخطر هذه الوسائل المسرح ..
والقصة .. والرواية .. والشعر .. ولست أستطيع هنا أن أقوم بمسح
شامل وكلى لكل هذه القطاعات والأنماط .. ولكننى أستطيع — إن
استطعت — أن أقف عند كل ظاهرة منها وقفة خاصة ، ربما تكشف عن جوانب
العرامة فيها بلا أقنعة ، وهذا هو ما أريد أن أقوله الآن ... إننى
لا أقدم إجابات على الاسئلة المطروحة فى هذه الأعمال .. لأن ذلك وحده
يحتاج الى تعبئة حاشدة من كل قوى النضال الفكرى المسلح بإيمانه

العقائدي ، وليس تبعة واحد من الافراد .. إن كل ما أطمح إليه من خلال هذه الكلمات هو أن أدق الأجراس ، وأرفع الراية ، وللمقاتلين المدربين بعد أن ينفروا إلى ساحة المعركة ، مزودين بثقة قد لا أملكها ، وبثقافة قد لا أحتازها ، وبجسارة قد تعوزني كما تعوز آلافا بلا حدود !!!

في المسرح .. يجند الفكر الهاجم كل تكنيك العمل المسرحي في محاولات الوصول ، وهو ينجح في عديد من محاولاته .. إن ذكاءه الخارق لا يوقعه على الإطلاق فيما نقع فيه نحن من خطابية قد تصرف القارئ عن العمل .. لا يوقعه فيما نقع فيه نحن من افتراض أن المتلقى مؤمن بكل شيء ، وبقداسة كل شيء ، وهو لا يحتاج منا إلا إلى تكريس إيمانه ، ومباركة تقديسه الوهلي . إن كاتباً مسرحياً مثل (جان بول سارتر) .. أو مثل (البير كامى) .. أو مثل (صمويل بيكيت) .. أو مثل (يونيسكو) .. لا يمكن أن يقع في خطيئة اتكائه على افتراض القداسة في المتلقى لأي شيء .. وهو إن وقع في هذه الخطيئة يقع فيها بنية إشعال الحرائق في هذه القداسات وليس على نية تقبيلها والطواف حول محورها الدائخ من كثرة معاناة الطواف !!

وهذه نقول من مسرحيات ترجمت إلى العربية ، وفي كل قطر من أقطارنا يلتهمها الشباب المثقف القارئ ، لتصبح من بعد خليفته الفكرية ، ولتشكل في النهاية نوعية رؤيته للكون ، ونوعية عطائه في مجال الأدب والفن على السواء .. لن نجدنا كما قلت في مطالع هذه السطور أن نصمت حيالها كظاهرة ، فالصمت لا يجدي .. ولن يطاق من زحفها الكاسح أن نتجاهل وجودها الحي ، فالتجاهل لا يحيل القضايا إلى خرافات .. إن النعمة لم تهزم الصائد حين — في رمال اليأس — دفنت رأسها أبداً ، ولكنها هزمت إمكانية أن تحيا في نفس اللحظة التي دفنت فيها رأسها في الرمال !!

في مسرحية (الشيطان والرحمن) لجان بول سارتر .. يدير المؤلف الحوار على هذا النحو :

جويتز : مات الله !!

هيلدا : مات .. أو عاش .. لا يهمنى . انقضى زمن طويل وأنا لا أهتم به !!

جويتز : قلت لك : مات الله .. (يأخذها بين ذراعيه) لم يعد

عندنا شاهد .. سارى وحدى شعرك وجبينك .. لكم أنت حقيقة منذ عرفت أنه غير موجود !!

وفي نفس المسرحية نقرأ هذا الحوار :

جويتز : هاينريش .. سأطلعك على سر خطير .. إن الله غير

موجود .. غير موجود .. أفرح .. أبك من الفرح ..

أيها المجنون .. إننى أخلصك .. لا سماء بعد اليوم ،

لا جحيم ، لا شيء سوى الأرض !!

وفي نفس المسرحية نقرأ هذا الحوار :

جويتز : ان الله يسمعى .. وأنا أقطع الأذان نكاية في الله وهذا

يكفينى إنه عدوى الوحيد المساوى لى لا يوجد إلا الله وأنا
... وأشباح الناس .. وسأصلب الليلة الله (١) .

وفى مسرحية (الذباب) لسارتر كذلك نقرأ هـذا
الحوار :

أورست : ماذا يهمنى جويتز ؟ العدالة هى قضية بشرية ..
ولست بحاجة إلى إله ليعلمنى إياها (٢) !!

وفى مسرحية (كاليجولا) لالبير كامى .. نقرأ هـذا
الحوار :

سيزوينا : كلا .. لن يقتلوك .. وإلا نزلت عليهم صاعقة من
السماء فأهلكتهم قبل أن يمسوك .

كاليجولا : من السماء !! ليست هناك سماء أيتها المسكينة !!
وفى نفس المسرحية نقرأ هـذا الحوار :

كاليجولا : إننى أمارس سلطانا محموما فى التخريب ، بحيث أن
سلطان الخالق يبدو بالقياس إلى سلطانى تقليدا فاشلا .
وفى نفس المسرحية نقرأ هـذا الحوار :

كاليجولا : لقد أدركت أنه لا توجد سوى وسيلة واحدة لنكون فى
مصاف الآلهة .. يكفى أن نكون قساة مثلهم (٣) !!

وفى مسرحية (سوء تفاهم) لكامى أيضا نقرأ هـذا
الحوار :

الأم : إننى أصرخ ولا أبكى ، لكن ألى هو ألم الإحساس بالحب
وهو يولد من جديد فى قلبى .. ورغم ذلك فهو ألم فظيع ،
وأعرف أنه غير معقول ، لكن العالم نفسه غير معقول ،
ومن حقى أن أعلن أنه غير معقول بعد أن خبرته كله ..
من لحظة الميلاد إلى لحظة الفناء (٤) !!

وفى مسرحية (العادلون) لكامى أيضا نقرأ هـذا
الحوار :

كاليايف : سنصبح كلنا إخوة .. وستجعل العدالة قلوبنا شفافة ..
هل تعرف عن أى شىء أتحدث ؟

فوكسا : نعم .. مملكة الله ..

الحارس : اخفض صوتك ..

كاليايف : لا تقل هـذا الكلام .. الله .. لا يستطيع شيئا !!

وفى نفس المسرحية نقرأ هـذا الحوار :

الدوقة الكبيرة : إن الدم يفصل بيننا ، ولكنك تستطيع أن تجعل
فكرة الله تجمع بيننا فى نفس الفاجعة .. صل على الأقل
معنى ..

كاليايف : إننى أرفض .. لم أعد أعتمد على موعدى مع الله (٥) !!
وفى مسرحية (محطم الأطباق) لأرمان سالاكرو .. نقرأ
هـذا الحوار :

الشباب : إذن .. فإننى قد مت فعلا ..

محطم الأطباق : كلا ..

الشباب : وهل أنا قريب من أحد الآلهة ؟

محطم الأطباق : نعم ..

الشباب : إذن هناك آلهة كثيرة ..
محطم الأطباق : إننى إله الأطباق ..
الشباب : إله الأطباق ؟ أنت تحطم وتقول إنك إله — أو ليس عمل الله أن يخلق ولا يحطم ؟
محطم الأطباق : (تاركا ثلاثة أطباق تسقط على الأرض) : إننى أخلق قطعاً من الأطباق ..
الشباب : ولكنك إن كنت إلها فلا شك أنك تعلم لغز هذا العالم ..
محطم الأطباق : نعم ..
الشباب : لقد سهرت ليلالى بأكملها وعينى مركزة فى انبوبة من البلور ينعكس عليها ضوء شمعة .. واعتقدت أنه يمكننى أن أتبين الله بين ألوان الطيف جميعاً ..
محطم الأطباق : هذا ممكن ..
الشباب : ولكننى لم أستطع ذلك .. وهل تلهو بالأطباق كما يلهو الله بالدنيا والأكوان كلها ؟
محطم الأطباق : وأحطم الأطباق كما يحطمك الله ..
الشباب : لماذا ؟
محطم الأطباق : بحكم المهنة (٦) !!
 وفى مسرحية (أليس الصغيرة) لإدوارد آلبى ، نقرأ هذا الحوار :
جوليان : آه .. لقد فقدت إيمانى بالله .
بتلر : آه .. (ثم نظرة تساؤل) .
جوليان : هل هناك شىء آخر ؟
بتلر : هل هناك شىء آخر ؟
جوليان : حسن .. لا شىء ذو أهمية ، لقد انحدرت ، تفوقعت داخل نفسى .. هبطت تحت قبة زجاجية .. فى هذا الشك كنت بعيداً .. لا يصلنى . وأخيراً لا أصل إلى شىء (٧) !!
 وفى مسرحية (الأفواه اللا مجدية) لسيمون دى بوفوار ، نقرأ هذا الحوار :
عجوز : يا إلهى .. الطف بنا .. يا إلهى .. ارحمنا !!
امراة : لن يرحمنا أحد .. لقد (انطرش) الله (٨) !!
 بديهى .. أن هذه النقول قطرة من محيط لا ساحل له ، وليست هذه أول مرة تطالعها جماهيرنا من خلال هذه السطور ، فإننى أزعم أنها حصاد كل يوم ، وقراءة كل لحظة من لحظات أجيالنا العربية ، أولاً : بما هى مترجمة وممثلة ومتداولة على مستوى العالم العربى تقريبا . . وثانياً : بما هى كل ما لديه أو أعمق ما لديه على مستوى حضارى وتكنيكى .. وثالثاً : لأن الجانب الآخر .. أعنى جانب الفن العقائدى .. ما يزال على مستوى البداوة أو قل على مستوى البوار !!
 إن طلائع كتاب العبث .. واللا معقول .. والرفض .. لم ينزلوا أرض المعركة بلا تخطيط مسبق ، ولم يضربوا ضرباتهم هكذا خبط

عشواء ، إن كل حركة من حركاتهم محسوبة جيدا ، ومصممة بلا تفريط ، إنهم يعرفون بلا مبالغة كيف يحركون الصمت إلى جوارهم ، كيف يستفيدون حتى من الفوضى والجمود ، إن الانطباع الأخير لدى المتلقى هو ما يعنيهم ، وهم يركضون إلى هذه الغاية على كل الجساد !!

(فى خطاب كتبه يونيسكو إلى المخرج) سيلفين دوم أول من قدم مسرحية (الكراسى) يقول : لما كانت الفكرة المحورية فى هذه المسرحية هو (الخواء) الانطولوجى . . أو (الغياب) فإننى أعتقد أن اللحظة الأخيرة ، اللحظة الحاسمة فى المسرحية يجب أن تعبر عن هذا . . (اللاحضور) ولذلك فانه يجدر أن يسدل الستار على أثر خروج الخطيب العاجز عن النطق بالرسالة بعد نزوله من على المنصة وتحيته للامبراطور ، فعندئذ سيعاين الجمهور — تحت ضوء صار ذابلا معتما كما كان فى البداية — الكراسى الخالية فى ديكور خاو تزينه أشرطة وأوراق مزركشة وهو ما سيعطى الاحساس بالتعاسة التى يخلفها رأى قاعة حفل بعد انفضاض الحفل وبذلك يكون كل شئ وقد وجد بلا معنى . . هذا الإحساس الذى يتعدى المنطق هو الذى نسعى إليه ويجب أن نحصل عليه (٩) !!

وقد لا يواجهون قضية الإنكار والرفض هكذا وجها لوجه . . ربما لأنهم يدركون جيدا أن حالة من العناد والتصميم تجتاح المتلقى إذا أحس أن الفنان يريد أن يقسره على شئ . . ومن هنا . . فهم يواجهون المواجهة مرة لإحداث نوع من الدهشة تذيب صدا العادة والبلادة فى ذهن المتلقى أو القارئ . . وهم يهربون من هذه المواجهة مرة أخرى عبورا إلى مناطق التلقى فى غطانة وذكاء !!

صحيح أن (أنوى) لا يتعرض لفكرة وجود الله بطريقة مباشرة كما يفعل (سالاكرو) مثلا . . ولكنه لا يكف عن طرق فكرة المطلق ، مع التسليم الضمنى بعدم وجود الله (١٠) !!

وقد يلجأون إلى طرح قضيتهم عن طريق المعادل الموضوعى ، أى عن طريق خلق صور موضوعية تعدى المتلقى بنفس ما يريدون له من انطباعات ، إنهم هنا لا يواجهون ولا يهربون من المواجهة ، ولكنهم يخلقون عالما بديلا أو قل عالما (معادلا) . . يستطيعون من خلال تصالبه الفنى مع العالم المعاش أن يقولوا لجماهيرهم ما يريدون ، بلا حركة استعداد . . وبلا انسحاب إلى مناطق الصمت !!

يقول (روبير دولدبيه) فى معرض حديثه عن مسرحية (سوء تفاهم) لالبير كامى : (. . فى مورافيا) أم وابنتها (مارتا) تديران فندقا منعزلا فى الريف . ويأتى (زبون) غنى . فتضعان له فى طعامه منوما وتسلبانه ماله ثم ترميانه فى النهر ، وذات يوم يطرق الباب فيكون القادم

(جان) الابن الذى غادر القرية منذ عشرين عاما فلا تعرفه
المرأتان (ذلك أنه قد أخفى هويته) ويكون مصيره أن يلحق بالآخرين
فى النهر ..

(هذا المكان المنعزل الذى يعمره المجرمون إنما هو عالمنا العبثى
اللا معقول وان جان الغريب الذى يطرق الباب هو السؤال المطروح ..
أما الجواب .. فهو الجثة التى تثبت عند سد النهر (١١) ..

إن رصد ملامح التكنيك المسرحى فى أعمال هؤلاء الرافضين
ليس ترفا نتهى بالتحديق فى عينيه ، ولكنه ضرورة حياتية إلى جانب
كونه ضرورة فنية بما هو سلاح قتالنا فى المعركة ، وبدونه تبقى
أسلحتنا هجومية بلا هجوم !! ولكن مثل هذه الدراسة العجلى لا يمكن
أن تنكفى على رصد هذه الملامح ، فكل همومها أن تدق أجراسا ،
وتقرع طبولا ، وترفع رايات ، وللقادرين من بعد أن ينكفئوا على هذه
الدراسة الأكاديمية البحتة . من أين هذا المسرح ؟ وإلى أين هـذا
المسرح ؟ وما مقوماته الجمالية والتكنيكية والحضارية ؟ إلى آخر
ما يطرح فى هذا المجال من أسئلة بلا حدود !!

وقريبا من لحظة الوداع أود أن ألقى بقفازى فى وجهه المسرح
العربى الحديث .. فقطاع منه يتلهى بالتسكع الفاشل على ضفاف فكرة
الزمن !! وقطاع منه يتغنى بانتصاراتنا التى أجهضها الواقع الضاغط
حتى من قبل مواعيد ميلادها الطبيعى !! وقطاع منه يتلأأ على صدر
مومس عجوز تبيع الحب فى طرقات المدينة !! وقطاع منه يتهاوى تحت
معاول عجزه الذاتى فلا يقوى حتى على مجرد أن يقول !!!

إن مضمون المسرح العربى الحديث لم يتحدد بعد ، لم يتشكل حتى
هذه اللحظات ، لم يعرف وجهه قضيته الحقيقية ، وهو وحده المتهم
والقاتل فى قضية انتماء شبابنا إلى غير هذه الأرض ، ونضالهم أن ناضلوا
كل طواحين الهواء !!

وليكن واضحا أننى لا أريد من وراء هذه الكلمات أن أصادر ثقافة
وافدة ، أو أغلق نافذة مفتوحة على فكر حديث ، مهما كان لون هذه
الثقافة أو لون هذا الفكر .. إننى أكون جارما بلا حدود إن فعلت !!
إننى أنفى نفسى من العصر الذى أعيش فيه إن حاولت أن أفعل !!

إن كل ما أريد هو ألا يكون صوت واحد صارخ فى البرية .. لا بد
من تعدد الأصوات ، لا بد أن نقول كلماتنا نحن كما نبيع للآخرين أن
يقولوا كلماتهم أبدا ، لا بد أن نجد صيغة ما لمضهون حضارى ما يشكل
فى نهاية الأمر رؤيتنا للكون ، وموقفنا من الله ، والتزامنا نحو
الآخرين .. أما أن يستحيل فكرنا إلى ملامسة .. وأدبنا إلى منادمة ..
وفننا إلى استهواء غرائزى رخيص .. فهذا ما نرفضه .. وعلى جبينه
الداعر ندوس .. وندوس !!!

إن التبعة هنا ذات شقين .. فواجب المثقفين العقائديين أن يناقشوا
جذور هذه الفلسفات على مستوى فكرى بلا حماسيات مبحوحة جوفاء ..

وواجب الفنانين العقائديين أن يبدعوا فنا بلا جلجلة ، فنا يستوحى
هذا التراب ، ويستلهم هذه الأرض . ويعطى من اكتنازه الذاتى
بآلاف المواعيد !!

.. إن التصدى لهذا الفكر ليس تبعة الفنان العقائدى وحده ، ولكنه
تبعة كل المبدعين .. إن مقالاتنا ، وبحوثنا ، وجرائدنا ، ومجلاتنا
.. يجب أن تتصدى لهذا الفكر .. فى محاولة للاستيعاب من البدء ،
ومحاولة أخرى للعطاء من بعد .. أما أن ننكفئ فوق ما تهرأ من طول
ما كتبنا حوله ، ومن طول ما أثرنا فيه من حوارات ، فليس قضية
العصر ، وليس التزام أى من المبدعين الشرفاء !!!

إننى واحد من الذين يقرأون دوريات العالم العربى — أو قل
جانبا منها — ويصيبهم من ذلك دور بلا حدود .. إن شهوة النشر ،
واكتناز الرصيد ، وإيثار السلامة ، هى ما يحرك قطاعا هائلا من الذين
يلطخون وجه الورق الأبيض بمزيد من الحبر الأسود .. وليس أبدا
الفيرة على راية سقطت فى أوحال عصر كل ما فيه شاهد زور !!

فلنتحرك من منطلق العقائدية وليس من منطلق الوثوب
الاستفزازى !!

ولنضرب بسيف الحق ، لا بسيوف الانانيات !!
ولنقل كلماتنا المثقفة ، وليس كلمات من ماتوا بلا دفاع !!
ولتسقط كل الأقنعة .. عن كل وجوه الكاذبين !!!

-
- (١) الشيطان والرحمن : جان بول سارتر .. ترجمة عبد المنعم الحفنى .
 - (٢) الذباب : جان بول سارتر .. ترجمة سهيل أدريس .
 - (٣) كاليجولا — البير كامى — ترجمة رمسيس يونان .
 - (٤) سوء تفاهم — البير كامى — ترجمة عبد المنعم الحفنى .
 - (٥) العادلون — البير كامى — ترجمة بسيم محرم وريمون فرنسييس .
 - (٦) المسرح الفرنسى المعاصر — دكتور لطفى فام .
 - (٧) اليس الصغيرة — أدوارد آلبي — ترجمة دكتور عبد العزيز حمودة .
 - (٨) الأقنعة اللامجدية — سيمون دى بوفوار — ترجمة عبد المنعم الحفنى .
 - (٩) مسرح العبث — دكتور نعيم عطية .
 - (١٠) المسرح الفرنسى المعاصر — دكتور لطفى فام .
 - (١١) كامو والتمرد — روبير دولوييه — ترجمة د. سهيل أدريس .

مقتطفات من حج الوقف

بوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية - الكويت

من مكامن الشريعة الاسلامية ان تلت على البر واللمعان بين الناس وصلة ذوي الارحام ومواساة المحتاجين من الناس والعدالة على الفقراء والمعوزين .

وعوامل الخير غير محدودة ولا مقتصرة في نوع معين من الاعمال ، فكلما يكون الخير بالارشاد اليه يكون بعمله وبالمعاونة عليه والمساهمة لاجلاده .

وقد كان من لطف تقدير الله ان استجاب قوو اللطوس الطاهرة والطلوب العامة بالايمن للخير . وامراره في جلال الاعمال فارشد الخبرون من اموالهم على بيوت الله فاقاموها ، وعملوا على دوام سلامتها والقائمة السمار فيها برجال قسروا انفسهم على خدمة هذه البيوت الطاهرة .

كما ارسدت طائفة اخرى من الخيرين على جهات اخرى غير المساجد مثل المدارس والمستشفيات وتعليم القرآن ومساعدة طلبة العلم الشريف دوناً لهم على تحصيل علومهم .

وهناك نوع آخر لا يقرب من المال وهو الانشاء بثلث الاموال لجهات الخير والبر والاحسان .

كل هذه الانواع اوقاف خيرية تجري ريعها على جهات مظلما خير ومتعاون وبر وملا .

ووزارة الاوقاف والشئون الاسلامية مصفوها الناظره على هذه الاوقاف تدبرها وترعى مصالحها وتصرف ريعها على ما شرطه وانفوها مقدم الى الفارين الشريف امثلة من ملفات الاوقاف الخيرية بها .

بتاريخ ١ شوال ١٢٥٦ هـ اوقف المرحوم السيد حامد النقيب بن السيد رجب ببنه الواقع في محله القبلة احدى محلات الكويت على امام مسجد ابن عثمان احد مساجد الكويت نصرف غلانه عاما بعد عام على امام المسجد المذكور مع العناية بنعمير هذا البيت ورعايته حتى تستدام غلته ويبقى به عبه حبسا ناما مؤبدا منجزا لا يغير عن حاله حتى يرث الله الارض ومن عليها .

وقد اراد بهذا الحبس وجه الله العظيم ورجاء نوابه الجزيل ، والله لا يضيع اجر من احسن عملا . .

وقد جعل الواقف الناظر عليه لامام المسجد المذكور كما حاز الناظر هذا الحبس وتولى عليه .

والآن هو ضمن اوقاف المساجد التي تدبرها الوزارة بما فيه الخير والمصلحة .

الفتاوى

السؤال :

هل يصح حج الولد عن أبيه حجة الفرض ؟

الجواب :

الحج هو الركن الخامس من أركان الاسلام فرضه الله على من استطاع اليه سبيلا .

وتتحقق الاستطاعة بالصحة في البدن ، والقدرة في المال ، والأمن في الطريق ، والأمن في أماكن الحج .

والقدرة في المال هي أن يكون الانسان مالكا للمال الذي يكفيه لنفقته ونفقة عياله ومن يعولهم في غيبته كفاية فاضلة عن حوائجه الأصلية من ملابس وسكن ومركب وآلة حرفة (ان كان صاحب حرفة) من مبدأ سفره لتأدية الفريضة الى أن يعود الى وطنه .

فمتى توفرت هذه الشروط كان الانسان مستطيعا ووجب عليه الحج ، فان لم تتوفر عنده الصحة أو كان عاجزا عن النفقة وكان يكسب قوته وقوت عياله يوميا أو كان الطريق غير آمن أو يخاف على نفسه هلاكاً كان غير مستطيع ولا يجب عليه الحج .

ومن استطاع بحيث توفرت عنده شروط الاستطاعة ، ومات قبل أن يحج وجب على ورثته أن يؤدوا عنه الحج قضاء ، كما يقضون عنه الديون التي عليه للناس .

فقد روى البخاري عن ابن عباس (أن امرأة من جهينة قالت أن أمي فذرت أن تحج حتى ماتت أفأحج عنها قال نعم أرأيت أن كان على أمك دين أكنت قاضيته ؟ اقضوا الله فالله أحق بالوفاء) ..

ومن استطاع السبيل الى الحج ثم عجز لمرض أصيب به لا يرجى برؤه ، أو شيخوخة ، أو كان يخاف على نفسه أناب عنه غيره .

وكذلك اذا مات وأوصى أن يحج عنه لزم الورثة تنفيذ الوصية بانابة من يحج عنه ان كان ترك مالا ، أو أن يتبرع الورثة ان لم يترك مالا .

ويشترط فيمن يحج عن غيره أن يكون قد حج عن نفسه أما اذا لم يكن حج عن نفسه فلا يصح أن يحج عن غيره ، مستطيعا كان أم لا ، بدليل الحديث الذي رواه أبو داود وابن ماجه أن الرسول صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول لبيك عن شبرمة فقال صلى الله عليه وسلم له « أحججت عن نفسك قال لا قال له حج عن نفسك ثم حج عن شبرمة » .

من هذا نفهم أنه يصح للولد أن يحج عن أبيه اذا قضى فرضه أولا ، وحج عن نفسه ، وحجه عن أبيه بر منه لأبيه .

السؤال :

ويسأل السيد/محمد نخيلان عن الأضحية .

الجواب :

الأضحية — سنة مؤكدة على من وجد سعة بالمعيشة ، وهي ليست فرضاً ، ولا فرق بين الأضحية للميت في أول سنة أو في ثانی سنة ، وليس هناك شيء يسمى ضحية الحفرة .

ويشترط في الأضحية أن تكون سالمة من كل عيب ، ويصح الاشتراك في الأضحية إذا كانت من الأبل والبقر ، فإذا اشترك سبعة في بقرة أو بعير صح ذلك ، ولا يصح أكثر من سبعة ، والسنة في توزيع الأضحية أن يأكل وأولاده منها الثلث ، ويهدي الثلث ، ويتصدق بالثلث .
وان تصدق بها كلها جاز له ذلك ولا يجوز أن يتصدق بأقل من الثلث ، والأضحية توزع لحماً .

السؤال :

بداخل مزرعتي حوض كبير حاولت تغطيته خوفاً من وقوع المواشي فيه فمنعني جيرانى لأنهم ينتفعون به وفي يوم مضى دخل ابنهم المزرعة ليسبح ففرق ، فهل على بذلك كفارة ؟

الجواب :

الولد مات بأجله والحوض داخل المزرعة والمزرعة محاطة بسور بدون باب ، وقد حاولت صيانة الحوض فمنعك أهل الولد وليس عليك من ذلك شيء .

السؤال :

موظف صغير في المباحث السياسية وظيفته حضور الاجتماعات للتجسس على ما يدور فيها ، ونقل أخبارها إلى الجهات الخاصة . لا يعتمد ضرر أحد ، وهو صاحب عائلة ، ويشك في أباحة رزقه من هذا المورد ، فهل راتبه حلال أو حرام ؟

الجواب :

إذا كان العمل لتلافى خطر يقع على الأمة كاخلال بالأمن وارجاف في الوطن ، أو خطر يقع على عائلة ، أو هتك عرض ، أو سرقة مال ، أو سفك دم ، أو ما شابه ذلك مما يمس بالوطن أو المواطنين فيجب على من علم بذلك اخبار السلطة وتدارك الأمر سواء كان هذا العالم موظف دولة أم من المواطنين أيا كانت مكانته في الأمة سواء كان رجلاً أم امرأة . .

أما ان كان الخبر لا أساس له وإنما سببه عدااء بين المخبر والمخبر عنه أو بقصد الانتقام أو سمع فلم يتأكد وأخبر بما لم يتأكد أو كان ظناً وبعض الظن اثم أو أن المخبر يريد أن يتقرب إلى رؤسائه بنقل أخبار لا أساس لها من الصحة أو أن الأخبار كانت صحيحة ، ولكنه بالغ بها ظناً منه أن المبالغة ترضى الرؤساء فيكون آثماً يحمل وزره ووزر من استمع إليه .

وعلى السائل أن يتحرى الأخبار الصحيحة فهو بعمله هذا على شفا جرف هار من النار يجب عليه أن يتقى الله في الأخبار التي ينقلها ، ألا يقول إلا الحق ولا يخبر إلا بالصدق فان فعل حل رزقه والا فإنه يأكل بيده النار .

الوعى الإسلامي

برير

السؤال :

بعث السيد محمد عبد اللطيف برسالة الى المجلة يسألها : « نعرف أن الاسلام يحترم العقل الانسانى لكن بم تفسرون السمعيات فى الاسلام من ذات الله والحشر والحساب وغيرها من المغيبات التى يحجبها الاسلام عن العقل » . .

الاجابة :

تجلى احترام الاسلام للعقل ، بصونه عن الخوض فى أمور الغيبات التى لا تنالها أدوات المعرفة الممكنة للانسان ولا يمكن للعقل أن يصل فيها الى شىء الا بارشاد الوحي .

وعلى كل حال ، فمجال الغيبات فى الاسلام ، مجال ليس فيه ما يخشى الاسلام من الاطلاع عليه ومعرفة العقل له بل ان الوحي أوضحه ، وبيّن تفاصيله ، من صفات الله والملائكة ، والبعث والحساب الخ ، وكان بيان هذه الامور بياناً لا يترك فى الحقيقة لدى المؤمنين شيئاً جديداً يريد الوقوف عليه .

فمنع العقل البشرى اذن من البحث فى ذات الله ، وحقائق الغيب ، انما كان لمصلحة العقل ذاته ، لانه لا يستطيع أن يخوض غمار البحث فى هذا المجال دون أن يضل ويحار .

وذلك ما عناه — فى اعتقادى — رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهلاك حين قال : « تفكروا فى مصنوعات الله ، ولا تفكروا فى ذاته فتهلكوا » وحين قال « يأتى الشيطان احدكم فيقول من خلق كذا وكذا حتى يقول من خلق ربك ، فاذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته » .

والانسان الذى يتجاوز فعلا حدود الايمان بالله . وملائكته ، وكتبه ورسوله واليوم الآخر ، التى رسمها القرآن الكريم ، وفصلها بوضوحه ، ليقدّم عقله فى محاولة استكناه حقائق الروح والعرش والكرسى والقلم والجن والشياطين وغيرها من الغيوب ، فانه لا يجد امامه طريقاً الى ما يريد ، الا الحيرة ، والتشتت .

وليس هذا الموقف — صون العقل عن التيه فى بحر الغيوب واستكناه حقائقها ليس موقفاً جديداً فى الاسلام ولا بدعاً ، بل سبقت الاديان والمذاهب

اليه ، بل ان من الاديان السابقة ، من حظر على العقل مجرد التفكير وطاب اليه أن يسلم تسليماً بكل ما يفرض عليه من عقائد ، والفضل للإسلام في أنه ضيق دائرة الحظر ، وقصّر التسليم والإيمان على غيبات محددة يعجز العقل عن ادراك حقائقها ، ثم لا تفيده معرفة حقائقها في شيء من دنياه الحاضرة ووجوده النافع له .

ولقد أدرك الفيلسوف الألماني الأشهر ((كانت)) هذه الحقيقة ، فمع ثقته بالعقل ، وتعويله عليه ، فإنه أنكر على العقل أن تكون له قيمة في مجال الغيبات لأنها فوق قدراته ، ولذلك فإنه لا يملك فيها غير الحيرة .

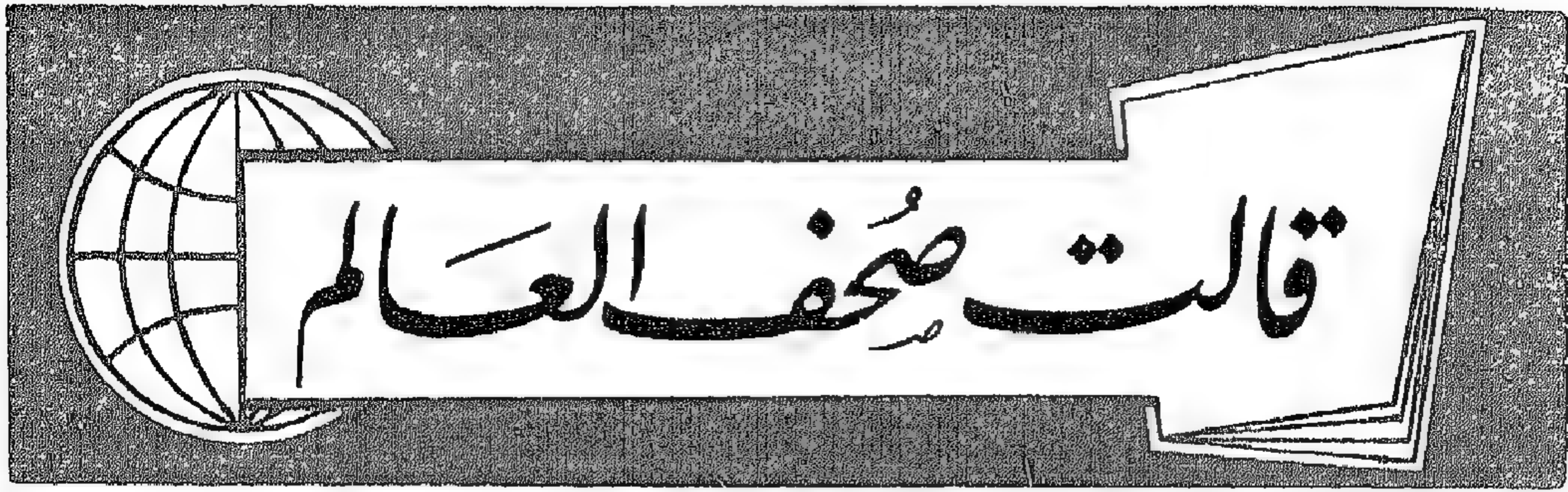
بل ان الذين يوجهون سهام النقد الزائف الى الاسلام لصونه العقل عن هذه الغيبات ويدعون أنه لا ينبغي أن يوقف العقل عن شيء ويؤمنون بالفلسفة المادية العملية التي تقوم على العلم العملي يجدون أنفسهم أمام تحد من نوع جديد ، أمام غيبات لا تستطيع عقولهم ، أن تقدم لها تفسيراً ، أو تمسك لها بحقيقة .

ويقال مثلاً ((ان الذرة تفتت الى ذرات متناهية في الصغر ثم تفتت هذه الذرات الى ذرات أخرى وهكذا حتى تتحول الى طاقة .

وهنا يقف بهم العقل . . فلا يستطيع أن يحدد : ما شكل الطاقة ؟ وما كنهها ؟ وعلى أي الأوضاع تكون ؟ غيب من الغيوب لا أحد يعلم حتى الآن كما لا يعلم أحد : ما حقيقة الجاذبية والمغناطيسية ؟ بل ما حقيقة الكهرباء ؟ تلك التي نرى آثارها تحيط بكل منا في الحياة العملية .

فاذا عجزت الفلسفة المادية على هذا النحو ان تقدم شرحاً لحقائق هذه الغيبات التي وجدت نفسها أمامها ، فهل يمكن أن يتهم الاسلام بشيء من الجمود أو التحجر على العقل حين يصون هذا العقل عن التخطي في حقائق الغيوب ، ويطلب اليه أن يمارس ما يستطيع من فكر ، في حدود الحياة العملية فقط ، فهي أنفع له ، وأجدي عليه .

والى هنا نقرر مطمئنين : ان موقف الاسلام من العقل في مجال الغيبات يعتبر دافعاً للعقل الى تركيز نشاطه في التفكير الاقيد له . وباعثاً له على التجديد الدائم لفكره العملي في الحياة النافعة لذلك خير له من التخطي في الغيب فهو موقف يحسب للإسلام في امكانيات الانهاض والتجديد وتطوير المجتمعات ولا يحسب عليه ، في نظر العاقلين المنصفين .



ذكرى انتصار الثورة الجزائرية

كتبت مجلة البلاغ الكويتية تعليقا في افتتاحيتها على ذكرى انتصار الثورة الجزائرية وذكرى وعد بلفور قالت :

فالأولى تكرر بطولة شعب ، قدم من خيرة أبنائه مليون شهيد ، حتى انتزع استقلاله من براثن أثرى قوى استعمارية ، جربت في الشعب الجزائري أفظع أساليب التعذيب ، الجسدي ، والنفسى .
والثانية تجسد جريمة مسؤول صهيونى ، ربط بلاده بوعد لبنى قومه من الصهاينة ، الأمر الذى كلف بريطانيا — حيث كان بلفور وزيرا لخارجيتها — غاليا من عدااء العرب ، ومقتهم ، اعتبارها المسؤولة عن غرس خنجر « إسرائيل » فى قلب العالم العربى ، وعلى أشلاء مليون شريد وطريد من أبناء فلسطين .
ولعل من محاسن المصداق ، ان تسبق ذكرى انتصار الثورة الجزائرية ، ذكرى وعد « بلفور » المشؤوم باعتبارها الاشارة الحاسمة ، الى الاسلوب المجدى الكفيل بانقاذنا من الحالة البائسة الراهنة ، أسلوب الجهاد والتضحيات والدماء وتقديم المزيد من الشهداء .

وتاريخنا الاسلامى المجيد ، حافل بالعظات والدروس والعبر ، حيث كان المسلمون الفاتحون من دعاة الاسلام سادة الحروب ، واخبار انتصاراتهم جعلت الاعداء يهربون من لقاءهم ، ذلك ان الايمان كان يعمر قلوبهم وصيحات الجهاد كانت الدافع الاقوى لتسيير فتوحاتهم . .

لم ينجح المسلمون فى معاركهم ، والوصول الى اقاصى الدنيا ، خلال أقل من قرن واحد ، يوم دانت لهم أعتى الامبراطوريات ، الا أنهم استرخصوا ارواحهم فى سبيل الله وباعوا الدنيا وما فيها ، بجنة عرضها السموات والارض ولم ينتصروا وتكتب لهم الحياة الا لانهم أحبوا الموت ، وبمثل تلك النفسية وبهذه الكيفية يسجل التاريخ للشعوب انتصاراتها .

فتحية للجزائر الشعبية ، وشعبها المكافح ، ودعاء نرفعه الى الله تعالى أن يلهم المجاهدين فى بطاح فلسطين ، التأسى بتجارب تلك الثورة المباركة حتى يعود الشعب المشرد الى دياره ، أو نقدم مليون شهيد جديد .

العلمانية

من مقال للأستاذ فتحى رضوان نشرته جريدة الاهرام فى احدى صفحاتها الدينية تحت هذا العنوان قال :

كيف حقق الاسلام ، كل ما عقد على (العلمانية) من آمال لم تتحقق لا فى داخل الدول ولا خارجها .

أولا : ليس فى الاسلام هيئة ولا طبقة تحترف صناعة الدين ، أو تستأثر بشرح أحكامه ، فكل مسلم مدعو لقراءة الدين والتفقه فيه ، وله الحرية فى أن يفهم ما يشاء ، ما دام يفهم لنفسه وله أن يستعين بمن هم أرسخ منه قدما فى اللغة ، وأقدر منه لثقافتهم وعلمهم ليأخذوا بيده ، فليست تلاوة القرآن حكرا لأحد ، ولا هى ممنوعة من أحد ، بل أنها مستحبة كلما تيسرت للإنسان . والإنسان يصلى وحده بلا رقيب لا موجه وإذا اجتمع المسلمون ، تقدم أحدهم فأمهم ما دام يعرف أصول الصلاة ، ولو كان أشعث أغبر لا يؤبه له .

وفى هذا المعنى يقول الشيخ شلتوت : قد اتصلت بالقرآن — بعد أن التحق الرسول بربه — افهام العلماء ، والأئمة فيما لم تكن من آياته نص فى معنى واحد وكثرت الآراء والمذاهب فى النظريات والعمليات ، لا على أنها دين يلزم وإنما هى آراء وافهام . .

ثانيا : عبادة المسلمين وصلاتهم جائزة فى كل شبر من كل أرض فالله تعالى قال : « **فأينما تولوا فثم وجه الله** » وقال الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام : « وجعلت لى الأرض مسجدا وطهورا » .

ثالثا : ونبى المسلمين ورسول الله اليهم بشر مثلهم ، يأكل الطعام ، ويمشى فى الأسواق ، وكان له كل نشاط آدميين فتزوج وأنجب ، وصام وأفطر وحارب وسالم وعاهد ، وعرف اليتيم والثكل ، ماتت له زوجات وبنات وبنون وأكد القرآن والحديث بشريته ووصفه القرآن ، بأنه عبد الله ، وقال عن نفسه انه عبد يأكل كما يأكل العبد ، ويجلس كما يجلس العبد . . وفى القرآن « **سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا** » وفيه « **قل لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله** » وفى الحديث « **لست ملكا ولا جبارا ، انما أنا ابن امرأة تأكل القديد فى مكة** » والرسول جميعا — عند الاسلام — ليسوا الا مبلغين لرسالات الله ووظيفتهم الارشاد والتعليم عن طريق الوحي .

رابعا : الأصل فى الأشياء الاباحة ولا تحريم الا بأمر الله ، فى نص من القرآن أو نص من الحديث قطعى الورود فالاباحة والتحريم من حقوق الله وحده ولا يشاركه فى ذلك شريك من رسول أو خليفة ، أو هيئة أو جماعة أو طبقة أو فئة . وبالتالي لا يوجد من يغفر الذنوب الا الله ، وكل مسئول عن عمله لا تنفع أحدا عند الله قرابة حتى للرسول الكريم فقد قال عليه السلام : « يا معشر قريش **اشتروا أنفسكم لا أغنى عنكم من الله شيئا** » وقال لو سرقتم فاطمة — بنته رضى الله عنها — لقطعت يدها .

وأخيرا يساوى الاسلام بين رسل الله جميعا ، وأديانهم « **آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله** » .

وقد نشأ من كل ذلك جو من حرية الراى أتاح للمسلمين وأخوانهم من أهل الكتاب أن يتعاونوا فى انشاء حضارة انسانية طابعها المميز التسامح وكرامهية القسر والعنف حتى فى أدوار انحلالها ، وقد روى مصطفى كامل فى كتابه الشهير (المسألة الشرقية) أنه لما فتحت القسطنطينية على يد محمد الفاتح السلطان التركى ، وانتخب المسيحيون الروم بطريركا قال له السلطان محمد « كن بطريركا لليونان والله يحميك ، وفى كل الاحوال والظروف اعتمد على مساعدتى وتمتع بكل الامتيازات التى كانت لأسلافك من قبل » . .

فهل علمانية كائنة ما كانت قادرة على أن تحقق هذا أو شيئا قريبا منه ؟ .

بإقلام القراء

الحكمة ضالة المؤمن

وارسل الينا السيد محمد سعيد السيد أحمد الشبيب من سوريا كلمة

بهذا العنوان يقول فيها : —

قال تعالى «ومن يؤمن بالله يهد قلبه» المؤمن ينظر الى الأمور بعقله لا بعينه فقط . والرجل المؤمن لا ينظر الى الغرب كامام وزعيم خالد ، والى نفسه كمقلد وتلميذ دائم ، انما ينظر الى الغرب كمجتمع سبق وقرين تفوق فى بعض العلوم المادية والمعاشية ، فيأخذ منها ما فاته من التجارب ، ويفيض عليه بدوره ما سعد به من تراث النبوة ، ويعتقد أنه ان كان فى حاجة الى أن يتعلم من الغرب كثيرا فالغرب فى حاجة الى أن يتعلم منه أكثر ، وربما كان ما يتعلمه منه الغرب أفضل مما يتعلمه هو من الغرب .

والحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها التقطها ، فالمؤمن يأخذ من علوم الغرب والشرق ما تفتقر اليه أمته ، وينفض عن كل ما يأخذ من الغرب والشرق غبارا لصق به فى القرون المضحلة وفى عصر الثورة على الدين عصر التوتر العصبى والقلق النفسى ، يأخذ العلوم المفيدة مجردة من روح الالحاد والعداء للدين ، ومن النتائج الخاطئة ، ويغلفها بايمان عميق بفاطر الكون ومدبره ، ويستنتج منها نتائج أعظم وأوسع وأعمق وأكثر اسعادا للانسانية مما توصل اليه أساتذة الغرب على الاطلاق .

اضرار المسكرات

وتحت هذا العنوان بعث السيد عادل جلال سعيد كلمة اقتطفنا منها ما يلى : —

ان احتساء الانسان الخمر يفقد الانسان قيمة وعمل تلك الجوهرة التى ميزه بها الله تعالى عن سائر الحيوان ، ويجرده من عواطفه الغريزية ، فينسيه واجبه كابن أو كزوج أو كأب ، ويفقده مقدرته ويسلبه كفاءته فلا يستطيع القيام بعمله ويسوقه الى خيانة الامانة ، ويرغمه على الاحتيال والسرقة وارتكاب كل منكر ،

فيصبح مخالفا للشريعة مناقضا للناموس خارجا على القانون ، فنرى أن هناك من انتحر أو قتل غيره أو تجرد من أملاكه بيعا ، أو أفلس بسبب الخمر ، ولا يقف خطر المسكرات عند هذا الحد بل أنه يؤسس كثيرا من الامراض الخطيرة كالشلل والتهاب المعدة وأمراض الكبد والكليتين والآلام العصبية ، زد على ذلك أن الأطباء قد قرروا أن مجال الشفاء يتسع للذين لا يتعاطون الخمر حين يصابون بمرض من الامراض السالفة الذكر أكثر مما يتسع للمسكرين ، هذا وان تعاطيه يؤذى الجسم ولا يفيد بحال من الاحوال ، والكحول سم قوى قاتل فلو طلب من سكير أن يشرب سما فتاكا كالزرنينخ مثلا لما قبل مع أن الأدلة التي تثبت ذلك عديدة وموفرة ، فاننا لو وضعنا دودة من ديدان الأرض أو سمكة فى وعاء يحتوى على ما نسبة الكحول فيه ١٪ لما نت سريعا ، وكذلك لو أخذنا زلال بيضة وصببنا عليه قليلا مما يسمى الويسكى أو أى مشروب روحى قوى فانه يجمده حالا ، ويغير لونه ، كما لو كنا نضعه فى ماء يغلى أو فوق حديد محمى ، وحين نذكر أن القلب والكبد والكليتين والمعضلات مركبة فى نفس المواد التي يتركب منها زلال البيضة ، عرفنا أن الكحول يحدث هذا التأثير ، ويعطل أنسجتها ، ويميت حيويتها ويحرق الجزء الذى يلامسه فى الجسم ولا يعطيه فيوقف نموه ، أما الاطفال الذين يعطون جرعات من المشروبات الروحية فان نموهم العقلى يصبح بطيئا ، ولا تقوى بنيتهم ، ولا يصلب عودهم الى الحد الذى بالامكان الوصول اليه لولا استعمال الخمر . .

فالرجل الذى يعاقر الخمر يحسب أنها تعينه على التفكير ، والواقع أن المخ فى غضون الدقائق العشر الأولى التى تعقب جرعة خفيفة من الخمر يحدث معه تنبه فى الابتداء فتتنبه الذاكرة وتسيل القرحة ، وتتدفق الافكار ولكن يلاحظ فى الوقت نفسه . أن الافكار مضطربة متبلبلية ، والكلام متلجلج سخي ، والألفاظ سمجة وبعيدة عن الاخلاق الفاضلة لأن الرجل المستقيم فى سلوكه ، المتعقل فى قوله ، والمتروى فى فعله عادة يظهر فى مظهر غريب بعد الاسراف فى معاقرة الخمر ، ومن الأدلة القاطعة على الضرر الذى يلحقه الكحول بالمخ كونه من أقوى الأسباب الداعية الى الجنون .

أعجب العالم الإسلامي

الكويت : افتتح سمو أمير البلاد المعظم الدورة الجديدة لمجلس الأمة وقد القى سموه توجيهها للشعب قال فيه علينا أن نكون يقظين أو مستعدين لمواجهة أى طارئ .

● أكد معالى وزير الاوقاف والشئون الاسلامية أن الكويت لن تدخر وسعا فى بذل الجهود لمساعدة المسلمين فى الفيليبين سواء على الصعيد الدبلوماسى أم المعنوى .

● استضافت الكويت فى موسمها الثقافى الماضى فى رمضان عددا من كبار المفكرين والعلماء المسلمين الذين ألقوا محاضرات فى بعض الجمعيات والمساجد الكبرى تناولت الفكر الإسلامى وشئون المسلمين .

● أغلق باب الانتساب الى دار القرآن الكريم بعد فرصة دامت ستة أشهر وقد بلغ عدد المتقدمين لحفظ القرآن الكريم فى السنة الاولى ٩٠٠ طالب .

القاهرة : وافقت ادارة الازهر على بعثة طلبتها الكويت من المتخصصين فى القراءات وذلك للتدريس فى دار القرآن الكريم .

● أهدت القاهرة مكتبات اسلامية الى تونس وزامبيا وغانا والى الجاليات الاسلامية فى جمهوريات سلفادور ونيكاراجوا وهندوراس وكوستاريكا وجواتيمالا .

السعودية : قرر المجلس التأسيسى لرابطة العالم الإسلامى فى دورته الثالثة

عشرة دعم جميع القضايا الاسلامية والمطالبة بحقوق الاقليات الاسلامية فى العالم وانشاء صندوق للجهاد لدعم القضية الفلسطينية فى البلاد الاسلامية .

● أعلن وزير الدولة السعودى للشئون الخارجية فى الامم المتحدة انه اذا أصرت اسرائيل على موقفها بشأن القدس فان العرب والمسلمين فى العالم كله سيضحون بأنفسهم من أجل التحرير .

● تقرر تبادل التمثيل الدبلوماسى بين المملكة وكل من قطر والبحرين .
● سيعقد مؤتمر وزراء الخارجية للدول الاسلامية مؤتمره القادم فى جدة فى شهر مارس القادم .

الاردن : أبلغ وزير الخارجية الاردنى الامم المتحدة بأنه طالما كان هناك احتلال اسرائيلى للأرض العربية فلن يكون هناك سلام فى المنطقة .

● قدمت الاردن شكوى الى منظمة اليونسكو توضح فيها بالتفصيل عبث اسرائيل بالممتلكات الثقافية والحضارية فى الاراضى العربية المحتلة .

سوريا : قال وزير الخارجية السورى أمام الامم المتحدة ان طرد العرب من

أراضيهم جريمة رهيبة وقال ان اسرائيل أهملت ٥٤ قرارا للامم المتحدة الامر الذى يجعلنا نطالب بطردها من المنظمة الدولية طبقا للمادة السادسة من ميثاق المنظمة .

لبنان : صرح لقمان هارون الزعيم الفيليبيني المسلم في بيروت أن دولا عربية وعدت بتقديم المساعدات لمسلمي الفيليبين ، وقال ان اسرائيل تمد الفيليبين بالخبراء والمساعدات وان اليهود في الفيليبين عدة آلاف يمثلهم وزير في الحكومة بينما لا يمثل أربعة ملايين مسلم أى وزير .

ليبيا : ندد المؤتمر السادس للآثار العربية بجرائم اسرائيل .

تونس : قررت جمعية الجامعات الاسلامية في تونس تقوية التعليم الاسلامي وتخصيره بالنسبة لسائر الكليات الاسلامية .

الجزائر : حلت اللغة العربية محل اللغة الفرنسية في جميع المحاكم الجزائرية وسوف تكون هناك فقط ترجمة بالفرنسية للغة العربية .

السودان : أعلن الرئيس جعفر نميري في مهرجان شعبي كبير أن السودان عازم على الاشتراك في تحرير الارض العربية واسترداد حقوق شعب فلسطين .

كينيا : قررت جمعية الدعوة الاسلامية في كينيا مواصلة الجهود ونشر الدعوة في كل مكان ومواجهة الحركات التبشيرية .

● ألقى الرئيس جومو كينيا خطابا أكد فيه حقوق المسلمين في وطنهم وأقر عيد الفطر والأعياد الاسلامية أعيادا وطنية لكينيا .

باكستان : حذرت الباكستان من نشوب حرب عالمية من جراء مشكلة اللاجئين وتدخل بعض الدول .

● تقوم بعثة من الجماعة الاسلامية في باكستان بجولة في بعض دول العالم لشرح حقائق الموقف في باكستان .

أفغانستان : دعت الأمم المتحدة دول العالم لمساعدة أفغانستان نظرا للخطر الذي تعرضت له خلال العامين الماضيين .

الفيليبين : تستمر المذابح ضد المسلمين في الفيليبين وقد نشط زعماء المسلمين هناك لشن حملات توعية المسلمين في العالم بما يلاقيه اخوانهم في الفيليبين .

ماليزيا : دعا الدكتور تون اسماعيل رئيس الوزراء بالوكالة المرشدين ورجال الدعوة الاسلامية الى عرض الاسلام للشعب الماليزي بطريقة صحيحة .
● سيقوم المجلس الاسلامي الاعلى بانشاء معهد لتدريب الدعاة وغيرهم من العاملين في حقل التربية الدينية .

جمهورية أوزبكستان السوفيتية : عثر فريق من المستشرقين الروس على مخطوطة نادرة تتناول بالتحليل والنقد العلمي التاريخ الاموي والعباسي .

« الى راغبى الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الامور عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلم الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا راسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين

القاهرة : شركة توزيع الأخبار — ٧ شارع الصحافة .

جدة : مكتبة مكة — السيد عوض با عامر — ص.ب : ٤٤٧ .

الرياض : مكتبة مكة — شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة — ص.ب ٢٢ .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة — ص.ب ٤٦ .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء — السيد محمد زين العابدين

عُدن : وكالة الأهرام التجارية — السيد محمد قائد محمد .

المكلا : مكتبة الشعب — ص.ب ٢٨ .

مسقط : المكتبة الحديثة — السيد يوسف فاضل .

صنعاء : مكتبة المنار الاسلامية — السيد عاصم ثابت .

دمشق : الشركة العامة للمطبوعات — ص.ب ٢٣٦٦ .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع — ص.ب ٢٤٧٣ .

الابيض/السودان : مؤسسة عروس الرمال الصحفية — ص.ب ٦٧ .

عمان : الشركة الاردنية لتوزيع المطبوعات — ص.ب : ٨١ .

طرابلس الغرب : مكتبة الفرجاني — ص.ب ١٣٢ .

بنغازى : مكتبة الوحدة الوطنية — ص.ب ٢٨٠ .

تونس : الشركة التونسية للتوزيع .

بيروت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر — كورنيش المزرعة .

دبى : مكتبة ومطبعة دبى — السيد خليفة النابودا .

ابوظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر — ص.ب : ٨٥٧ .

الكويت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر — ص.ب ١٧١٩ .

قطر : مكتبة الثقافة — السيد سالم الانصارى — الدوحة .

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

٤	الدورة الجديدة لمجلس الأمة
٦	حديث الشهر ... مدير ادارة الدعوة والارشاد
٨	من هدى السفة (بدء الوحي) ... للدكتور على عبد المنعم عبد الحميد
١٢	الكلمات الاعجمية في القرآن ... للدكتور عبد المال سالم مكرم
٢٣	الفكر التشريعي (٣) ... للشيخ على الخفيف
٢٩	الرسم العثماني للصحف ... للأستاذ عبد الكريم الخطيب
٣٥	الايمان عقيدة وعمل ... للدكتور محمد سلام مذكور
٣٩	لغة القرآن الكريم ... اللواء محمود شيت خطاب
٤٤	القدس ومصير الانسانية ... للأستاذ احمد الصانئ
٥١	الاسلام وسيادة القانون ... للأستاذ فتحي محمد جمعة
٦٢	وقفه بين شبابين ... للدكتور محمد محمد خليفة
٦٨	المائدة ...
٧٠	المركز الاسلامي في لندن ... للدكتور محمد ابراهيم الجيوشي
٧٥	تاريخ مسجد السوق - الكويت ... اعداد الشيخ محمود وهبة
٧٨	معركة اليرموك ... للأستاذ محمد رجائي هنفي
٨١	زهد المؤثر ... للدكتور احمد الحوفي
٩٥	هذا الزحف من يتصدى له ... للأستاذ محمد احمد العزب
١٠٤	مقتطفات من حج الوقف ...
١٠٥	الفتاوى ... التحرير
١٠٧	بريد الوعي ... التحرير
١٠٩	قالت الصحف ... التحرير
١١١	بأقلام القراء ... التحرير
١١٢	الأخبار ... اعداد الأستاذ عبد المعطي بيومي